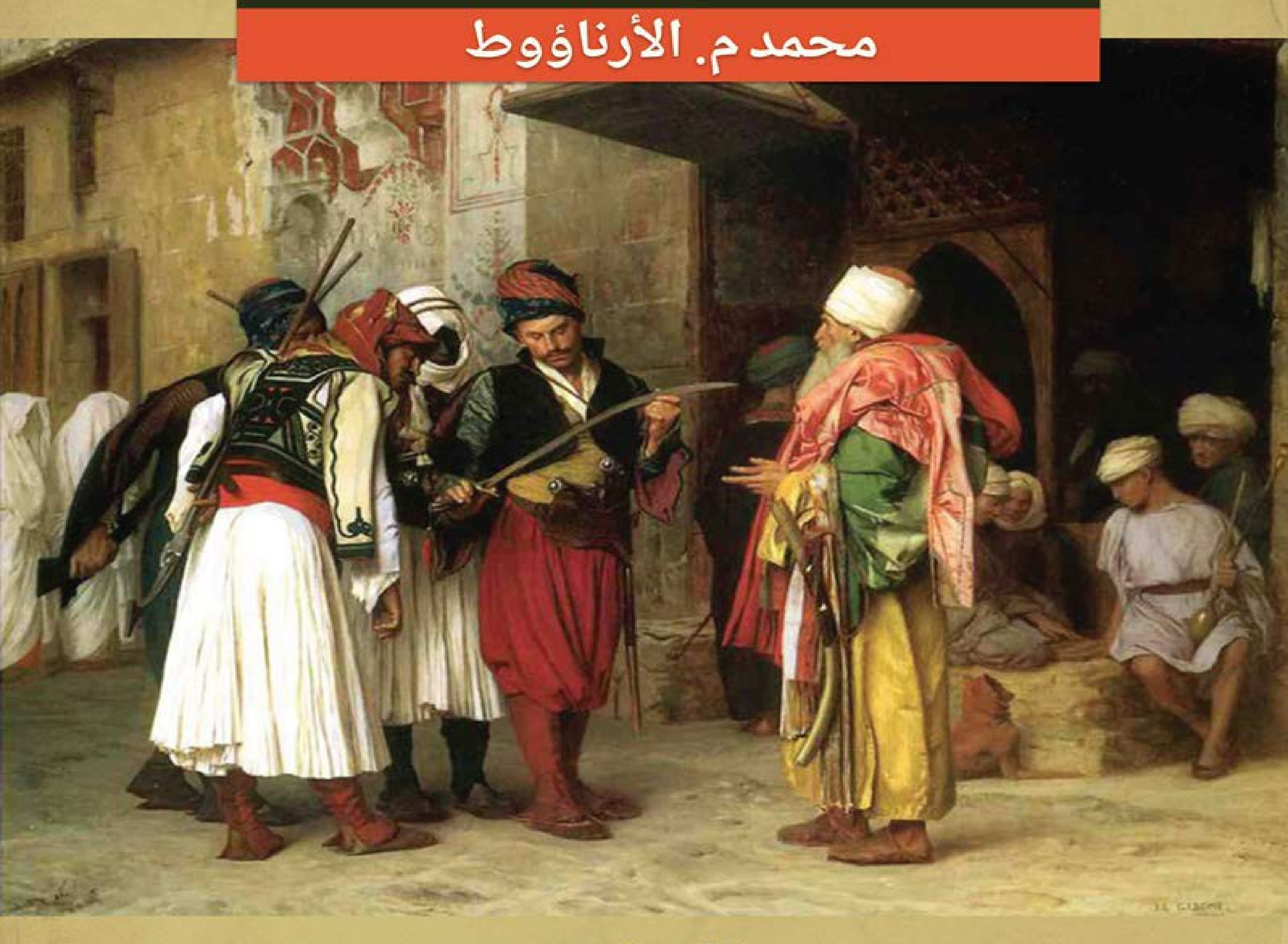
الجالية المخفية

فصول من تاريخ الألبان في مصر

محمد م. الأرناؤوط



دار الشروق

فصول من تاريخ الألبان في مصر

من القرن الخامس عشر وحتى القرن العشرين

محمد م. الأرناؤوط

© دار الشروق
٧ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
www.shorouk.com
dar@shorouk.com
رقم الإيداع ٢٠١٨
ISBN 9789770934746

الجالية المخفية
فصول من تاريخ الألبان في مصر

محمد م. الأرناؤوط

دار الشروق

إلى روح كريم حاجيو وموسى شيخو ووهبي إسماعيل وعثمان الأرناؤوط

الذين بقوا أحياء في نفوسنا

مقدمة

تمتع «ألبان مصر» بتقدير كبير بين الألبان نظرا إلى دورهم في النهضة القومية الألبانية، التي انطلقت في النصف الثاني للقرن التاسع عشر لتوحد الألبان مسلمين ومسيحيين من أجل دولة قومية مستقلة عن الحكم العثماني وهو ما تحقّق في أواخر ١٩١٢، ولذلك سرَّني أن أحظى بمنحة كوسوفية في صيف ١٩ للذهاب إلى القاهرة لأجل البحث في هذا المجال. وقد سعدت أن أجد هناك من بقيَ على قيد الحياة من الجيل المخضرم الذي عاش السنوات الذهبية لمن نسمّيهم «ألبان مصر» مثل كريم حاجيو Qerim Haxhiu وموسى شيخو Musa Shehu والسفير عثمان أرناؤوط وغيرهم، الذين أمدّوني بما في ذاكرتهم وما لديهم من أوراق وصور ساعدتني كثيرا فيما ذهبت لأجله. كما كانت إقامتي في القاهرة فرصة ذهبية لأبحث في الأرشيف الغني للصحافة المصرية الصادرة خلال ١٨٧٨-١٩١٤ عن هذا الموضوع.

وعلى الرغم من التقدير الكبير الذي كان يحظى به «ألبان مصر» لدى الألبان بشكل عام فإن الظروف السياسية كان لها دورها في تأخر الاهتمام الألباني في توثيق إسهام «ألبان مصر» في النهضة القومية الألبانية. صحيح أن الألبان أعلنوا استقلالهم عن الدولة العثمانية في ٢٨/١١/١٩١٢ إلا أن مصير ألبانيا، التي كان الأمير فؤاد من أقوى المرشحين لعرشها، بقيَ في مهب الريح حتى ١٩ حين استقرّت ضمن حدودها الحالية لتشمل حوالي نصف الألبان، بينما بقيَ النصف الآخر ضمن صربيا والجبل الأسود/ يوغسلافيا بعد ١٩١٨ حيث توزعوا منذ ١٩٤ بدورهم بين ثلاث جمهوريات: صربيا والجبل الأسود ومكدونيا، أي في الوقت الذي أصبحت فيه ألبانيا تحت الحكم الشيوعي.

وفي هذه الظروف غير المستقرة بقيت الحركة ذهابا وإيابا مستمرة بين مصر وألبانيا، التي كافح لأجلها «ألبان مصر»؛ حيث انتقل بعض هؤلاء إلى «الدولة القومية» فتكيّف بعضهم مع الظروف الجديدة هناك وآثر بعضهم الآخر العودة إلى مصر، كما أن هجرة الألبان إلى مصر استمرت خلال سنوات ما بين الحربين. وفي هذا السياق صدر في تيرانا عام ١٩٢١ أول كتاب في اللغة الألبانية بعنوان «حياة محمد علي باشا مصر» لأكسندر جوفاني [1] A.Xhuvani، وهو ممن انضموا إلى «ألبان مصر» وعاد إلى ألبانيا بعد أن أصبحت دولة مستقلة. وعلى الرغم من استمرار الحركة بين مصر وألبانيا خلال سنوات مابين الحربين، ونشر نتاج كبار كتّاب «ألبان مصر» في ألبانيا مثل فيليب شيروكا وميلو دوتشي و أندون زاكو تشابوبي وغيرهم، فإن عدم الاستقرار في ألبانيا الذي انتهى إلى احتلالها من قبل إيطاليا في ٧/٤/١٩٣٩ لم يسمح باهتمام مبرمج لنشر دراسة علمية عن «ألبان مصر»، في الوقت الذي كان فيه النصف الألباني الآخر في يوغسلافيا يصارع للبقاء مع الضغوط الكبيرة التي كانت تمارسها الحكومة لتهجير هؤلاء إلى تركيا.

فقد كان ملك ألبانيا أحمد زوغو قد غادر ألبانيا بعد مقاومة يائسة أمام جحافل الجيش الإيطالي إلى اليونان المجاورة ومنها إلى لندن؛ حيث كان يتابع من هناك الحرب الأهلية بين اليمين واليسار خلال ١٩٤٣-١٩٤٤، التي انتهت بوصول الحكم الشيوعي إلى الحكم في ١٩٤٥ وإلغاء الملكية في مطلع ١٩٤٦. وفي هذه الحالة نقل الملك زوغو مقره إلى القاهرة، التي بقيت تعترف به ملكا شرعيّا، مع نخبة من السياسيين والعسكريين في ربيع ١٩٤٦. ومع ظروف الحرب الباردة أصبحت الإسكندرية (مقر «البلاط الملكي الألباني») مقرّا لحراك سياسي- مخابراتي لـ«تحرير ألبانيا من الحكم الشيوعي». ومن هنا لم تكن ألبانيا الشيوعية منفتحة على مصر ولا على «ألبان مصر»، على حين بدأ الوضع يتغير تدريجيّا في ثمانينيات القرن الماضي، وخصوصا بعد التحول الديمقراطي ابتداء من ١٩٩٠، حيث أصبحت تنشر المقالات والدراسات والكتب عن «ألبان مصر».

أما فيما يتعلق بالنصف الألباني الآخر في يوغسلافيا فقد شهدت سبعينيات القرن الماضي انفتاحا على التاريخ وعلى العالم الخارجي مع تأسيس جامعة بريشتينا في ١٩٧٠ وتكريس دستور ١٩٧٤ التي أصبحت فيه كوسوفا وحدة فدرالية مؤسسة للاتحاد اليوغسلافي. وفي هذا السياق برز الاهتمام والتواصل مع الدياسبورا الألبانية في الشرق (تركيا وسوريا ومصر) وأصبح محمد علي باشا وتجربته في مصر معروفيْن للجيل الجديد من الألبان بفضل كتابات الصحفي الكوسوفي المتخصص في الشرق الأوسط نهاد إسلامي N. Islami، كما أن الحلقات التي نشرتُها عن «ألبان مصر» بعد عودتي من القاهرة في صيف ١٩٧٩ في الجريدة الكوسوفية الأولى «ريلنديا» Rilindja أرست قاعدة أولية لهذا الموضوع الذي أصبح يثير الاهتمام في ألبانيا المجاورة أيضا، وذلك مع تحسن العلاقات بين ألبانيا ومصر وتبادل الزيارات العلمية.

في هذا السياق الجديد صدر في بريشتينا خلال ١٩٩٠ كتابي «الألبان في العالم العربي» الذي خُصّص فيه فصل كبير عن «ألبان مصر»[(2)]. وقد اتّسع هذا الاهتمام بهذا الموضوع ليشمل الجيل الجديد من الألبان في جمهورية مكدونيا اليوغسلافية، وهو ما سمح بصدور أول كتاب في الألبانية في سكوبيه يحمل عنوان «ألبان مصر» للكاتبين الصحفيين شكلزين حليمي وأمين حازمي، اللذين اعتمدا على ما نُشر سابقا وقاما أيضا بزيارة مصر لأجل إنجاز هذا الكتاب[(3)]. وفي هذا العام جاء القاهرة أول سفير لألبانيا الديمقراطية الجديدة، بعد انتهاء احتكار الحزب الشيوعي للحكم، وهو ما أطلق اهتماما أكبر بـ «ألبان مصر» وسمح للسفير فاروق بوروفا أن يصدر لاحقا في ٢٠١٢ كتابه «السلالة الألبانية التي حكمت مصر خلال ١٨٠٥-١٩٥٢»[(4)].

وفي غضون ذلك كنت قد انتقلتُ للعمل في قسم التاريخ بجامعة اليرموك الأردنية عام ١٩٨٩، وهو ما جعلني أقرب إلى مصر وأكثر ترددا إليها للمشاركة في الندوات والاستفادة من ذلك في إجراء بعض الأبحاث وصولا إلى الاحتفالية الكبرى بمرور مئتي عام على وصول محمد علي إلى الحكم

(١٨٠٥-٢٠٠٥)، التي عكست تغيرا كبيرا في الموقف الرسمي من هذا الموضوع. وقد رأيتُ بعد ذلك أن أعود من جديد إلى هذا الموضوع، فعملت على ترجمة مذكرات الملك أحمد زوغو عن سنواته التي عاشها في مصر (١٩٤٦-١٩٥٥)، والتي صدرت بالعربية في ٢٠١٥ [(5)]، وأن أنشر في الألبانية كتابي «من تاريخ ألبان مصر خلال القرون ١٥-٢٠» الذي صدر عن أكاديمية العلوم في كوسوفا عام ٢٠١٦ [(6)].

في هذا الكتاب يبدو الفرق جليّا مع ما نشرته في ١٩٩٠؛ حيث إن الكتاب السابق كان يعكس الرأي السائد آنذاك أن الوجود الألباني في مصر يعود إلى بداية الحكم العثماني، بينما يرى القارئ الآن أن الفصل الأول من هذا الكتاب يكشف عن وجود سلطانيْن ألبانييْن في دولة المماليك، ولذلك فقد أصبح الإطار الزمني الآن يمتد من النصف الثاني للقرن الخامس عشر إلى النصف الثاني للقرن العشرين.

ومع هكذا حضور مهم للألبان في مصر في المجال السياسي والعسكري والإداري والاقتصادي والثقافي خلال هذه القرون يصبح من الصعب للوهلة الأولى تفسير «اختفاء» الألبان في الدراسات المصرية المتخصصة في الجاليات الأجنبية منذ كتاب صبحي وحيدة «في أصول المسألة المصرية» (القاهرة ١)، الذي عرض فيه وضع وعدد ١٤ جالية ليس من بينهم الألبان في الوقت الذي كانت هذه الجالية في ذروة حضورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ووصولًا إلى الدراسات المصرية المتخصصة مثل كتاب ليلى عبد اللطيف أحمد «المجتمع المصري في العصر العثماني» (القاهرة ١٩٨٧) وكتاب سيد عشماوي «اليونانيون في مصر ١٨٠٥-١٩٥٢» (القاهرة ١٩٩٧) وكتاب صلاح أحمد هريدي «الجاليات في مدينة الإسكندرية خلال العصر العثماني» (القاهرة ٢٠٠٤) وغيرها مع أنهم كانوا يمثلون الجالية الخامسة في مصر من حيث العدد بعد الإيطاليين والفرنسيين واليونانيين والإنجليز. ففي الكتاب الأخير نجد في الفصل الخاص بالجاليات الأجنبية ذكرا للمالطيين واليونانيين والتوسكانيين والبنادقة والفرنسيين والإنجليز فقط. وربما يكمن اللغز في ضرورة التمييز بين الألبان الذي جاءوا مع محمد علي الذين كانوا في غالبيتهم من المسلمين وذابوا بالتدريج في المجتمع المصري مع احتفاظ بعضهم باللقب الذي يدل على أصولهم (الأرنؤوط أو الأرنؤوطي)، وبين الألبان الذين جاءوا من جنوب ألبانيا خلال القرن التاسع عشر للعمل والاستثمار في مصر وكانوا في غالبيتهم من الروم الأرثوذكس.

وفي الواقع كان هؤلاء عماد النهضة القومية الألبانية الجديدة التي برزت في النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وتحولت معها مصر إلى مركز مهم للنشاط الفكري السياسي ونشر الكتب وإصدار الصحف بالألبانية، ومن ذلك كتاب «النحلة الألبانية» لثيمي ميتكو في الإسكندرية عام ١٨٧٨ [(7)]، الذي يحتل مكانة مميزة في النهضة القومية الألبانية. ولكن هؤلاء المعارضين للحكم العثماني والمطالبين باستقلال ألبانيا كانوا يفضلون لدواعٍ عملية تسجيل

أنفسهم في القنصليات اليونانية للتمتع بالحماية القنصلية والحصول على جوازات سفر تتيح لهم حرية السفر والحماية في أرجاء الدولة العثمانية. وفي المقابل كانت الكنيسة/ الدولة اليونانية ترحب بذلك لأن الأجندة القومية الألبانية تعتبر الروم الأرثوذكس في جنوب ألبانيا جزءا من اليونان، وقد عملت اليونان حتى ١٩٩٧ على ضمّ هذا الجزء إليها[8]. ولذلك ليس من السهل بالنسبة إلى المؤرخين المصريين التمييز بين ما هو ألباني وبين ما هو يوناني، على حين أن المصادر الألبانية توضح ذلك بجلاء.

وفي الواقع لم يكن في الإمكان أن يصدر كتابي في الألبانية عام ٢٠١٦ لولا دعم بعض الأصدقاء الذين أدين لهم بالشكر وعلى رأسهم أ.د. حفظي إسلامي Hivzi Islami رئيس أكاديمية العلوم والفنون الكوسوفية والكاتب المخضرم نهاد إسلامي الذي اشتغل على موضوع الألبان في الشرق الأوسط، كما عليَّ أن أشكر الصديق الكبير أ.د. أكمل الدين إحسان أوغلو على ملاحظاته على كتاب «من مذكرات ملك ألبانيا أحمد زوغو في مصر ١٩٤٦-١٩٥٥»، التي استفدتُ منها في هذا الكتاب، وأن أشكر الأمير ليكا الثاني حفيد الملك أحمد زوغو على سماحه لي بالاطلاع على ألبومات الأسرة الملكية ونشر بعض الصور منها. وكان ما كُتب عن كتابي «من تاريخ ألبان مصر» قد دفعني للعمل على طبعة جديدة موسعة في الألبانية، ولكن قدوم الصديق أ.د. أيمن فؤاد السيد إلى عمان للمشاركة في ندوة علمية في أواخر ٢٠١٦ شجعني على ترجمة هذا الكتاب إلى العربية ونشره في مصر بالذات، وطلب مني فصلا منه لنشره في «المجلة التاريخية المصرية»[9]. ومع نشر هذا الفصل في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧ بدأ العمل الفعلي على ترجمة كل الكتاب إلى العربية؛ ولذلك أدين بشكر خاص إليه. كما أدين بالشكر لبعض الزملاء الذين ساعدوني للوصول إلى بعض المصادر ومنهم د. عبد الحميد ناصيف في الإسكندرية ود. رمضان الخولي في القاهرة. ولا بدّ أن أشكر هنا الصديق أ.د. محمد عفيفي على تشجيعه لعملي في ترجمة الكتاب خلال زيارته الأخيرة إلى عمّان في آذار/ مارس ٢٠١٧. فقد ولد د. عفيفي في شُبرا التي تطورت بعد بناء محمد علي باشا لقصره فيها في ١م، وأنشأ «ألبان مصر» فيها أول مدرسة باللغة الألبانية عام ١٩٠٧، عندما كانت شُبرا كوسموبوليتية مصغَّرة عن الإسكندرية كما يقول في كتابه الأخير[10].

كما وأجد من واجبي أن أشكر صديق العمر الأستاذ فهمي هويدي، الذي بدأت علاقتنا بهذا الموضوع عبر مجلة «العربي» في سبعينيات القرن الماضي، على اهتمامه بنشر هذا الكتاب، وأن أوصل الشكر أيضا إلى الأستاذ إبراهيم المعلم لاهتمامه بنشر هذا الكتاب لديه في دار الشروق.

وأخيرا لا بد من التنويه أن العمل لأجل هذه الطبعة العربية كان أكثر من ترجمة، إذ إنه أخذ بعين الاعتبار ما يهمّ القارئ العربي أكثر، ومن هنا أصبحت لدينا بعض الإضافات في هذه الطبعة التي هي حصيلة الجولة الأخيرة من البحث في مركز وثائق الدولة في تيرانا، مع الأمل بأن يسمح العمر بطبعة لاحقة موسعة. ولذلك جاء عنوان الكتاب «فصول من تاريخ ألبان مصر» مفتوحا ليضم في طبعة لاحقة

فصولا أخرى تستحق أن تكون في الكتاب. ولايسعني هنا إلا أن أشكر د. أرتيد بيدو A.Bido المدير العام لمركز وثائق الدولة في تيرانا والعاملين في المركز على مساعدتي للوصول إلى بعض الوثائق التي تنشر محتوياتها لأول مرة.

محمد موفاكو/ الأرناؤوط
بريشتينا – عمّان – بريشتينا/٢٠١٧

(1 **A. Xhuvani, Jeta e Mehmet Aliut Pashës së Misirit,Tiranë 1921.**

(2 **Muhamed Mufaku, Shqiptarët në botën arabe, Prishtinë(Rilindja) 1990.**

(3 **Shkëlzen Halimi-Emin Azemi, Shqiptarët e Egjiptit,Shkup (Logos A)1993.**

(4 **Faruk Borova, Dinastia shqiptare që sundoi Misirin 1805 - 1952,Tiranë (Gent Grafik) 2012.**

(5) حسين سلماني، من مذكرات ملك ألبانيا أحمد زوغو في مصر ١٩٤٦-١٩٥٥، ترجمة وتقديم محمد م. الأرنؤوط، بيروت (جداول) ٢٠١٥.

(6 **Muhamed Mufaku, Nga historia e shqiptarëve të Egjiptit gjatë shekujve XV-XX,Prishtinë (ASHAK) 2016.**

(7 **Thimi Mitko, Bleta shqiptare, Alexandria 1878.**

(8) خلال الذكرى العشرين لأحداث ١٩٩٧ التي كادت أن تودي بألبانيا كدولة كشفت الصحافة الألبانية (شكولي ١٠/٣/٢٠١٧) دور بعض أجهزة المخابرات الأجنبية (منها اليونانية) في هذه الأحداث التي كانت تعمل لمصالح دول معينة، وقدوم جورج تانت رئيس C.I.A (الذي ولد أبوه في جنوب ألبانيا وكانت والدته تتحدث الألبانية مع أبيه حين يتحدثان في الأمور الخاصة) أربع مرات إلى جنوب ألبانيا خلال الأحداث المذكورة، وأن خطر انقسام ألبانيا وضم الجزء الجنوبي إلى اليونان لم يتوقف إلا عندما وجهت رئيسة وزراء تركيا إنـذارًا إلى اليونان لوقف تدخلها وعملها لتحقيق هذا الأمر.

(9) محمد م. الأرناؤوط، الحضور الألباني في مصر العثمانية: الجبرتي مصدرا، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخمسون، القاهرة ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ص٣١٧- ٣٤٩.

(10) محمد عفيفي، شبرا إسكندرية صغيرة في القاهرة، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٠١٦.

الفصل الأول

قراءة جديدة في «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي:
«دولة الأروام» أو «دولة الألبان» المملوكية

كان من المتعارف عليه عند المؤرخين المعاصرين للدولة المملوكية تقسيمها إلى قسمين حسب الأصول الإثنية للسلاطين التي حكموها: «دولة الأتراك» (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م) و«دولـة الشراكسـة» (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) [11]، على الرغم من أنه لدينا إشارات لدى الباحثين المعاصرين تقول إن هذا التقسيم لا يعني أن كل السلاطين في الدولـة الأولى (التركية) كانوا من الأتراك، أو أن كل السلاطين في الدولة الثانية (الشركسية) كانوا من الشراكسة[12].

وفي هذا الإطار نسعى هنا من خلال قراءة جديدة لأحد أهم مصادر تاريخ الدولة المملوكية، ألا وهو «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي، إلى الكشف عن الأصول الإثنية لبعض السلاطين كخطوة أولى نحو ما يمكن تسميته بشبكة الصلات الإثنية داخل الهرمية المملوكية.

ويبدو لنا أن اختيار ابن تغري بردي مبرَّرٌ لأنه كان على وعي أكثر من غيره؛ لأسباب تتضح لاحقا، للأصول الإثنية المختلفة للسلاطين حتى إنه ينتقد المؤرخين المعاصرين له على عدم التمييز بينها. وهكذا فهو يقول في «النجوم الزاهرة» عن ذلك: «وأما من سلف من ملوك الترك (و) والجراكسة والأروام ففيهم اختلاف كبير؛ لعدم ضبط المؤرخين هذا المعنى»[13].

ويلاحظ هنا أن بعض الباحثين المعاصرين يسلّمون بوجود عناصر أوروبية متنوعة (يونانية وصربية وألبانية ومجرية وإيطالية وألمانية... إلخ) في الهرمية المملوكية [14]، إلا أن بعض الغموض والاضطراب لا يزال يسود حول الأصول لبعض السلاطين نتيجة للدلالات المختلفة التي يثيرها مصطلح «رومي» و «روم» أو «أروام» الذي كان يستخدم في مصادر الدولة المملوكية. فبعض الباحثين المعاصرين يسقط الحاضر (اليونان) على الماضي (بيزنطة) فيعتبرون أن كل «رومي» هو «يوناني»[15]، وهو إسقاط غير صحيح بالمفهوم التاريخي. فالمصادر المملوكية كانت تطلق اسم «الـــروم» أو «الأروام» على كل من جاء من المنطقة التي كانت تحكمها الدولـة الرومية/البيزنطية، وبقيت المصادر المحلية المصرية والشامية (ابن إياس، ابن طولون... إلخ) تطلق اسم «الروم» و«الأروام» حتى على العثمانيين بعد أن جاءوا وحكموا المنطقة[16].

ونظرًا إلى أن مؤلف «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» يوسف بن تغري بردي كان نفسه من «الأروام»، وهو الذي قضى حياته متفرغًا للقراءة والكتابة

مما جعل كتاباته مصدرًا مهمًّا بالنسبة إلى تاريخ الدولة المملوكية، فنحن نفترض هنا أن معرفة ابن تغري بردي بالمنطقة التي جاء منها والده (بلاد الروم) و بـ «الأروام» الذين كانت له صلات وثيقة معهم يمكن أن تساعد على الكشف عن الأصول الإثنية لكبار المماليك، الذين أصبح بعضهم سلاطين، وعن تأثير هذه الأصول الإثنية في لعبــة الصــراع على السلطة في الدولة المملوكية.

وتكشف سيرة حياة المؤرخ يوسف بن تغري بردي (٨١٢-٨٧٤هـ/١٤٠٩-١٤٧٠م) عن صلات قوية له مع أركان الحكم في الدولة المملوكية، مما يمكن اعتباره من المطلعين عن قرب على أصول وأحوال الكثير من كبار المماليك والسلاطين في «الدولة الشركسية» التي عاصرها. فقد كان والده تغري بردي من كبار المماليك، وقد توفيَ في محرم ٨١٥هـ/نيسان ١٤١٢م وهو على رأس (نيابة دمشق) للمرة الثالثة بعد أن شغل في القاهرة منصب الأتابك؛ مما كان يجعله من المؤهلين لتولي السلطنة؛ ولذلك ترك لولده صلات كثيرة يعتمد عليها بعد وفاته[17].

وتجدر الإشارة إلى أن الأمير تغري بردي قد تزوج عدة نساء من إثنيات مختلفة (رومية وتترية وتركية وشركسية)، بينما لا نعرف إثنية والدة ابنه المؤرخ يوسف التي تعنينا أكثر[18]. وقد ساعدت صلات المصاهرة أيضًا الأمير تغري بردي وأولاده (ومنهم يوسف) على تعزيز مكانتهم في الدولة المملوكية الثانية/ الشركسية. فقد تزوجت ابنة عم الأمير تغري بردي (شيرين بنت عبد الله الرومية) من الأمير/ السلطان برقوق الذي تولى الحكم خلال (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٩م) وولدت له ابنه فرج، الذي تولى الحكم خلال ٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٩-١٤١٢م، وتزوج بابنة الأمير تغري بردي (فاطمة)؛ مما عزّز موقف «الأروام» في السلطة وأدى إلى «فتنة» ٨هـ/١٤٠٥م التي نشأت نتيجة لتخوف الشراكسة على مركزهم المسيطر على الدولة[19].

وقد أقام يوسف بعد وفاة والده في ٨١٥هـ/١٤١٢م مع أخته هاجر التي تزوجت قاضي القضاة ابن العديم الحنفي إلى أن توفيَ في ٨١٩هـ/١٤١٦م [20] ثم تزوجت قاضي القضاة البلقيني الشافعي الذي توفيَ سنة ٨٢٤ هـ/١٤٢١م [21]؛ مما أتاح ليوسف أن ينشأ نشأة علمية ساعدته على إنجاز مؤلفاته الكثيرة، بالإضافة إلى النشأة العسكرية التي تلقاها بمساعدة أصدقاء والده[22].

ومع كل هذا يلاحظ أن مكانة يوسف في الدولة المملوكية قد تعززت كثيرًا في عهد السلطان خشقدم ٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م نظرًا إلى العلاقة القوية التي ربطت بينهما، حتى إن يوسف يقول عنه: «أعرفه جنديًّا إلى أن صار سلطانًا»، ويضيف أنه «كان معظّما لي، وكلامي عنده مقبولا، وحوائجي عنده مقضية»[23]. وإذا ما حاولنا أن نفسر مثل هذه العلاقة القوية فقد يساعدنا على ذلك ما يورده ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» عن السلطان خشقدم حيث يؤكد على أنه «رومي الجنس»، ولذلك يبرزه بكونه في الدولة المملوكية/الشركسية «الأول من الأروام بعد أن تسلطن من الجراكسة وأولادهم ثلاثة عشر ملكًا»،

وحتى إنه يعتبره «أول دولة الأروام»[24]. وما لم يقله ابن تغري عن هذا السلطان قاله المؤرخ المخضرم ابن إياس (توفيَ ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) في «بدائع الزهور في وقائع الدهور» حيث ذكر أنه «كان رومي الجنس من الأرنؤوط»[25].

وبسبب هذه العلاقة الوثيقة التي ربطت بينهما فإن ابن تغري بردي يكيل المديح للسلطان خشقدم في «النجوم الزاهرة»، وهكذا فهو يذكر عنه أنه كان «سلطانًا جليلًا عظيمًا، عاقلًا مهابًا، عارفًا صبورًا، مدبرًا سيوسًا، حشمًا متجملًا في ملبسه ومركبه وشأنه إلى الغاية»، و«كان كثير الأدب، ويجل العلماء ويقوم لغالبهم إن قدم أحد منهم عليه، مع حشمة كانت فيه وأدب في كلامه ولفظه»، كما «كان يتكلم باللغة العربية كلامًا يقارب الفصاحة على عجمة كانت في لسانه وكيلة، وذلك بالنسبة إلى أبناء جنسه»، دون أن يغفل ميله إلى جمع المال «وله في ذلك أعذار كثيرة مقبولة وغير مقبولة»[26].

ومن ناحية أخرى، إن المعلومة المهمة عند ابن إياس (أرناؤوطية خشقدم) تساعدنا على تفهم العلاقة القوية التي ربطت بين ابن تغري بردي وسلطان آخر هو تَمربُغا الذي تولى الحكم خلال ٨٧٢هـ/١٤٦٧-١٤٦٨م. ففي الصفحات الكثيرة التي خصّصها ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» عن هذا السلطان (ص٣٣٤-٣٥٦) يكشف المؤلف عن معرفة قوية بينهما نشأت حين كانا مجاورين في مكة خلال ٨٦٣هـ/١٤٥٩م، حيث «تأكدت الصحبة بيني وبينه ووقعت لنا محاضرات ومسامرات»[27]. ومع هذه «الصحبة» كان في وسع ابن تغري بردي فقط أن يحدد اثنية السلطان تَمربُغا حيث يقول عنه إنه «رومي الجنس من قبيلة أرنؤوط»[28].

ومع هذا التحديد/التوضيح يصبح في الإمكان أن نتفهم الصعود السريع لتَمربُغا بعد تسلم السلطان خشقدم للحكم في ٨٦٥هـ/١٤٦١م. فقد كان تَمربُغا من كبار المماليك في عهد السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) الذي تزوج «رومية» أنجب منها ابنه عثمان. وهكذا يكشف ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» كيف صعد تَمربُغا في عهد جقمق بسرعة من أمير عشرة إلى الدوادار الثاني حتى «عَظُم في الدولة، وشاع اسمه في الأقطار، وبَعُد صيته، وقصدته أرباب الحوائج من البلاد والأقطار، وصار أمر المملكة مغدوقًا له»، بينما «الدوادار الكبير بالنسبة إليه كآحاد الدوادارية الصغار والأجناد»[29].

ومع تولي ابنه من زوجته «الرومية» فرج للسلطنة في ٨٥٧هـ/١٤٥٣م تعززت مكانة تَمربُغا في الدولة المملوكية. فقد تولى منصب الدوادار الكبير وأصبح كما يقول ابن تغري بردي «مدبر المملكة وصاحب عقدها وحلّها» و«بقيَ ملك مصر وأموره مغدوقًا به، والناس تحت أوامره»[30] إلى أن تمرد الأتابك إينال على السلطان عثمان الذي بقيَ تَمربُغا يدافع عنه إلى أن استسلم للأمر الواقع في ٨٥٧هـ/١٤٥٣م[31].

ومع تولي الأتابك إينال الحكم باسم «الملك الأشرف» في ٨٥٧هـ/١٤٥٣م قام بسجن الأمير تَمر بُغا عدة سنوات في الإسكندرية ثم في الصُّبيبة ببلاد

الشام[32] إلى أن أطلقه في أواخر ٨٦٢هـ/١٥٥٥م ونفاه إلى مكة حيث بقيَ مجاورًا فيها حتى سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م. ويلاحظ هنا أن ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» يربط إعادة الاعتبار إلى تَمربُغا (الأرنؤوطي) مع تولي خشقدم (الأرنؤوطي) الحكم في ٨٦٥هـ/١٤٦١م باسم «الملك الظاهر»، حيث يذكر أنه بقيَ في مكة «إلى أن تسلطن الملك الظاهر خشقدم فقدم القاهرة فأجّله الملك الظاهر وزاد في تعظيمه وأجلسه فوق جماعة كثيرة من أمراء الألوف الأعيان، ثم أنعم عليه بأمرة مائة وتقدمة ألف»[33]. ولم تفت هذه النقطة المهمة (الجنسية المشتركة) المؤرخ الآخر السخاوي الذي أشار بدوره إلى أنه «لما استقر الظاهر خشقدم استقدمه للجنسية»[34].

ويبدو لنا، مع هذا التفسير، أن العلاقة القوية أيضًا بين ابن تغري بردي وتَمربُغا تستند إلى أرضية إثنية (أرناؤوطية) إذ إن ابن تغري امتدح تَمر بُغا كما لم يمتدح أي سلطان آخر في الدولة المملوكية وحتى في تاريخ مصر، حتى فضّله على السلطان صلاح الدين نفسه. ففي «النجوم الزاهرة» يقول عنه: «لا نعلم في ملوك مصر في الدولة التركية أفضل منه ولا أجمع للفنون والفضائل، مع علمي بمن ولي مصر قديمًا وحديثًا كما مرّ ذكره في هذا الكتاب، من يوم افتتحها عمرو بن العاص رضيَ الله عنه إلى يوم تاريخه، ولو شئت لقلت: ولا من بني أيوب، مع علمي محاسن السلطان السعيد صلاح الدين السعيد الشهيد، وماله من اليد البيضاء في الإسلام، والمواقف العظيمة والفتوحات الجليلة، والهمم العالية»[35].

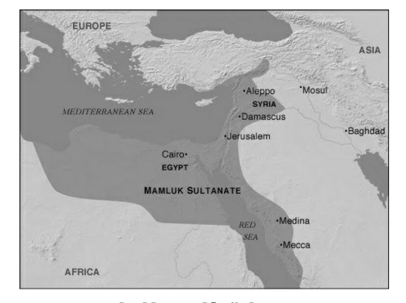
وتجدر الإشارة أخيرًا إلى أن السلطان تَمربُغا مع كل هذه المزايا الاستثنائية التي يذكرها له ابن تغري بردي، لم يبقَ في الحكم سوى أقل من شهرين (٧ جمادى الأولى ـ ٦ رجب ٨٧٢هـ/٥ كانون الأول ١٤٦٧ ـ ١ شباط ١٤٦٨م) حيث انقلب عليه الأمير قايتباي وتولى الحكم بعده باسم السلطان الأشرف. ولكن مع ذلك فقد بقيَ تَمربُغا مكرمًا وأرسل إلى دمياط ليقضي بقية حياته هناك، ولكن بعد شهور وجد نفسه مدفوعا من بعض زعماء البدو إلى محاولة فاشلة للعودة إلى الحكم أفضت به إلى النفي إلى الطور فبقي فيها إلى أن توفيَ في ٨ ذي الحجة ٨٧٩هـ/١٦ نيسان ١٤٧٥م، بينما كان ابن تغري بردي قد سبقه إلى الموت في ٥ ذي الحجة ٨٧٤هـ/٥ حزيران ١٤٧٠م [36].

وفيما يتعلق بخشقدم وتَمربُغا وغيرهما من «الروم» الذين جاءوا عبيدًا من البلقان تجدر الإشارة إلى أن الأوضاع الدينية والسياسية والمعيشية هناك كانت تساعد على ازدهار تجارة العبيد من موانئ الأدرياتيكي إلى موانئ المشرق وشمال إفريقيا، وهكذا فقد كانت «الهرطقات» الدينية (كالبوغوميلية) تسمح للدول المدافعة عن المسيحية «الحقة» (صربيا وكرواتيا) بتسويق أفراد الجماعات الدينية الهرطقية في أسواق العبيد. ومن ناحية أخرى فقد كان الجوع والفقر يدفعان بسكان الجبال في البلقان إلى تقديم أغلى ما لديهم (الأولاد والبنات) لبيعهم أو حتى لتقديمهم عبيدًا لكي ينقذوهم من الموت جوعًا، وبالإضافة إلى هذا وذاك كان هناك قطاع الطرق في البلقان الذين كانوا «يصيدون» الأولاد/الأفراد لبيعهم إلى تجار العبيد[37]. وكان هؤلاء العبيد يرسلون

إلى موانئ الأدرياتيكي، وخصوصًا راغوصة Ragusa؛ حيث كانوا يباعون مرة أخرى إما إلى البندقية (أحد أكبر أسواق العبيد في المتوسط) وإما إلى موانئ المشرق. وتجدر الإشارة إلى أن جمهورية راغوصة أقامت علاقات تجارية قوية مع الدولة المملوكية، حيث كانت سفنها تتوجه بانتظام إلى طرابلس والإسكندرية، حيث أصبح لها في مطلع القرن السادس عشر قنصل في الإسكندرية أيضًا[38].

ويلاحظ هنا أن الأسماء التي أعطيت لهؤلاء العبيد/المماليك القادمين من البلقان لا توحي بأصولهم الإثنية وإنما هي أسماء تركية (تَمربُغا) أو فارسية عربية مركبة (خشقدم) كانت تعطى لهم من قبل التجار الذين يشترونهم ويبيعونهم.وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن تغري بردي، الذي كان يعرف عن قرب تَمربُغا، كان أول من استخدم اسم «أرنؤوط» في اللغة العربية للدلالة على الشعب (الألبان) الذي ينحدر منه السلطان تَمربُغا. ويلاحظ هنا أن ابن تغري بردي، الذي يؤكد السخاوي على ثقافته التركية، قد استخدم الصيغة العثمانية الجديدة (أرنود) عن هذا الشعب، وهي الصيغة المحوّرة عن الصيغة اليونانية «أرفانيت» Arvanit. فقد كان الألبان يطلقون على أنفسهم اسم «آربر» Arber، ومع تحول صوت B إلى V في اليونانية جاء الإقلاب ليحول هذا الاسم إلى Arnavud عند العثمانيين (بعد تحول i إلى u بسبب قوانين التناغم الصوتي في العثمانية) الذي أصبح يكتب في العثمانية «أرنود»[39]. وقد تابع ابن تغري بردي في استخدام هذا الاسم المؤرخ المخضرم ابن إياس[40].

ومع هذه القراءة الجديدة «للنجوم الزاهرة» يمكن القول إن الحضور الألباني في مصر يعود إلى فترة أقدم مما كان يُعتقد حتى الآن في الدراسات الألبانية (بداية الدولة العثمانية التي حملت الألبان- ولاة وعسكرا وقضاة- إلى هذه المنطقة)[41]. وبعبارة أخرى لدينا على الأقل في «النجوم الزاهرة» أقدم استخدام لكلمة «أرنؤوط» في اللغة العربية وذكر لوجود «الأرنؤوط» في المنطقة، وهو الاسم الذي سيتعزز في المنطقة مع الفتح العثماني، كما أن ابن تغري بردي أول من كشف في كتابه هذا عن وجود سلطان أرناؤوطي في الدولة المملوكية.



دولة المماليك

(11) مثل هذا التقسيم نجده عند ابن شاهين الملطي (توفيَ ٩٢٠هـ/١٥١٤م) الذي يقسم الدول المتعاقبة في مصر حسب الأصول الإثنية لحكامها: «الدولة الأيوبية الكردية» و«الدولة التركية التترية» و«الدولة الجركسية»: عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملطي، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين علي، القاهرة (مكتبة الثقافة الدينية) ١٩٨٧م.

(12) د.إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢-١٥١٧، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٦٠، ص٩-١٠.

(13) يوسف بن تغري بردي الاتابكي،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، بيروت (دار الكتب العلمية) ١٩٩٢، ج١٦، ص٢٢٢.

(14) محمد حسين شمس الدين، ابن تغري بردي ٨١٢-٨٧٤هـ مؤرخ مصر في العصر المملوكي، بيروت (دار الكتب العلمية) ١٩٩٢، ص٢٥.

وينقل ضومط عن مصادر العصر الوسيط التفاوت الواضح بين أسعار المماليك حسب جنسهم؛ إذ كان يدفع للتركي ١٣٠-١٤٠ دوقية، وللشركسي ١١٠-١٢٠ دوقية، ولليوناني ٩٠ دوقية، وللصربي ٧٠-٨٠ دوقية: أنطون خليل ضومط، الدولة المملوكية-التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، بيروت (دار الحداثة) ١٩٨٢، ص٣٦.

(15) «تميزت دولة المماليك البرجية بأن سلاطينها كانوا جميعًا من أصل جركسي باستثناء اثنين كانا من أصل يوناني هما: خشقدم وتمربُغا»:

د.محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧، بيروت (دار النفائس) ١٩٩٩، ص٣٥١.

(16) من اللافت للنظر أن ابن إياس حين يصل إلى الفتح العثماني لمصر يعتبر السلطان العثماني سليم الأول «الثالث من ملوك الروم بمصر؛ لأن أول ملوك الروم بمصر الظاهر خشقدم، والثاني تَمربُغا، والثالث سليم خان بن عثمان»:

محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٤، ج٥، ص١٥١.

(17) شمس الدين، ابن تغري بردي، ص٢٥-٢٦.

(18) من الغريب أن ابن تغري بردي نفسه يعترف بأن أمه «مجهولة الجنس»، بينما نعرف عن زوجة أبيه الرومية أنها أنجبت ثلاثة إخوة (إبراهيم ومحمد وإسماعيل) ماتوا بالطاعون خلال ٨١٩-٨٣٣هـ/ ١٤١٦-١٤٣٠م:

شمس الدين، ابن تغري بردي، ص٢٤.

(19) توضح المعلومات الواردة لدى ابن تغري بردي والمقريزي أن هذه «الفتنة»، التي اندلعت في شهر ربيع الأول ٨٠٨هـ/١٤٠٥م وأدت إلى «غياب» السلطان فرج عن المسرح لعدة شهور، إنما كانت نتيجة لصراع رومي-شركسي على السلطة. وهكذا يذكر ابن تغري بردي أن الفتنة بدأت في صباح الثلاثاء ٧ ربيع الأول ٨٠٨ حين «اتفق جماعة من المماليك الجركسية وسألوا السلطان القبض على الوالد وعلى الأمير دمرداش المحمدي وعلى الأمير أرغون من بشبغا وجماعة أُخر من كون السلطان اختص بهم وتزوج بكريمتي... وكونه أيضًا أعرض عن الجراكسة فخافوا أن تقوى شوكة هؤلاء عليهم». ويوضح المقريزي ذلك أكثر بالقول إن ذلك كان «من أجل أنهم من جنس الروم، وذلك أن السلطان اختص بهم وأعرض عن الجراكسة... فخاف الجراكسة من تقدم الروم عليهم وأرادوا من السلطان إبعادهم». وقد انتهى أمر هذه «الفتنة» في ٢٥ ربيع الأول إلى انسحاب الأمير تغري بردي (بناء على نصيحة السلطان) من القاهرة و«غياب» السلطان ذاته عدة شهور مما دفع بالأمراء الشراكسة الناقمين عليه إلى تنصيب أخيه الصغير عبد العزيز:

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٥٣-٢٥٧، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة (دار الكتب والوثائق القومية) ١٩٧٢، ج٣.

(20) من اللافت للنظر أن ابن العديم الذي جاء من حلب إلى القاهرة مع والده توفيَ عن سبع وعشرين سنة بعدما ولي القضاء نحو ثماني سنين، أي أنه تولى القضاء عندما كان في التاسعة عشرة، مما يعزز

الصور السلبية عنه لدى المقريزي وابن حجر والسخاوي الذين يتهمونه بالرشوة وسوء المعاملة. أما ابن تغري بردي فيـقول عنه إنه «كان عالمًا ذكيًّا فطنًا مع طيش وخفّة». ويعتبر أن المقريـزي «ثلمه بقوادح ليست منه والإنصاف في ترجمته ما ذكرناه»:

المقريزي، السلوك، ج٤، ص٣٧٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٢٨٣، السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص٢٣٥-٢٣٦.

(21) من الواضح أن البلقيني، الذي يعتبر من علماء عصره، لعب دورًا أكبر في نشأة ابن تغري بردي وتوجيهه نحو العلم. وهكذا يذكر ابن تغري بردي «وما نشأت إلا عنده وقرأت عليه غالب القرآن الكريم، وكان إذا توجه إلى منتزه يأخذني في صحبته إلى حيث سار فإذا أقمنا بالمكان يطلبني ويقول: اقرأ الماضي من محفوظك»:

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٧٤-٧٥، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرنؤوط، دمشق ١٩٩٩، ج٨، ص.

(22) شمس الدين، ابن تغري بردي، ص٢٨-٢٩.

وللمزيد عن حياة ابن تغري بردي ونشأته ومنهجه ومؤلفاته لدينا معطيات وافية في الكتاب الذي خصّص له وجمع عدة دراسات لأشهر المؤرخين المصريين المعاصرين:

المؤرخ ابن تغري بردي، مجموعة أبحاث، القاهرة.

(23) يوسف بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، بيروت (دار الكتب العلمية) ١٩٩٢، ج ١٦، ص٢٧٧.

(24) المصدر السابق، ج ١٦،ص٢٢٢.

(25) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢،ص٤٥٦.

(26) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٧٥-٢٧٦.

(27) المصدر السابق، ج١٦، ص٣٣٩.

ومن ناحية أخرى نجد أن السخاوي المعاصر له (توفيَ ٩٠٢ هـ) الذي دعي للقراءة في مرضه يمدحه بالقول: «هابته ملوك الأقطار فمن دونهم»، و«له فهم وذوق بحيث يلمّ ببعض ما يتكلّمه الفقهاء عنده»، ويضيف أنه بنى مدرسة ودفن في القبة التي أنشأها هناك:

محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسين عبد الرحمن، بيروت (منشورات بيضون) ٢٠٠٣، ج ٣ ص ١٥٧.

(28) المصدر السابق، ج١٦، ص٣٣٧.

(29) المصدر السابق، ج١٦، ص٣٣٨.

(30) المصدر السابق.

(31) المصدر السابق.

(32) يرد في «النجوم الزاهرة»، (ج١٦، ص٣٣٩)، أنه سجن عدة شهور في سجن بالإسكندرية «ثم نقل إلى حبس الصُّبيبة ببلاد الشام فحبس أكثر من خمس سنين»، ويرد في خبر آخر أن الصاحب جمال الدين ناظر الجيش شفع لتمربُغا عند السلطان إينال في ٥ رجب ٨٦٢ فوافق السلطان أن بفرج عنه من حبس الصّبيبة على أن يذهب إلى دمشق ليذهب من هناك إلى الحج ويبقى في مكة:

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٩٥، ٣٣٩.

والمقصود قلعة الصُّبية التي بنيت خلال العهد الأيوبي على تل مشرف على بانياس في الجولان:

المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، دمشق (مؤسسة الدراسات العسكرية) ١٩٩٢، ج٤، ص ١١٤.

(33) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٣٩.

(34) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٦.

(35) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٣٥.

(36) في نهاية ترجمة تمربُغا بياض يدل على أن تغري بردي كان يريد أن يضيف شيئًا، ولكن المرض (القولنج) الذي أصابه منعه من مواصلة الكتابة عن نفسه وعن تمر بغا. ويذكر السخاوي المعاصر لهما أن ابن تغري بردي بقيَ يصارع المرض حوالي سنة حتى إنه «تمنى الموت لما لاقاه من الألم».

ويلاحظ هنا أن السخاوي، الذي لم يكن يوفّر النقد لابن تغري بردي مؤرخًا، كان موضوعيًّا أكثر في حديثه عن تمر بغا. فهو يعترف بأنه «كان ملكًا لائقًا فقيهًا، يحفظ المنظومة للنسفي ويستحضر كثيرًا من

المسائل الفقهية مع مشاركة حسنة في فنون كالتاريخ والشعر وحذق وذكاء وعلم تام وجودة رأي وتدبير وخصاصة اللغتين العربية والتركية»، ولكنه في المقابل يقول عنه إنه «كان غير عفيف فيما يقال، قائمًا في أغراض نفسه جدًّا مع إثارة فتن ومكر وخداع ومزيد تكبر، ودخول فيما يقصر أمثاله عن دونه... مما أظنه السبب في سرعة انقضاء مدته»:
السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٣٦-٣٧.

(37 Zvane Cernja, Cultural History of Croatia, Zagreb 1962, P. 179.

(38) في ذلك الوقت (مطلع القرن السادس عشر) كان لجمهورية راغوصة ٢٢ قنصلية في حوض المتوسط، وهو ما كان يعكس مكانتها الإقليمية والدولية على الرغم من صغر حجمها:

B.Belicza- M.D. Germek, «Dubrovacka Republika», Enciklopedija Jugoslavije, Vol.3, Zagreb 1984, P.628.

ولدينا في مركز الوثائق في راغوصة (دوبروفنيك الحالية في جمهورية كرواتيا) مرسوم السلطان قانصوه الغوري الذي صدر في ١٨ شوال ٩٢١هـ/٥ تشرين الثاني ١٥١٥ بهذه المناسبة وهو يتضمن الكثير من التفاصيل. وقد نشر هذا المرسوم مع غيره من الوثائق العربية المحفوظة في مركز الوثائق التي تتعلق بعلاقات راغوصة مع الدولة المملوكية و«جمهوريات» شمال إفريقيا (طرابلس وتونس والجزائر):
المعهد الشرقي بسراييفو، الوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبروفنيك، تحقيق وترجمة بسيم قرقوت، الكتاب الأول- الجزء الثالث، سراييفو ١٩٦٩، ص٣٨-٤٣.

(39) للمزيد حول ذلك، انظر مقالتنا: الألبانيون– عدة تسميات لأمة واحدة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٦٣، ج٤، دمشق ١٩٨٨، ص ٦٧٧-٦٨٤.
وتجدر الإشارة إلى أن المرحوم محمد أحمد دهمان قد سبق إلى القول بأن تعبير «أرناؤوط» قد استخدم في العصر المملوكي دون أن يحدد متى وكيف:
محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق (دار الفكر) ١٩٩٠، ص١٤.

(40) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، ص٤٥٦.

(41 Muhamed Mufaku, Shqiptarët në botën arabe, Prishtinë (Rlindja) 1990 p.21.

الفصل الثاني

الولاة الألبان في القرن الأول للحكم العثماني

كانت دولة المماليك، التي اتخذت من القاهرة عاصمة لها، تتميز بامتداد جغرافي واسع يشمل مصر والحجاز وبلاد الشام وحتى جنوب الأناضول. ومن ناحية أخرى كانت الإمارة العثمانية قد برزت في شمال آسيا الصغرى ولم تلفت النظر إليها إلا بعد فتحها لبورصة واتخاذها عاصمة لها في ١٣٢٦م. ومع وجود إمارات تركية أخرى في آسيا الصغرى (قرمان وحميد وصاروخان وقره سي وغيرها) اختار العثمانيون التوسع باتجاه الشمال (أوروبا) ونقلوا عاصمتهم إلى هناك (أدرنة) في ١٣٧٠م. ومع توسّع الدولة العثمانية باتجاه الجنوب بدأ الاحتكاك ثم التوتر بين الدولة العثمانية ودولة المماليك بسبب إمارة ذي القدر أو البستان[42] التي كانت تمتد في جنوب الأناضول من نهر الفرات إلى خليج الإسكندرون[43].

وكانت هذه الإمارة قد تأسست في ١٣٣٧ م من قبل قراجا بن عبد القادر (دلغادر) وضمّت التركمان القادمين إلى آسيا الصغرى تحت تقدم المغول، وأعلنت تبعيتها لدولة المماليك وجاء أميرها إلى القاهرة ليحظى بتكريم السلطان محمد بن قلاوون، الذي قلّده رسميّا نيابة البستان وحتى «أميرا على التركمان»[44].ولكن مع تحول الإمارة العثمانية إلى سلطنة وتوسعها نحو الجنوب أصبحت هذه الإمارة بؤرة دائمة للتنافس المملوكي- العثماني، حيث إن حكام الإمارة كانوا ينقلون تبعيتهم من دولة إلى أخرى. ففي ١٤٦٥م عيّن السلطان خشقدم، الذي مرّ ذكره في الفصل السابق، شاه بوداق أميرا على البستان، ولكن السلطان العثماني محمد الفاتح دعم أخاه شاه سوار لتولي الحكم. وبسبب ذلك أرسلت القاهرة ثلاث حملات عسكرية لإخضاعه دونما نتيجة، ثم أرسل السلطان قايتباي في ١٤٧٠م حملة كبيرة بقياة الأمير يشبك تمكنت من محاصرته وأسره وحمله إلى القاهرة حيث عُلّق على باب زويلة[45].

ومع أن الأمير علاء الدين شقيق شاه سوار حظي بدعم العثمانيين فإنه حرص على القدوم إلى القاهرة للحصول على تقليد الإمارة من السلطان قايتباي، وأبقى ابنه رهينة في القاهرة. إلا أن العثمانيين اتهموه لاحقا بالخيانة، واستغل السلطان سليم الثاني انتصاره في جالديران ١٥١٤ م ليأمر جيشه باجتياح الإمارة وقُتل الأمير علاء الدين وتنصيب علي بن شاه سوار أميرا مع إعلان الخطبة للسلطان العثماني وسك العملة باسمه. ومع هذه التبعية رافق الأمير علي السلطان سليم الثاني في حملته الجديدة ضد الدولة المملوكية وشارك في معركة مرج دابق في ٢٣ آب/أغسطس ١٥١٦م التي قُتل فيها هناك السلطان المملوكي قانصوه الغوري، ولكن السلطان سليمان القانوني أمر في ١م بإعدامه مع أولاده الثلاثة لتنتهي بذلك هذه الإمارة وتتحول إلى ولاية عثمانية[46].

وكان السلطان سليم الأول قد تابع زحفه إلى دمشق، حيث لَقّب في أول خطبة جمعة في الجامع الأموي بـ «حامي الحرمين الشريفين». واستمر الجيش العثماني في زحفه نحو القاهرة ليهزم جيش المماليك ثانية في الريدانية في ٢٢ كانون الثاني/ يناير ١٥١٧ ويلاحق السلطان المملوكي الجديد طومان باي حتى تمكّن من الإمساك به وشنقه على باب زويلة في ١٥ ربيع الأول ٩٢٣ هـ/٧ نيسان- إبريل ١٥١٧ [47].

ونظرًا إلى الفتح العثماني المبكر لألبانيا وتطبيق نظام الدفشرمة في البلقان فقد كان الألبان يشكلون قوة مهمة في الجيش الإنكشاري من القاعدة وحتى القيادة، التي كان يأتي منها الوزراء والصدور والعظام. وفي هذا السياق فقد شارك في فتح مصر الجنود والقادة الألبان وعلى رأسهم أياس باشا[48]. ولكن مصر لم تتحول إلى ولاية عثمانية تحكم بشكل مباشر إلا في ١٥٢٥م، أي بعد وفاة الأمير المملوكي خاير بك في ١٥٢٢م ومحاولة المماليك استعادة السلطة وتمرّد الوالي العثماني الجديد أحمد باشا الذي جاء مصر في صيف ١٥٢٤م ولكن سرعان ما شعر بالسخط عندما عيّن السلطان العثماني غريمه إبراهيم باشا في منصب الصدارة العظمى فتمرّد وأعلن نفسه سلطانا وسكّ العملة باسمه إلى أن تمكن الجيش الإنكشاري من محاصرته وقتله في أواخر ١٥٢٤. وفي نيسان / إبريل ١٥٢٥جاء مصر الصدر الأعظم السابق إبراهيم باشا الذي اختاره السلطان سليمان القانوني وأرسل معه قانون نامة مصر، الذي وضع الأساس للتشكيلات العسكرية والإدارية الجديدة التي سمحت بوجود مملوكي عسكري- إداري استمر حتى قدوم الحملة الفرنسية[49].

وبشكل عام يمكن القول إن القرن الأول للحكم العثماني كان يتميز بإرسال ولاة أو باشوات من الشخصيات المعروفة العسكرية من الدولةالعثمانية، التي عُرفت بمشاركتها في الحملات العسكرية بالمناطق المجاورة لمصر (تونس واليمن... إلخ). ومن بين هؤلاء لدينا عدة ولاة من الألبان الذين جاءوا مصر منذ السنوات الأولى للحكم العثماني الجديد، وتركوا بعض المنشآت التي تذكّر بهم.

ومن أوائل هؤلاء الولاة سليمان باشا، الذي كان مرتين واليًا على مصر قبل أن يتولى منصب الصدارة العظمى في ١٥٤١م. وحول هذه الشخصية لدينا معطيات قيمة لدى المؤرخ قطب الدين النهروالي (توفيَ ١٥٨٣م)، الذي عرفه منذ أن كان في اليمن؛ ولذلك يفصح عن ألبانيته. وكان سليمان باشا بقيَ واليًا على مصر مدة عشر سنوات (١٥٢٥-١٥٣٤)، والتحق في ١٥٣٤ بحملة السلطان سليمان القانوني لفتح بغداد، وعاد ثانية في ١٥٣٦ واليًا على مصر وبقي فيها حتى ١ . ففي تلك السنة توجه إلى السويس ليقود من هناك أسطولًا عثمانيًّا لمواجهة البرتغاليين في المحيط الهندي، وبعد عودته كافأه السلطان بتعيينه صدرًا أعظمَ[50].

وكانت الفترة الأولى التي قضاها في مصر (١٥٢٥-١٥٣٤) مهمة لعدة أسباب. ففي هذه الفترة أجرى سليمان باشا مسحا للأراضي وحرّر بذلك دفترا (دفتر

التربيع) «باقيا بالخزينة العامرة المصرية»، وأصبحت الإرسالية السنوية(إرسالية الخزينة) من أهم ما ترسله الولايات العثمانية إلى العاصمة[(51)]. ومن ناحية أخرى كانت هذه الفترة مهمة لظهور العمارة العثمانية الجديدة في مصر. فقد بنى أولًا في ١٥٢٨م جامعًا في الجهة الشمالية الشرقية لقلعة القاهرة، الذي لا يزال إلى اليوم بحالة جيدة ويحمل اسمه (جامع سليمان باشا). ويمثل هذا الجامع قيمة تاريخية من كونه أول جامع في مصر بُني على الطراز العثماني مع وجود بعض العناصر المملوكية[(52)]. وفي ١٥٣١م بنى سليمان باشا جامعًا فخمًا في القاهرة ذاتها، وبالتحديد في محلة بولاق «الذي اشتهر باسم «جامع السليمانية»، وقد بنى في جواره مدرسة تتميز بكونها الأولى التي بنيت على الطراز العثماني[(53)]. ونظرًا إلى أنه بنى هذه المنشآت في إطار وقفه فقد بنى أيضًا ثلاث وكالات تجارية حول الجامع لتغطية نفقات المنشآت المذكورة[(54)]. ولا تزال هذه المنشآت باستثناء المدرسة، تخدم الغرض الذي بنيت لأجله[(55)].

أما الوالي الألباني الثاني الذي خدم في مصر فكان محمد باشا دوكاجين، ابن أحمد باشا دوكاجين وصهر السلطان سليم الأول[(56)]. وقبل أن يأتي إلى مصر كان محمد باشا واليًا على حلب (١٥٥٠-١٥٥٤م)، حيث بنى مجموعة من المنشآت (جوامع وخانات وأسواق... إلخ) عززت بشكل كبير مكانة حلب التجارية في ذلك الوقت[(57)]. ولكن المؤرخ المصري القريب من تلك الفترة ابن الوكيل يعطي لنا صورة مختلفة عن محمد باشا خلال ولايته على مصر ١٥٥٤-١٥٥٥م. فهو يقول عنه إنه «كان الغالب عليه حب اللهو والخروج إلى المنتزهات، حتى إنه كان يركب المراكب ويمرّ في خليج القاهرة أمام النيل وبيده طنبور يضرب عليه، ويفتخر باللغة التركية، ولا يبالي بمن عذر أو لام»[(58)]. وبسبب هذا «اتفق في زمن باشا غلاء عظيم إلى أن «عدمت الحنطة والشعير،وصار الناس يقتاتون بالبذور وغيرها»؛ ولذلك حين وصلت أخباره إلى إستانبول عُزل من منصبه[(59)].

وأما الوالي الألباني الثالث الذي جاء مصر فكان سنان باشا، الذي كان من الشخصيات المعروفة على مستوى الدولة العثمانية،حتى إنه الوحيد الذي تولى الصدارة العظمى خمس مرات[(60)].

وكان سنان باشا قد خدم قبل مصر في طرابلس الشام وحلب قبل أن يعيّنه السلطان الجديد سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤) واليًا على مصر في ١٥٦٧. ونظرًا إلى أنه في ذلك الحين ثار الإمام الزيدي المطهّر ضد الحكم العثماني فقد كُلّف السلطان سنان باشا بالانطلاق من مصر على رأس جيش لاستعادة اليمن.وقد استمرت هذه الحملة حوالي سنتين (٥٦٩-١٥٧١) وعاد منها سنان باشا بلقبين: فاتح اليمن و«الغازي» الذي منحه إياه السلطان في إستانبول. ونتيجة لهذا فقد عُيّن السلطان سنان باشا مرة أخرى واليًا على مصر ١٥٧١-١٥٧٢ [(61)].

ومع أن سنان باشا بقيَ حوالي سنة هذه المرة (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٥٧- تشرين الأول/ أكتوبر ١٥٧٢)، فإنه بنى في مصر منشآت كثيرة لا تزال تذكّر باسمه كما في كثير من أرجاء الدولة العثمانية[(62)].وبالنسبة إلى الفترة التي

قضاها في مصر نجد آن المؤرخ عبد الغني يشيد بما بناه في القـاهرة والإسـكندريةويقول عنـها: «كانت أيام ولايته رخا وسـخا..وجميع القوت رخيص»[63].

وبشكل عام يمكن القول إن سنان باشا ترك من المنشآت المختلفة (الدينية والاقتصادية والاجتماعية) ما لم يتركه أي والٍ آخر حتى تولى محمد علي باشا هذا المنصب في ١٨٠٥. وفي الحقيقة فإن بعض المنشآت في القاهرة والإسكندرية اكتملت بعد عودته من مصر، وبالتحديد خلال ١٥٧١-١٥٨٨م، حيث إن وقفيته التي ورد فيها كل مابناه وُثقت في ٢٠ ربيع الأول ٩٩٦هـ/ ١٨ شباط ١٥٨٨م[64].

وفيما يتعلق بهذه المنشآت نجد أن سنان باشا لا يزال يُذكر إلى اليوم في القاهرة بفضل «جامع سنان باشا» في محلّة بولاق المطلة على النيل. وفيما يتعلق بالجامع الذي بنيَ في ١٥٧١م فهو يعتبر ذا قيمة تاريخية؛ لأنه الجامع الثاني الذي بنيَ في مصر على الطراز العثماني[65]. ونظرًا إلى أنه بُنيَ في إطار وقفه «حمّام سنان باشا» قرب الجامع فقد اشتهر الشارع مع مرور الوقت باسم «شارع سنان باشا». وفي جوار الجامع بنى سنان باشا مكتبا أو كتّابا للأولاد وسبيلا للماء. ولأجل تغطية نفقات هذه المنشآت (الجامع والكتّاب والسبيل) فقد بنى سنان باشا خانا كبيرا بجوار الجامع وقصرا برأس الرصيف المطل على النيل وخانا طويلا مقابلا لذلك وخانا ثالثا إلى جواره، وحماما بجوار الجامع تتبعه أروقة وحوانيت، وخانًا في السويس وحماما في بني سويف بالإضافة إلى أطيان في المنوفية والقليوبية[66].

وفيما يتعلق بالإسكندرية، التي كانت تعتبر من مراكز العلم في مصر نظرا إلى توافد علماء الشام والمغرب إليها، نجد أن سنان باشا اختارها لكي ينشئ هناك مكتبا أو كُتَّابًا للأولاد كان الأول من نوعه خلال الحكم العثماني، بالإضافة إلى مدرسة تمثل المستوى الأعلى للتعليم، وهي الوحيدة التي كانت للمذهبين الشافعي والحنفي. ولأجل تغطية نفقات هذه فقد بنى أيضًا في إطار وقفه الكبير حمامين (واحدا للرجال وآخر للنساء) وعدة محالّ ووكالات خَصّص واحدا منهما لنزول التجار الأجانب،وخَصص في وكالة أخرى رباعا أو غرفا للمبيت المجاني لكل من العلماء وطلبة العلم الذين يأتون من خارج الإسكندرية.

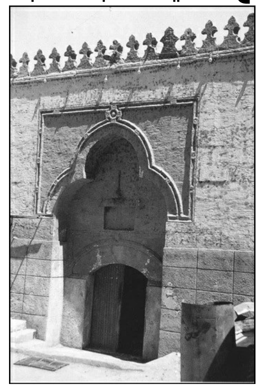
ونجد في سجلات المحكمة الشرعية بالإسكندرية معطيات مختلفة حول هذه المنشآت تفيد باستمرارها حتى الحملة الفرنسية على مصر في ١٨٠١م. فلدينا أقدم إشارة تعود إلى ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٥٨٨ تفيد بأن التجار استأجروا بعض المحال أو الدكاكين المذكورة ولكن لم يقوموا باستغلالها مما كان يهدّد بتعطيل الوقف، ولذلك حكم القاضي أو الحاكم الشرعي في الإسكندرية بإلزام هؤلاء التجار استخدام تلك الدكاكين و«القيام بأجرتها بموجب التواجرات بالشرع الشريف»[67]. ولدينا من عام ١٥٩٠م مايفيد بتأجير «حمامي النساء والرجال الحديثي الإنشاء بظاهر الثغر وجميع ما اشتمل عليه من

المنافع إجارة شرعية مدة سنتين وشهرين أولهما رمضان الماضي بأجرة عن جميع المدة ٢٤٠٠ نصف فضة مرادية»[68]. وحول هذين الحمامين لدينا من عام ١٧٩١م ما يفيد بانتقال تأجيرهما إلى الحاج عبد الله الفنلدي[69]. ولدينا من عام ١٧٩٥م مايفيد أن «وكالة الزيت الكبرى الكاينة بثغر إسكندرية ومابها من الحواصل والحوانيت داخلها وخارجها» و«حكر بسوق التجار المجاور الجاري في الوقف المذكور» قد تمّ تأجيرهما بعقديْن متتاليَيْن لمدة ست سنوات تبدأ بأول محرم ١٢١٠ هـ (تموز/ يوليو ١٧٩٥م) وتنتهي في آخر ذي الحجة ١٢١٥ هـ (١٣ أيار/ مايو) بـ«مبلغ قدره في كل سنة أربعون ألف فضة»[70]. ويلاحظ هنا أن التاريخ الأخير يتداخل مع الحملة الفرنسية على مصر وما تعرضت له الإسكندرية لاحقا من خراب بسبب الحروب والقصف مما أدى إلى خسارة معظم هذه المنشآت.

وبعد سنان باشا جاء مصر الوالي مراد حسين باشا، الذي يرد ذكره في بعض المصادر بلقب أرنؤوط[71]، والذي وصل إلى القاهرة في ٢٠ آب/أغسطس ١٦٢٠ وبقيَ على رأس الولاية حتى ٢٢ كانون الثاني/يناير ١٦٢٢. وحسب المؤرخ عبد الغني يبدو أن فترة حكمه لم تكن ميسرة. فقد مرض بعد شهرين من وصوله ثم فاض نهر النيل وانتشر الطاعون خلال شهور كانون الأول/ ديسمبر ١٦٢٠-آذار/ مارس ١٦٢١ حتى إنه كانت تخرج كل يوم من جامع الأزهر حوالي ٦٠٠ جنازة[72]. ولكن بعد عودته إلى إستانبول عينه السلطان صدرًا أعظم[73].



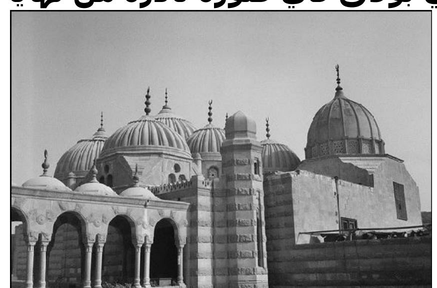
جامع سليمان باشا بالقلعة



واجهة جامع السليمانية في القاهرة



جامع سنان باشا في بولاق في صورة نادرة من نهاية القرن التاسع عشر



جامع سنان باشا اليوم

---

(42) تسمى الإمارة باسم الأسرة الحاكمة أو باسم عاصمتها البستان أو Elbistan الحالية، التي هي بلاستا Plasta أو أبلاستا Ablasta في المصادر البيزنطية.

(43) للمزيد حول هذه الإمارة، انظر مقالة كاندر في «الموسوعة الإسلامية» ومافيها من مصادر ومراجع:

.M.Canard, «Dhul-Kadr», The Encyclopedia of Islam, vol. 2, Leiden 1983, pp.239 - 24

(44) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٥١.

(45) للمزيد حول تفاصيل هذه الحملة انظر:

محمد بن محمد بن أجا الحلبي، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق (دار الفكر) ١٩٨٦.

(46) للمزيد حول هذه الإمارة انظر:

خلف الجبوري، إمارة دلغادر في السياسة المملوكية والعثمانية، عمّان (دار الحامد) ٢٠١٤.

(47) لدينا مبررات مثيرة ساقها السلطان سليم الأول لدى وصوله إلى مصر وحديثه مع طومان باي الأسير قبل دفعه للمشنقة، ونقلها عنه ابن زنبل الرمال المعاصر للأحداث:

ابن زنبل الرمال، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب – الألف كتاب الثاني) ١٩٩٨، ص ٢٤١-٢٤٤.

(48) في كتابهما «الألبان في الإمبراطورية العثمانية» يعدّد المؤلفان نجيب ألبان و نسيب كاتشي ٣٥ صدرا أعظم من الألبان بدءا من غديك أحمد باشا (١٤٧٥-١٤٧٩) وحتى سعيد حليم باشا حفيد محمد علي باشا (١٩١٣-١٩١٧):

.Nexhib Alban-NesipKaçi, Shqiptarët në Perandorinë osmane, Tiranë(Albin) 1997, pp.36 - 4

لدينا تفاصيل كثيرة عند ابن زنبل عن وجود أياس باشا في مصر حتى إمساكه بطومان باي:

ابن زنبل، آخرة المماليك، ص ٢٣٦-٢٣٧ و ٢٧٢.

وكان أياس باشا، المولود في فلورا Vlora بجنوب ألبانيا عام ١٤٨٠ قد أُخذ صبيًّا في إطار الدفشرمة وتدرج في الجيش حتى أصبح آغا الإنكشارية حين قدوم السلطان سليم الأول لفتح مصر، بينما أصبح في ١٥٢١ واليا على عربستان (بلاد الشام) وصدرا أعظم خلال ١٥٣٦-١٥٣٩. ولدينا حوله معطيات عند المؤرخ النهروالي الذي كان يعرفه شخصيًّا:

قطب الدين النهروالي الحنفي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ مكة المشرفة، مكة المكرمة ١٩٥٠، ص ٢٥٣.

(49) قانون نامة مصر الذي أصدره السلطان سليمان القانوني لحكم مصر، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه أحمد فؤاد متولي، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٨٦؛ ميكل ونتر،المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم ومراجعة عبد الرحمن الشيخ، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب – الألف كتاب الثاني) ٢٠٠٠، ص ٤٥-٥٦.
(50) يذكر النهروالي العارف بالأوضاع أن سليمان باشا أخفق في مواجهة البرتغاليين؛ ولذلك توقف في طريق عودته في ميناء المخا اليمني حيث رحب به حاكم المنطقة، ولكنه قام بقتله وأعلن سيادة السلطان العثماني على اليمن:
الحنفي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ٢٥٥.
(51)(٢) يضيف ابن الوكيل على ذلك بالقول: «والعمل بذلك الدفتر إلى الآن» :
يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل، تحفة الألباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٥٠.
Stanford J.Shaw, The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517 - 1798, Priceton 1962, p. 283.
(52) حسن عبد الوهاب، جامع السلطان حسن وما حوله، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد القومي- المكتبة الثقافية) ١٩٦٢، ص ٩٣-٩٤؛ محمد أبو العمايم، آثار القاهرة الإسلامية في العصر الإسلامي، إستانبول (إرسيكا) ٢٠٠٢، ص٢٥-٢٨.
(53) المرجع السابق، ص ٢٩.
(54) علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة – مدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الطبعة الثانية (عن طبعة بولاق ١٣٠٥ هـ)، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٦، ج ٥، القاهرة ١٨٨٧، ص ٤٧.
(55) بقيت المدرسة تقوم بدورها حوالي قرنين ثم تحولت إلى تكية للطريقة القادرية وبقيت كذلك إلى منتصف القرن العشرين، وهي تحظى الآن برعاية الدولة بوصفها أثرا إسلاميّا:
حسن قاسم، المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية، ج ٦، القاهرة ١٩٤٢، ص ٢١.
(56) كانت أسرة دوكاجين من الأسر الحاكمة في شمال ألبانيا (دوكاجين) ومع الفتح العثماني لألبانيا منذ نهاية القرن الرابع عشر، انقسمت الأسرة إلى قسمين: قسم بقيَ مسيحيّا ومرتبطا مع البندقية وقسم أسلم وأصبح من الهرمية العثمانية. وبسبب أصله النبيل قرّبه السلطان بيازيد الثاني وزوّجه ابنته جوهر، أخت السلطان سليم الأول. في ١٥١٤م شارك في معركة جالديران وأصبح صدرا أعظم في ١٥١٧م، ولكنه تعرض للقتل بعد أقل من ثلاثة شهور في تمرد للإنكشارية:
Alban-Kaçi, Shqiptarët në Perandorinë osmane, pp. 36 - 37.
(57) للمزيد عن ذلك، انظر فصل «منشآت محمد باشا دوكاجين في حلب ودورها في تنشيط التجارة بالمدينة خلال القرن السادس عشر» في كتابنا: دراسات في التاريخ الحضاري لبلاد الشام في القرن السادس عشر، دمشق (دار الأبجدية) ١٩٩٥، ص ٣٨-٥٤.
(58) ابن الوكيل، تحفة الألباب، ص ١٥٣؛ أحمد جلبي عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق فؤاد محمد الماوي، القاهرة (دار الأنصار) ١٩٧٧، ص ١٤٩.
والمقارنة بين النصين تثبت كما قال د. عبد الرحيم في مقدمته لتحقيق كتاب ابن الوكيل أن المؤرخ عبد الغني قد نقل حرفيّا عن ابن الوكيل دون أن يشير إلى ذلك.
(59) ابن الوكيل، تحفة الألباب، ص ١٥٣ ; عبد الغني، أوضح الإشارات، ص ١٩٤.
(60) في مقالة فرانز بابنغر عن سنان في الطبعة الأولى لـ«الموسوعة الإسلامية» ج ٧، ليدن ١٩٣١ كانت هناك عدة أماكن محتملة لموطنه الأصلي، ولكن بعد الأبحاث التي أجراها المستشرق الألباني حسن كلشي H.Kaleshi (١٩٢٢-١٩٧٦) نجد أن المقالة الجديدة عن سنان باشا في الطبعة الجديدة لـ «الموسوعة الإسلامية» (ج ٩، ليدن ١٩٩٧) تذكر بشكل واضح أنه ولد في قرية توبويان Topojan بشمال ألبانيا:
F. Babinger - GDavid, «Khoja Sinan pasha», The Encyclopedia of Islam, new edition, vol. IX, Leiden 1997, pp. 631 - 632.
(61) لدينا معطيات كثيرة عن سنان باشا لدى النهروالي الذي كان يعرفه شخصيّا وخصّص له أحد مؤلفاته عن فتح اليمن:

قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، البرق اليماني في الفتح العثماني، أشرف على طبعه حمد الجاسر، الرياض (دار اليمامة) ١٩٦٧.

(62) للمزيد حول ذلك انظر كتابنا: معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر – وقفية سنان باشا، دمشق (دار الحصاد) ١٩٩٣.

(63) عبد الغني، أوضح الإشارات، ص ١٥٢-١٥٣.

(64) أورد علي مبارك أهم ما ورد في الوقفية المذكورة في خططه:

مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، ج ٥، القاهرة، ص٥١-٥٢.

(65) انظر الوصف المعماري المفصل له:

حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، الطبعة الثانية، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٤، ص ٣٠٢-٣٠٥.

(66) مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، ج ٥ ص ٥١.

ويلاحظ هنا أن الواقف حدّد في وقفيته رواتب شهرية من دخل المنشآت التي بناها لحوالي مئة من العاملين في خدمة الجامع (الإمام والخطيب والمؤذن والمرقي والميقاتي والمرقي... إلخ) والمقرئين.

(67) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محكمة إسكندرية الشرعية، سجل ٢٨، ص٢٧٣، قضية ١٣٨.

(68) محكمة إسكندرية الشرعية، سجل ٣٠، ص١٦٢، قضية ٣٥٦.

(69) محكمة إسكندرية الشرعية، سجل ١٠١، ص ٢٤٥، قضية ٦٥٠.

(70) محكمة إسكندرية الشرعية، سجل ١٠٧، ص ٧٤، قضية ١٣٠.

(71) بالمقارنة مع عبد الغني نجد أن محمد كمال يذكره باسم: حسن باشا أرنؤوط.

(72) عبد الغني، أوضح الإشارات، ص ١٦٩.

(73 Alban-Kaçi, Shqiptarët në Perandorinë osmane, p. 37.

الفصل الثالث

الحضور الألباني في مصر
من نهاية القرن السابع عشر إلى بداية القرن التاسع عشر:
الجبرتي مصدرا

يتمتع عبد الرحمن الجبرتي بمكانة خاصة في المدرسة التاريخية المصرية حيث إنه يمثل بداية التحول من التاريخ التقليدي/ الحولي الذي يركز على تسجيل الأحداث إلى التاريخ الحديث الذي لا يكتفي فيه المؤرخ بتسجيل الأحداث[(74)]. وفي الواقع أن مكانة الجبرتي تتجاوز مصر حتى إن د. آيالون وصفه في مقالته في «الموسوعة الإسلامية» بكونه «المؤرخ العظيم» الذي يمثل «ظاهرة فريدة في التاريخ عند المسلمين[(75)].

ويبدو بوضوح في مقدمة كتابه المعروف «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» وعي الجبرتي بالتاريخ باعتباره علمًا وبالمهمة الملقاة على المؤرخ. فهو يركز على أن «التاريخ علم يبحث فيه معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم»، و«الغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي وكيف كانت»، و«فائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها»[(76)]. ومن هنا يمكن القول إن إدراك الجبرتي لدوره مؤرخًا هو الذي جعل كتابه «عجائب الآثار» متميزًا عن غيره مع أنه يمثل في الجوهر مدرسة التاريخ التقليدي/الحولي، إذ إنه قدّم لوحة فسيفسائية كبيرة عن الأوضاع في مصر قبل وبعد الحملة الفرنسية، أو قبل وبعد وصول محمد علي إلى الحكم.

وفي هذا الإطار الفسيفسائي المتنوع والمتكامل، المليء بالتفاصيل عن الفئات والطوائف والجماعات الدينية والإثنية والعسكرية والاجتماعية الموجودة في مصر، يشكّل كتاب «عجائب الآثار» مصدرًا مهمًّا للتعرف على الحضور الألباني في مصر قبل وبعد وصول محمد علي إلى الحكم.

وفيما يتعلق بالمنهجية المتبعة، التي تنبع منها قيمة ما لدينا في «عجائب الآثار»، يلاحظ أن الجبرتي لجأ إلى مصادر عديدة لجمع وتدوين المادة الموجودة في كتابه. فهو يذكر لنا أنه جمع مسودات كتابه من «أفواه الشيخة المسنين وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين وما انتقش على أحجار ترب المقبورين»[(77)]. ومع ذلك يميز الجبرتي بين ثلاث فترات حسب المصادر التي اعتمد عليها؛ وهذا ما يجعل الأصالة في كتابه تتراوح حسب هذه المصادر بين فترة وأخرى.

أما الفترة الأولى فهي المبكرة التي تغطي معظم القرن الثاني عشر الهجري، وبالتحديد من سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م إلى سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م، التي اعتمد فيها الجبرتي كما يقول على «كراريس لبعض العامة من الأجناد» الذي لم يصل

إلينا، وكتاب ابن الوكيل «تحفة الألباب» وكتاب آحمد عبد الغني «آفصح الإشارات فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات»، الذي يغطي بزخم أحداث النصف الأول للقرن الثاني عشر الهجري، أي إلى ما قبل ولادة الجبرتي بقليل. وتمتد الفترة الثانية من ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م إلى ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م التي تشتمل كما يقول الجبرتي على «أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكّرناها».أما الفترة الثالثة التي تتمتع بقيمة خاصة فهي التي تمتد من ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م إلى آخر يوم كان يكتب فيه (نهاية ذي الحجة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م) والتي تشتمل على «أمور تعلّقناها وقيّدناها وسطّرناها»[(78)].وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجبرتي كتب الأجزاء الثلاثة الأولى من «عجائب الآثار» خلال ١٢٢٠-١٢٢١هـ/ ١٨٠٥-١٨٠٦م، بينما كتب الجزء الرابع الأهم خلال الفترة التي كان يغطيها بشكل مباشر ١٢٢١-١٢٣٦هـ/ ١٨٠٦-١٨٢١م.

وفيما يتعلق بموقفه من الأطراف المختلفة التي كانت تتصارع على حكم مصر (المماليك والفرنسيين والأتراك والألبان)، يلاحظ أن الجبرتي كان على معرفة جيدة بها نتيجة لمكانة والده العلمية والاجتماعية وشهرته الشخصية التي أوصلته إلى أن يعيَّن في «الديوان الكبير» الذي أنشأه الفرنسيون في مصر[(79)]، ولذلك فقد كتب ما كتب نتيجة للمعرفة المباشرة والملاحظة الشخصية والجرأة التي يفترض أن تكون لمؤرخ واعٍ بدوره. ومن هنا فقد سجلت له موضوعيته فيما يتعلق بما كتبه عن الفرنسيين[(80)]، كما يمكن أن تسجل له موضوعية هنا فيما يتعلق بموقفه من الألبان. فالجبرتي كان على معرفة جيدة بهم، وله صلة شخصية بزعمائهم قبل انفراد محمد علي بالزعامة على الألبان والسلطة على مصر، ولذلك فهو يجمع ما بين نقده لأغلبهم ومدحه لبعضهم. وفي إشارة ذات مغزى إلى محمد علي في نهاية مقدمة الكتاب يقول الجبرتي إنه لم يرد «أن أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح أو ذم»، وهو ما جعل «عجائب الآثار» غير مرغوب فيه في دولة محمد علي، حتى إن أول طبعة كاملة له لم تنجز إلا في ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩-١٨٨٠م[(81)].

وللتعرّف بشكل أفضل على «عجائب الآثار» بوصفه مصدرًا عن الحضور الألباني في مصر يمكن تقسيمه إلى أربع فترات: ما قبل الحملة الفرنسية على مصر، سنوات الحملة الفرنسية على مصر، الفترة الانتقالية ما بين خروج الفرنسيين من مصر، وصعود محمد علي، وتولي محمد علي الحكم في مصر.

١ ـ الحضور الألباني قبيل الحملة الفرنسية على مصر

بعد القرن الأول للحكم العثماني الذي تميّز بوجود ولاة يمثلون مركز السلطة، كان من بينهم بعض الألبان مثل محمد باشا دوكاجين وسنان باشا وغيرهما من الذين مروا معنا في الفصل السابق، يلاحظ أن السلطة الحقيقية انتقلت في القرن الثاني إلى الأغوات / البكوات المماليك الذين لم يتركوا للولاة سوى بعض المظاهر من السلطة. ولكن لا بد من القول هنا إن مفهوم «المماليك» الشائع قد تغير في هذه الفترة لأنه بالإضافة إلى الشركس الذين بقوا الأغلبية، نجد

بينهم الألبان والبشناق والأرمن وحتى بعض اليهود الذين أسلموا[82].

ومن هذه الفترة يكشف لنا الجبرتي عن أحد البكوات/ الأمراء الألبان ألا وهو حسين بك أرنؤوط المعروف بأبي يدك، الذي يقدم عنه معلومات كافية للتعرف على كيفية قدوم وصعود هؤلاء الأشخاص في النخبة العسكرية الإدارية الحاكمة. فقد بدأ حسين بك سراجًا عند أحد البكوات/ الأمراء الشركس ثم ترقى بالتدريج إلى أن تولى الصنجقية والكشوفية في عدة أقاليم، وبذلك أصبح من البكوات/ الأمراء. وبالاستناد إلى الجبرتي فقد بقيَ حسين بك على صلة ببلاده إذ ذهب إلى «الروم» في ١١٢٤هـ/ ١٧١١م وبقي هناك إلى ١١٢٩هـ/١٧١٦م، ولكن لدى عودته إلى مصر فضّل أن يذهب إلى المدينة المنورة للمجاورة وبقي هناك أربع سنوات إلى وفاته في ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م[83].

وفي وقت لاحق برز من الألبان في هذه النخبة الحاكمة أحمد جاويش أرنؤوط، الذي كان قد ارتقى إلى «باش اختيار وجاق التفكجية» قبل وفاته في التسعين من عمره في شوال ١٢٠١هـ/ ١٨٧٦م. وقد أشاد به كثيرًا الجبرتي الذي أدركه وعرفه جيدًا حتى قال عنه: «كان من خيار من أدركنا من جنسه ولم يخلف بعده مثله».ويؤكد الجبرتي هنا على أمرين نادرًا ما كانا يجتمعان لدى شخصيات هذه النخبة الحاكمة. فهو ـ من ناحية ـ يشيد به باعتباره «من أهل الخير والدين والصلاح» والذي «يندفع في نصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسمعون لقوله وينصتون لكلامه ويتقونه ويحترمونه لجلالته ونزهته عن الأغراض». ومن ناحية أخرى، يمتدحه الجبرتي لاهتمامه بالعلم إذ إنه «كان يحب أهل الفضائل ويحضر دروس العلماء ويزورهم ويقتبس من أنوار علومهم، ويذهب كثيرًا إلى سوق الكتبيين ويشتري الكتب ويوقفها على طلبة العلم».ومما له مغزاه هنا أن الجبرتي يعترف بأنه كان لهما شيخ مشترك (السيد مرتضى) حيث إن أحمد جاويش قد سمع عليه «صحيح البخاري ومسلم وأشياء كثيرة والشمائل والثلاثيات وغير ذلك». ومن هنا لا يعد من المستغرب أن تكون لأحمد جاويش مكتبة في بيته تضم «كتبًا نفيسة»، وقد وقفها قبل وفاته على مكتبة جامع شيخون العمري[84].

ومن المعاصرين لأحمد جاويش كان هناك أيضًا في النخبة الحاكمة محمد آغا أرنؤوط، الذي يذكره الجبرتي في حوادث ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، ولكن دون أن يعطي عنه تفاصيل كافية. ويبدو من لقبه (آغا) أنه كان من الزعماء العسكريين في ذلك الوقت، كما أن لقب «الجفلي» الذي أورده الجبرتي يوضح أنه كان ينتمي إلى عصبة الجفلية المعروفة، التي كانت تُعدّ من الزمر المهمة في النخبة الحاكمة[85].ولكن مع قدوم القائد العسكري حسن باشا في رجب ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م يبرز فجأة باعتباره «الوالي» أو «زعيم مصر» وذلك بعد أن قام حسن باشا بتقليده «آغات الجمليان» في شوال ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م[86].

ومع قدوم حسن باشا المذكور في رمضان ١٢٠٠هـ/ حزيران ١٧٨٦م، كان قد قرأ الفرمان الذي يتضمن معرفة السلطان لـ «ما هو بالقطر المصري من الجور

والظلم للفقراء وكافة الناس وأن سبب ذلك خائنو الدين إبراهيم بك ومراد بك وأتباعهما»؛ مما سمح لعدوهم اللدود إسماعيل بك بالعودة من منفاه بالشام وفرض سلطته على النخبة الحاكمة في القاهرة، حتى إن الجبرتي استهل سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م بالقول: «ومعها انفرد إسماعيل بك الكبير في إمارة مصر وصار بيده العقد والحل»[(87)]. ولذلك فقد اندلع لاحقًا القتال بين إسماعيل بك وأنصاره وبين إبراهيم بك ومراد بك وأتباعهما الذين تمركزوا في الصعيد. ومع استمرار القتال بين الطرفين، يكشف الجبرتي عن تطور مهم في منتصف رجب ١٢٠هـ/ نيسان ١٧٨٨م ألا وهو وصول «نحو الألف من عسكر الأرنؤوط إلى ساحل بولاق وعليهم كبير يسمى إسماعيل باشا»، فيما يبدو أنه دعم من إستانبول لقتال قوات إبراهيم بك ومراد بك المتمركزة في الصعيد. وبعد أسبوع من وصول هذه القوة يخبرنا الجبرتي عن تطور مفاجئ ألا وهو قيام إسماعيل باشا «كبير الأرنؤوط» بقتل رئيس عسكره لأنه «كان يخشاه ويخاف من سطوته»، ولأنه هدّده بالذهاب إلى الصعيد لكون الأميريْن هناك (إبراهيم بك ومراد بك) يدفعان عطايا أكثر للعسكر[(88)]. وبعد ذلك «سافر إسماعيل باشا بجماعته» كما يخبرنا الجبرتي إلى الصعيد لقتال «الأمراء القبليين» ولكن دون نتيجة حاسمة[(89)].

وفي مطلع شهر رجب ١٢٠٣هـ/ آذر ١٧٨٩م غادر إسماعيل باشا «كبير الأرنؤوط» بصحبة الوالي عبدي باشا، حيث يضيف الجبرتي هنا جملة ذات مغزى تقول بأن إسماعيل باشا «أبقى من عسكر القليونجية والأرنؤوطية من اختارهم لخدمته وأضافهم إليه»[(90)]، وهي أول إشارة إلى بقاء قوة عسكرية من «الأرنؤوطية» في مصر. ومع هذا الوجود للعنصر الألباني الجديد أخذت تكثر الأخبار لدى الجبرتي عن «الأرنؤوط».

وهكذا فهو يخبرنا عن قتال استمر خمسة أيام «بين عسكر القليونجية والأرنؤوطية» بسوق السلاح في مطلع شهر ذي الحجة ١٢٠٤هـ/ آب ١٧٩٠م، حيث «قتل بينهم جماعة من الفريقين، ثم تحزبوا أحزابًا فكان كل من واجه حزبًا من الطائفة الأخرى أو انفرد ببعض منها قتلوه[(91)]». وفي هذا السياق يخبرنا الجبرتي في أواخر ذي الحجة ١٢٠٤هـ/ أيلول/ سبتمبر١٧٩٠م عن انقلاب مركب بـ «جماعة من الأرنؤوط» عند الخليج المرخم، حيث «غرق منهم ستة أنفار وقيل سبع»[(92)].

ويبدو أن إسماعيل بك الكبير، الحاكم الفعلي في القاهرة آنذاك، كان له مشروعه الخاص حيث أخذ يكثر من استقدام «الأرنؤوط» من بلادهم لتجنيدهم في قواته، كما طلب من فرنسا «بعثـة عسكرية» في ١٧٨٩م، إلا أن باريس لم تستجب له بسبب الظروف المحلية والإقليمية المتغيرة[(93)].

وفي هذا الإطار فقد قام إسماعيل بك بتوزيع «الأرنؤوط» الذين استقدمهم على عدة مناطق، وبالتحديد في بولاق والجيزة والقاهرة القديمة، حيث إنه بذلك كان يحتاط لنفسه من أي هجوم مفاجئ من «الأمراء القبليين». ويبدو أن «الأمراء القبليين» حاولوا اختراق هذا «الحاجز» بالتواطؤ مع أحد زعماء

«الأرنؤوط»، آلا وهو «صالح آغا آغات الأرنؤوط». ففي منتصف محرم ١٢٠٥هـ/ أيلول ١٧٩٠ م يذكر لنا الجبرتي أن إسماعيل بك قبض على المعلم يوسف كساب و«أمر بتغريقه في النيل» ونفى في اليوم ذاته صالح آغا المذكور لأنه قيل إنه تواطأ مع «الأمراء القبالي» بواسطة المعلم يوسف لكي «يملكهم المراكب الرومية والقلاع التي بناحية طرا والجيزة»[(94)].

ولكن الطاعون الكبير الذي ضرب مصر في ذلك الوقت قضى على إسماعيل بك والكثير من قواته «الأرنؤوطية» التي كان قد استقدمها من بلادها. وهكذا يذكر لنا الجبرتي أنه في رجب وشعبان ١٢٠٥هـ/ آذار ونيسان ١٧٩٩م زاد الطاعون حتى إنه «مات به ما لا يحصى ومنهم إسماعيل بك الكبير وعسكر القليونجية والأرنؤد الكائنون ببولاق ومصر القديمة والجيزة، حتى كانوا يحفرون حفرة لمن بالجيزة»[(95)].

٢ ـ الحضور الألباني خلال سنوات الحملة الفرنسية على مصر

مع قدوم سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨التي يسميها الجبرتي «أولى سنة الملاحم العزيمة والحوادث الجسيمة» المتعلقة بالحملة الفرنسية على مصر تبرز عند الجبرتي بشكل لافت بعض المعطيات التي تتعلق بالحضور الألباني في مصر.

وهكذا مع وصول الجيش الفرنسي إلى ضواحي القاهرة واندلاع القتال في إنبابة بالقرب من الأهرامات يوم ٢١ تموز ١٨٩٨م، تم اختراق جيش المماليك حتى وصل الجنود الفرنسيون إلى متاريس مراد بك. وفي تلك اللحظة يشهد الجبرتي بحضور «عدة وافرة من عساكر الأرنؤوط من دمياط»، حيث طلعوا إلى إنبابة و«انضموا إلى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس». ولكن المعركة لم تدم طويلًا كما هو معروف، حيث فرّ مراد بك ومن معه إلى الجيزة، بينما «بقيت القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة ملقاة على الأرض ببر إنبابة تحت الأرجل[(96)]».

وبعد احتلال القاهرة تابع الجيش الفرنسي سيره باتجاه العريش، حيث حاصر قلعتها في أواخر شعبان ١٢١٣هـ/ شباط ١٧٩٩م.ويذكر الجبرتي هنا أنه كان في القلعة بعض المماليك و«صحبتهم نحو ألف عسكر مغاربة وأرنؤد». ويضيف الجبرتي أنه «لم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة». فاستسلموا بعد أسبوعين من القتال. وقد أرسل حينئذ المماليك الأسرى إلى القاهرة بينما انقسم العسكر الذين استسلموا إلى قسمين: قسم رضيَ بأن يتعاون مع الفرنسيين ويبقى في القلعة، وقسم رفض ذلك فأطلق سراحه[(97)].

وكان السلطان العثماني بعد أن وصلته أخبار الحملة الفرنسية على مصر قد أمر بإرسال جيشين كبيرين: الأول عبر البر بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا، والثاني عبر البحر المتوسط بقيادة والي الأناضول مصطفى باشا الذي «حشد له عشرة آلاف من مشاة الأناضول والأرناؤوط» وأرسله مزودًا بالمدافع والسفن من سالونيك[(98)]. وفيما يتعلق بالجيش العثماني القادم من بر الشام، الذي كان يتضمن الآلاف من «الأرنؤوط»، فقد تمكن أحد قواده (مصطفى باشا

آرناؤوط) من فتح قلعة العريش في ٣ شعبان ١٢١٤هـ/ ٣١ كانون الأول ١٧٩٩م[99]. وبعد هذا النصر، الذي كانت له «تواريخ لا نهاية لها لكثير من الشعراء يزيد عددهم عن نجوم السماء»، انطلقت من العريش طليعة القوات العثمانية بقيادة طاهر باشا أرناؤط، الذي كان قد برز خلال تقدم الجيش العثماني، حيث «صحب المشار إليه جيش الإنكشارية وصحبه كذلك كافة جيوش الأرناؤط»[100]. وعندما وصل طاهر باشا مع قواته إلى بلبيس، قام القائد العام يوسف باشا بتعيين إبراهيم باشا قائدًا على جبهة دمياط و«أرسل معه حشدًا عظيمًا من الأرناؤط»، وأرسل معه ممش آغا لأنه «في الأصل كان من طائفة الأرناؤط وذا جدارة وكفاية في ضبط جند الأرناؤط وربط أمورهم»[101].

وقد أدى هذا التقدم السريع للقوات العثمانية إلى إرغام قيادة الحملة الفرنسية على القبول بالصلح في شوال ١٢١٤هـ/ آذار ١٨٠٠م، ولكن هذا الاتفاق سرعان ما انهار وعاد القتال بين الطرفين؛ مما دفع قيادة الحملة إلى تحصين القاهرة في وجه الهجمات العثمانية. وهنا يكشف لنا الجبرتي من قلب الأحداث في تلك الأيام كيف أنه «حضر نحو خمسمائة من عسكر الأرنؤوط.. فلما قربوا من مصر (القاهرة) عارضهم عسكر الفرنساوية الواقفة على التلول الخارجة، فحاموا ودافعوا عن أنفسهم منهم ودخلوا مصر[102]». وقد أثار دخول هؤلاء «الأرنؤوط» إلى القاهرة المحاصرة الحماس الكبير إذ «خرج الناس لقدومهم وضجت القلعة لحضورهم واشتدت قواهم، واتفقوا أن يقولوا للناس إذا سئلوا إنهم حاضرون مددًا، وسيأتي في أثرهم عشرون ألفًا»؛ مما أدى إلى انتشار القتال ضد الفرنسيس في أرجاء القاهرة[103].

وفي غضون ذلك كان طاهر باشا قد تقدم «وفي معيّته نحو خمسة آلاف من مشاة الأرناؤط وفرسانهم» إلى الخانكاه، حيث دارت بالقرب منها معركة عنيفة مع القوات الفرنسية انتهت بهزيمتهم[104]. وبعد هذا الانتصار تحركت القوات العثمانية الإنجليزية باتجاه القاهرة، حيث وصلوا إلى شبرا، وحاصروا القاهرة من كافة الجهات. وقد صمّم «نحو ألفين من الشجعان من سائر الفرق ومن طائفة الأرناؤط والترك» على خرق الاستحكامات الفرنسية باتجاه حي الحسينية، حيث استقبلوا بحماس كبير من السكان[105]. وبعد استسلام الفرنسيين جرى في ٥ ربيع الأول ١٢١٦هـ/ ١٦ تموز ١٨٠١م تنظيم موكب حاشد في القاهرة تقدمه أمراء المماليك ووالي مصر والعلماء والمشايخ «ثم فرسان الديوانكان، ثم فرسان الأرناؤط، ثم جند أمير الطليعة طاهر باشا»[106]، الذي برز بسرعة قائدًا للقوة الألبانية في القاهرة.

٣ ـ الحضور الألباني في مصر خلال الفترة الانتقالية١٢١٦-١٢٢٠هـ/ ١٨٠١-١٨٠٥م

على الرغم من الحماس الظاهر على سكان القاهرة لانتصار القوات العثمانية وانسحاب القوات الفرنسية، فإن الجبرتي بعين المؤرخ المدقق أخذ يتابع الوضع الجديد وما نجم عنه بالنسبة إلى سكان القاهرة الذي هو واحد منهم ويمثل مصالحهم ومشاعرهم.

وهكذا فقد أشار الجبرتي إلى ظاهرة جديدة في الأيام الأولى لعودة الحكم العثماني ألا وهي انشغال الجنود الجدد بالتجارة. فقد لاحظ الجبرتي امتعاض «أهل الأسواق لذلك» بعد أن «كثر الخبز واللحم والسمن وتواجدت البضائع وانحلت الأسعار وكثرت الفاكهة» التي «تعاطى بيع غالبها الأتراك والأرنؤد». فقد كان هؤلاء يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأعلى الأثمان»[(107)]. ويسجل الجبرتي في شهر ربيع الأول ١٢١٦هـ/ تموز/ آب ١٨٠١م أنه «كثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء في أصناف المأكولات» حيث أصبحوا «يحتكرون ما يريدون من الأصناف ويبيعونها بأعلى الأثمان ولا يسري عليهم حكم المحتسب». ولكن حتى المحتسب في ذلك الحين كان سليم آغا أرنؤوط، الذي اضطر الوالي العثماني الجديد محمد باشا إلى قتله في ١٢ شوال ١٢١٦هـ/ ١٥ شباط ١٨٠٢م لامتصاص غضب العامة وإرهاب الباعة[(108)].

ومن ناحية أخرى، فقد حرص الوالي العثماني الجديد محمد باشا على ملاحقة بقايا المماليك فأرسل في ١١ جمادى الثانية ١٢١٦هـ/ ١٩ تشرين الأول ١٨٠م طاهر باشا «بطائفة من العسكر الأرنؤوط» إلى محمد بك الألفي بالصعيد، و«وقفت طائفة العسكر والأرنؤد بالأخطاط والجهات وخارج البلد يقبضون على من يصادفونه من المماليك والأجناد»[(109)].

ومع ذلك يبدو أنه خلال الشهور الأولى من عودة الحكم العثماني الجديد أن معظم العسكر الألبان قد تمركزوا في القاهرة، حيث كونوا قوة مهمة حسمت الأمور لصالحهم فيما عرف بـ «هبة الأرنؤوط» في مطلع محرم ١٢١٨هـ/ نيسان ١٨٠٣م. وحسب الجبرتي فقد بدأت الحوادث في اليوم الأول للسنة الهجري (١ محرم/ ٢٢ نيسان ١٨٠٣) حين ذهب «جماعة من كبار العسكر» إلى الوالي محمد باشا للمطالبة برواتبهم المتأخرة فحولهم إلى محمد علي سرششمة؛ حيث حدثت أول مناوشة. وفي يوم الجمعة ٧ محرم / ٢٩ نيسان ١٨٠٣م حاصر «الأرنؤوط» بيت الدفتردار فاستنجد بالوالي، إلا أن محمد باشا ردّ على ذلك بقصف بيت الدفتردار وجموع «الأرنؤوط» من حوله. وفي يوم السبت ٨ محرم/ ٢ محرم ١٨٠٣م خرج محمد باشا بقواته من القلعة و«انقسموا فرقتين: فرقة أتت على رصيف الخشاب وفرقة على باب الهواء ليأخذوا الأرنؤوطية بينهم ويحصروهم من الجهتين»، حيث دار قتال عنيف. وقد حسم الأمر تدخل طاهر باشا مع قواته، الذي تقدم من الرميلة إلى باب العزب ومنه إلى القلعة التي استولى عليها وأخذ منها يقصف بالمدافع قوات محمد باشا الذي فوجئ بذلك. وقد استمر القتال نهار السبت بكامله و«اشتد ليلة الأحد طوال الليل»، ولما أصبح يوم الاثنين «زحف عسكر الأرنؤوط إلى جامع عثمان كتخدا والي حارة النصارى، وملكوا بولاق وعدوا بالغليون إلى بر إنبابة، كما «ذهب طائفة منهم إلى قصر العيني وقبضوا على من به من عبيد الباشا وعرّوهم وأخذوهم أسرى»، وقصفوا أخيرًا بيت الوالي إلى أن احترق مما أرغمه على الهروب من القاهرة[(110)]. وقد وصفه الجبرتي بهذه المناسبة بأنه «كان سيئ التدبير ولا

يحسن التصرف ويحب سفك الدماء ولا يتروى في ذلك، ولا يضع شيئًا في محله ويتكرم على من لا يستحق ويبخل على من يستحق»[(111)].

وبعد أن انحسر الوضع عن سيطرة طاهر باشا على مقاليد الأمور اجتمع المشايخ عند القاضي صباح يوم الجمعة ١٤ محرم ١٢١٨هـ/ ٦ أيار ١٨٠٣م وذهبوا معه عند طاهر باشا، حيث عملوا ديوانًا وقام القاضي بتقليد طاهر باشا القائمقامية إلى أن تحضر الولاية له أو لغيره، و«كلموه على رفع الحوادث والمظالم وظنوا به الخيرية»، وكتبوا بذلك محضرًا أرسلوه إلى إستانبول[(112)]. ومع هذا الانقلاب في مركز السلطة أخذ الفرز يبرز بوضوح داخل القوات العسكرية العثمانية بين «الأرنؤوط» من ناحية وبقية الإنكشارية من ناحية أخرى. ويوضح الجبرتي هنا أنه «لما خرج محمد باشا وظهر عليه الأرنؤوط شمخوا على الإنكشارية وصاروا ينظرون إليهم بعين الاحتقار مع تكبر الإنكشارية ونظرهم في أنفسهم أنهم فخذ السلطنة»[(113)].

ويشهد الجبرتي هنا أنه مع تولي طاهر باشا السلطة «صار يدفع إلى طائفة الأرنؤوط رواتبهم المتأخرة ولا يعامل بقية الإنكشارية بالمثل؛ مما أثار حنقهم وبيتوا على قتله بالاتفاق مع والي المدينة». وهكذا فقد اجتمع هؤلاء صباح الأربعاء ٤ صفر ١٤١٨هـ/ ٢٦ أيار ١٨٠٣م و«هم نحو المائتين وخمسين نفرًا بعددهم وأسلحتهم» عند طاهر باشا وألحوا في طلب رواتبهم المتأخرة، فلما رفض ذلك ضربوه بالسيف وقطعوا رأسه[(114)]. ولما انتشر الخبر في القاهرة اندلع قتال عنيف بين «الأرنؤوط» وبقية الإنكشارية، وأقيمت المتاريس في عدة جهات، و«صار الإنكشارية إذا ظفروا بأحد من الأرنؤوط أخذوا سلاحه وربما قتلوه، وكذلك الأرنؤوط يفعلون معهم». وقد بقيَ جثمان طاهر باشا مرميًّا إلى اليوم التالي حيث دفن دون رأس بقبة في بركة الفيل إلى أن وجد رأسه ودفن مع جسمه[(115)].

وقد علّق الجبرتي على ما حدث لطاهر باشا بالقول إنه قد «زالت دولته وانقضت سلطنته في لحظة»، حيث إنه لم يستمر في الحكم سوى ستة وعشرين يومًا. وبهذه المناسبة قدم الجبرتي صورة نادرة عن قرب لطاهر باشا حيث ذكر أنه «كان أسمر اللون، نحيف البدن، أسود اللحية، قليل الكلام بالتركي فضلًا عن العربي ويغلب عليه لغته الأرنؤوطية، وفيه هوس وانسلاب للمسلوبين والمجاذيب والدراويش. وعمل له خلوة بالشيخونية، وكان يبيت فيها كثيرًا ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردي إلى السطح في الليل ويذكر معه»[(116)].

وقد تصادف حينئذ في ذلك النهار وجود أحمد باشا في القاهرة، في طريقه إلى المدينة المنورة لولايتها، فحاول استغلال الوضع وإقناع المشايخ بالعمل معه؛ حيث طالبهم بجمع الناس وأمرهم بـ «الخروج على الأرنؤوطية وقتلهم». ولكن «ولاية» أحمد باشا كما يقول الجبرتي لم تستمر سوى «يومٍ وليلة لا غير» (مساء الأربعاء ٤ صفر ونهار الخميس ٥ صفر ١٢١٨هـ/٢٦-٢٧ أيار ١٨٠٣م). إذ تحالف ضده «محمد علي والأرنؤد» الذين كانوا يسيطرون على القلعة وأمراء

المماليك بزعامة إبراهيم بك، الذي وجه إنذارًا لأحمد باشا بمغادرة القاهرة فورًا، حيث خرج من بيته في حالة مزرية مساء يوم الخميس ٥ صفر هـ/ ٢٧ أيار ١٨٠٣م و«دخل الأرنؤوط ونهبوا جميع ما فيه»[(117)].

ويذكر الجبرتي في هذا السياق كيف أن «الأرنؤوط» في أنحاء القاهرة عمدوا إلى الانتقام من العسكر «الأتراك» الذين كانوا وراء اغتيال طاهر باشا. وهكذا فقد «استمر الأرنؤوط كلما مرت منهم طائفة ووجدوا شخصًا في أي جهة له شبه بالأتراك قبضوا عليه وأخذوا ثيابه». كما أنهم تمكنوا في يوم الاثنين ٩ صفر من قتل اثنين من قواد الإنكشارية الأتراك (إسماعيل آغا وموسى آغا) اللذيْن قتلا طاهر باشا[(118)].

وفي هذا الإطار من التحالف الجديد بين زعماء المماليك وزعماء «الأرنؤوط» في هذا الوضع الانتقالي يخبرنا الجبرتي عن قيام عثمان بك البرديسي بعمل «عزومة» حضرها إبراهيم بك و«محمد علي ورفقاؤه»، حيث «ألبسوا محمد علي ورفقاءه خلعًا». وقد تكررت هذه «العزومة» في اليوم التالي لابن أخي طاهر باشا، الذي كان يسيطر على القلعة. ويبدو أن زعماء المماليك كانوا يسعون بذلك لكسب ود «الأرنؤوط» ليحلوا محلهم في القلعة. وقد تم هذا في يوم الأحد ٥ صفر ١٢١٨هـ/ ٢٧ أيار ١٨٠٣م عندما «نزل ابن أخي طاهر باشا من القلعة ومن معه من أكابر الأرنؤوط وأعيانهم وعساكرهم.... وسلموا القلعة إلى الأمراء المصرلية»، ولكن بقيَ فيها «طائفة من الأرنؤوط وعليهم كبير يقال له حسن القبطان»[(119)].

وقد تعزز هذا التحالف الجديد بين زعماء المماليك وزعماء «الأرنؤوط» مع قدوم الوالي الجديد علي باشا الطرابلسي في أواخر ربيع الأول ١٢١٨هـ/ حزيران ١٨٠٣م. وكان علي باشا قد أرسل من الإسكندرية كتابًا إلى زعماء المماليك يلومهم فيه على قدومهم إلى القاهرة و«معاونة الأرنؤوطية وقتل رجال الدولة والإنكشارية»، ولكنه وعدهم بتأمين عفو لهم من الدولة. وهكذا وصل بالفعل في شعبان ١٢١٨هـ/ تشرين الثاني ١٨٠٣م «الخط الشريف» الذي يحمل «الرضا عن الأمراء المصرلية بشفاعة صاحب الدولة الصدر الأعظم يوسف باشا»[(120)]. ولكن علي باشا كان يراسل في الوقت نفسه زعماء «الأرنؤوط» ويمنيهم بالوعود في حالة وقوفهم معه ضد زعماء المماليك. وقد اطلع زعماء «الأرنؤوط» أمراء المماليك على هذه المراسلات، واتفق الطرفان على التظاهر بعدم معرفة ما يخطط له علي باشا. ويذكر الجبرتي كيف أن الطرفيْن تحايلا عليه عند وصوله إلى ضواحي القاهرة، حيث استولوا على مراكبه وأقنعوه بعدم دخول القاهرة مع الإنكشارية لأن «البلدة في قحط وغلاء والعساكر العثمانية منحرفو الطباع ولا يستقيم حالهم مع الأرنؤوطية ويقع بينهم ما يوجب الفشل». وفي منتصف شوال ١٢١٨هـ/ أواخر كانون الثاني ١٨٠٤م حدث قتال مفاجئ في عسكر علي باشا سقط معه صريعًا. ولا يخفي الجبرتي هنا ارتياحه لما حدث له لأن «كل ذلك وبال فعله وسوء سريرته وخبث ضميره»، حيث يكشف أن علي باشا وعد عسكره بالقول: «إن بلغت مرادي من الأمراء المصريين وظفرت بهم

وبالأرنؤد أبحت لكم المدينة والرعية ثلاثة أيام تفعلون بها ما شئتم»[(121)].

وبعد هذا النجاح للتحالف الجديد أقنع أمراء المماليك زعماء «الأرنؤوط» بخروج من بقيَ منهم من القلعة التي آلت إليهم تمامًا. وهكذا يخبرنا الجبرتي عن تطور مهم حصل في يوم الاثنين الأول من ذي القعدة ١٢١٨هـ/ ١٢ شباط ١٨م عندما «أنزلوا حسين قبطان ومن معه من عسكر الأرنؤوط من القلعة، وكانوا نحو الأربعمائة فذهبوا إلى بولاق، وسكنوا فيها بعد أن أخرجوا السكان من دورهم بالقهر عنهم»، و«لم يبقَ بالقلعة من أجناسهم سوى الطبجية المتقيدين بخدمة المصرلية»[(122)].وهكذا يوضح لنا الجبرتي هنا بامتعاض عن كيفية تحول بولاق إلى مركز لسكن هذا العدد الكبير من «الأرنؤوطية» الذين نزلوا من القلعة واستقروا هناك.

وفي هذا السياق يكشف الجبرتي عن دور اللاعب الرئيس وسط ما يجري في القاهرة، ألا وهو محمد علي، الذي يبدو أنه المخطط لكل ما يجري من وراء ستار. وهكذا يوضح الجبرتي أن محمد علي هو الذي «حرش العساكر على محمد باشا وأزال دولته» وذلك بـ «معونة طاهر باشا والأرنؤد»، ثم ينسب إليه تحريضه للأتراك ضد طاهر باشا «حتى أوقع به أيضًا». ولما ظهر على الساحة أحمد باشا تحرك محمد علي و«أزاله بمعونة الأمراء المصرلية». وبفضل هذا التحالف الجديد مع أمراء المماليك نجح محمد علي في «التحايل على علي باشا الطرابلسي حتى أوقعوه في فخهم وقتلوه ونهبوه». وبعد ذلك جاء الدور على أمراء المماليك ليتخلص منهم، حيث إنه أيد عثمان بك البرديسي ضد محمد بك الألفي ليتفرغ أخيرًا للتخلص من البرديسي الذي كان قد «تآخى معه وجرح كل منهم نفسه ولحس من دم الآخر». ولأجل ذلك كما يوضح الجبرتي، قام محمد علي بلعبة مثيرة حيث إن رجاله فرضوا ضريبة (فردة) جديدة و«نسب فعلها للبرديسي فثارت العامة». وعند ذلك «تبرأ محمد علي والعسكر من ذلك وساعدوهم في رفعها عنهم، فمالت قلوبهم إليه ونسوا قبائحهم وابتهلوا إلى الله في إزالة الأمراء»[(123)].

وهكذا، بعد أن رتب محمد علي كل هذه الحركات، جاء اليوم الذي قرّر فيه التخلص من البرديسي والانفراد بالزعامة. ففي ٢٨ ذي القعدة ١٢١٨هـ/ ١٠ آذار ١٨٠٤م اجتمع «الأرنؤوطية» في الأزبكية، التي كانت المركز الآخر لتجمعهم في القاهرة، حيث أرسلوا من هناك قواتهم لحصار البرديسي وإبراهيم بك في مقرهما. وبعد استسلام وانسحاب البرديسي مع من بقيَ من رجاله استسلم وانسحب أيضًا إبراهيم بك، وكذلك «الذين بالقلعة من الأمراء» بعد أن أخذوا «يضربون بالمدافع والقنابر على بيوت الأرنؤوط بالأزبكية» إلى أن «تحققوا خروج إبراهيم بك والبرديسي ومن أمكنه الهرب». وبهذا تمكن محمد علي وجماعته من الصعود إلى القلعة وتسلمها «من غير مانع»[(124)].

وقد تزامن ذلك مع قدوم الوالي الجديد المعين من إستانبول (أحمد باشا) وقدوم قوات جديدة من الدلاتية[(125)] من برّ الشام الذين أنزلوا في القاهرة القديمة وأخذوا بترويع السكان هناك[(126)]؛ مما أفسح المجال لمحمد علي

للتحرك من جديد لإزالة أحمد باشا من طريقه كما يذكر الجبرتي[127]. وهكذا حضر في أول صفر ١٢٢٠هـ/ أول أيار ١٨٠٥م حشد من سكان القاهرة القديمة إلى الجامع الأزهر «يشكلون ويستغيثون من أفعال الدلاتية» مما دفع المشايخ إلى الصعود إلى القلعة ومطالبة الوالي بالتدخل. ولما عجز أحمد باشا عن السيطرة على هؤلاء الدلاتية اجتمع المشايخ صباح يوم الخميس بالأزهر وتركوا التدريس فيه. وقد استمر هذا «الإضراب» عن التدريس إلى يوم الجمعة ١٠ صفر ١٢٢٠هـ/ ١٠ أيار ١٨٠٥م و «غالب الأسواق والدكاكين مقفلة». وقد تصادف في ذلك الوقت وصول فرمان من السلطان بتعيين محمد علي واليًا على جدة، ولكنه امتنع عن الصعود إلى القلعة لقبول الخلعة مما أرغم أحمد باشا على الهبوط إلى المدينة، حيث حوصر هناك من العسكر الناقمين عليه. وفي هذا الوضع اجتمع العلماء صباح الاثنين ١٣ صفر ١٢٢٠هـ/ ١٣ أيار ١٨٠٥م في بيت القاضي، و«كذلك اجتمع الكثير من العامة» هناك وركب الجميع إلى بيت محمد علي بالأزبكية وقالوا له: «إنا لا نريد هذا الباشا حاكمًا علينا ولا بد من عزله»، ولما سألهم عمن يريدونه أجابوه: «لا نرضى إلا بك وتكون واليًا علينا بشروطنا»، فامتنع أولًا ثم رضي[128].

ويكشف الجبرتي هنا عن أمر مهم ألا وهو الانقسام بين زعماء «الأرنؤوط» حول هذا التطور المفاجئ، إذ إن بعضهم أيَّد محمد علي بينما انحاز بعضهم إلى الوالي «المخلوع» من قبل العلماء. وهكذا يذكر الجبرتي أنه «طلع عمر بك الأرنؤدي الساكن ببولاق عند الباشا بالقلعة» وكذلك صالح آغا قوش، وهما من أهم زعماء «الأرنؤوط» في تلك الفترة؛ وذلك لتأييده في موقفه.ويضيف الجبرتي أن «محمد علي والمشايخ كتبوا مراسلة إلى عمر وصالح آغا قوش المعضدين لأحمد باشا المخلوع ويذكران لهما ما اجتمع عليه رأي الجمهور من عزل الباشا، ولا ينبغي مخالفتهم وعنادهم لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم وخراب الإقليم». ولكن عمر آغا وصالح آغا طلبا «سندًا شرعيًّا في ذلك»؛ مما جعل المشايخ يجتمعون في يوم الخميس ١٦ صفر ١٢٢٠هـ/ ١٦ أيار ١٨٠٥م ويكتبون فتوى حول ذلك. ومع أنه نتيجة لذلك كما يضيف الجبرتي: «نزل كثير عن إقناع الباشا وانحل عنه طائفة الينكجرية» فإنه «لم يبقَ معه إلا طوائف الأرنؤوط المغرضون لصالح آغا قوش وعمر آغا»[129].

ويبدو أن المشايخ قد وسطوا إخوة طاهر باشا، الذين بقوا بعد قتله في القاهرة وأصبحوا من زعماء «الأرنؤوط»[130]؛ حيث ذهبوا أولًا عند حسن بك. وفي يوم الجمعة ٢٤ صفر ١٢٢٠هـ/ ٢٤ أيار ١٨٠٥ م طلع أخوه عابدين بك إلى القلعة وأنزل من هناك عمر بك وأزال المتاريس.

وفي اليوم التالي ركب الشيخ عمر وكُرِّم في قلة من النـاس وذهـب إلى بيـت حسن بك، حيث كان هناك عمر بكَ بعد نزوله من القلعة. وينفرد الجبرتي هنا بنقل نقاش مثير بين العمرين (عمر مكرم وعمر آغا) حول شرعية ما حدث. فقد استنكر عمر آغا ما حدث سائلًا عمر مكرم: «كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»؟، فرد عليه

عمر مكرم: أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل، وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة»[131].

وقد حسم الأمر أخيرًا في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٢٢٠هـ/ ١٠ حزيران ١٨م مع وصول رسول السلطان العثماني الذي كان يحمل الفرمان بتثبيت محمد علي في الولاية. ويصف لنا الجبرتي الموكب الكبير الذي خرج في ذلك اليوم، والذي تقدمه «كتخدا محمد علي وأكابر الأرنؤوط وطائفة من العسكر كبيرة والوجاقلية وكثير من الفقهاء العاملين رؤوس العصب، وأهالي بولاق ومصر القديمة» إلى بيت محمد علي بالأزبكية، وبعد أن «حضر المشايخ والأعيان» قرأ هناك الفرمان بتثبيت محمد علي واليًا على مصر» حيث رضيَ بذلك العلماء والرعية[132]».

٤ ـ الحضور الألباني في مصر بعد وصول محمد علي إلى الحكم

على الرغم من الانقسام الذي حصل بين زعماء «الأرنؤوط» في صفر ١٢٢٠هـ/ أيار ١٨٠٥م حول الموقف من الوالي الجديد أحمد باشا؛ حيث انحاز محمد علي وبعض زعماء «الأرنؤوط» إلى صف علماء الأزهر الذين طالبوا وأفتوا بعزله، بينما وقف بعض زعماء «الأرنؤوط» مثل عمر بك وصالح آغا مع الوالي المعزول، فإن الظروف التي واكبت تولي محمد علي الحكم أدت إلى تعاضد الجميع في وجه الخطرين اللذيْن كانا يهددان الحكم الجديد: المماليك من الجنوب والإنجليز من الشمال[133]. ولكن هذا التعاضد بين زعماء «الأرنؤوط» سرعان ما انهار بعد انحسار الخطر المشترك المملوكي/ الإنجليزي، وعاد الانقسام القديم على أشده وصولًا إلى ما عرف بـ «نزاع» رمضان ١٢٢٢هـ/ تشرين الثاني ١٨٠٥م الذي خلده التراث الشعبي الألباني في عدة قصائد، وكما في بقية الأمور فإن الجبرتي يمثل هنا مصدرًا مهمًّا لمعرفة أسباب وتطورات ونتائج النزاع بين زعماء «الأرنؤوط».

ويكشف الجبرتي هنا عن أن بداية هذا «النزاع» تعود إلى يوم الاثنين ٢٣ شعبان ١٢٢٠هـ/ ١٦ تشرين الثاني ١٨٠٥م عندما «اجتمع عسكر الأرنؤوط والترك على بيت محمد علي وطلبوا علائفهم فوعدهم بالدفع، فقالوا: لا نصبر وضربوا بنادق كثيرة... ثم انصرفوا وتفرقوا وارتجت البلدة». وفي اليوم التالي (الأربعاء) بقيَ «الحال على ما هو من الاضطراب»؛ ولذلك فقد انتقل محمد علي من داره بالأزبكية إلى القلعة لشعوره بالخطر على حياته. ومع اكتشاف العسكر لذلك ساد الهرج يوم الخميس واستمر عليه حتى يوم الجمعة؛ حيث جرت تداخلات جديدة بين القوى العسكرية المختلفة الموجودة في القاهرة (الأرنؤوط والأتراك والدلاتية). وهكذا يوضح الجبرتي المتابع للحوادث كيف انتهى إليه الأمر آنذاك: «الأرنؤوط فرقتان: فرقة تميل إلى الأتراك وفرقة تميل إلى جنسها، والدلاة تميل إلى الأتراك وتكره الأرنؤوط»[134].

ومع هذا الانقسام الجديد بين زعماء «الأرنؤوط» تطور الأمر فجأة في يوم الخميس ١٨ رمضان ١٢٢٢هـ/ ١٩ تشرين الثاني ١٨٠٥م عندما «قصد محمد

علي نفي رجب آغا الأرنؤدي وأرسل إليه يأمره بالخروج والسفر بعد أن قطع خرجه وأعطاه علوفته»؛ حيث كان من الزعماء الذين حرضوا العسكر عليه في نهاية شعبان ١٢٢٢هـ/ تشرين الثاني ١٨٠٥م. ولكن رجب آغا رفض السفر بحجة وجود حساب قديم له مع محمد علي. إلا أن الجبرتي يفسر هذا الرفض للسفر بأمر آخر ألا وهو أن رجب آغا وأمثاله كان « لا يهون لهم مفارقة مصر التي صاروا فيها أمراء وأكابر بعد أن كانوا يتخبطون في بلادهم ويتكسبون بالصنائع الدنيئة ».[(135)]

ومع استمرار هذا «العناد» كما يسميه الجبرتي، والذي يشتهر به «الأرنؤوط»، قام رجب آغا بـ«جمع جيشه إليه من الأرنؤوط بناحية سكنه» في باب اللوق؛ مما دفع محمد علي إلى إرسال قوة من «الأرنؤوط» من باب الخرق كما حضرت قوة من الأتراك من جهة المدابغ وأقيمت المتاريس بين الطرفين مما روّع السكان هناك؛ حيث شاهد الجبرتي بأم عينه ما حصل للبيوت المجاورة[(136)]. وقد تدخل في هذا «النزاع» ليلة الأحد/ الاثنين ١٢ رمضان ١٢٢٢هـ/ ١٣ تشرين الثاني ١٨٠٥م «عمر بك كبير الأرنؤوط الساكن ببولاق وصالح قوج»، اللذان كانا قد وقفا ضد تولية محمد علي وأيدا أحمد باشا «المخلوع» فأخذا رجب آغا إلى بولاق «وبطل الحرب بينهم ورفعوا المتاريس في حينها وانكشفت الواقعة عن نهب البيوت... ومات فيما بينهم أنفار قليلة وكذلك مات أناس وانجرح أناس من أهل البلد»[(137)]. ومع ذلك فقد أصر محمد علي على سفر رجب آغا من مصر، وهو ما تحقق في ٢٥ رمضان ١٢٢٢هـ/ ٢٦ تشرين الثاني ١٨٠٥م، ولكن الجبرتي يوضح أنه قد «تخلف عنه كثير من عساكره وأتباعه» من «الأرنؤوط» الذين بقوا في القاهرة[(138)].

ولكن الموقف بين هؤلاء (محمد علي وعمر بك وصالح آغا) سرعان ما تعقد مرة أخرى في ذي الحجة ١٢٢٢هـ/ ٣٠ كانون الثاني ١٨٠٨م بسبب ياسين بك. وكان محمد علي قد أنعم علي ياسين بك عند قدومه إلى القاهرة ودفع إليه كل ما طلب لكي «يسافر مع أتباعه إلى الإسكندرية لمحاربة الإنكليز»، وحتى إنه «قلد أباه كشوفية الشرقية» في ربيع الأول ١٢٢٢هـ/ أيار ١٨٠٧م. ولكن ياسين بك جمع بحجة القتال ضد الإنكليز كل «عاهر وأزعر ومخالف وعاق... وتطلعت نفسه للرياسة وداخله الغرور، وانتشرت أوباشه يعبثون في الضواحي». وبهذا أصبح الخطر يتهدد القاهرة نفسها؛ مما أرغم محمد علي في ١٩ ربيع الأول هـ/٢٧ أيار ١٨٠٧م على «أمر عساكره الأرنؤوط بالاجتماع إليه والخروج إلى ناحية بولاق.... وأحالوا بينه وبين بولاق ومصر»[(139)]. وبعد توسط الزعماء للصلح بينهما تكرر الموقف نفسه عندما أرسل محمد علي ياسين بك لقتال المماليك في الصعيد في ذي الحجة ١٢٢٢هـ/ شباط ١٨٠٨م، ولكنه انهزم وولى هاربًا إلى المنية مما أثار عليه غضب محمد علي. ولذلك عندما حضر بطلب من محمد علي إلى القلعة أراد أن يقتله فـ«تعصب له عمر بك الأرنؤدي وصالح قوج وغيرهما». وبعد عدة أيام (الجمعة ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٢هـ/ ٢٠ شباط ١٨٠٨م) «تكلم عمر بك وصالح آغا مع الباشا في أمره وأن يقيم في مصر»، ولكن محمد

علي آصر على قتله ووافق أخيرًا على سفره إلى قبرص[140].

ويبدو أن ما حصل قد ترك أثره على العلاقة المتوترة في الأصل بين محمد علي وعمر بك وصالح آغا، حتى جاءت الفرصة المناسبة لكي يحسم محمد علي أمره ويتخلص منهما. ففي صفر ١٢٢٤هـ/ آذار ١٨٠٩م كان قبودان بولاق يقوم بتجهيز حملة ضد المماليك في الصعيد وأراد أخذ مركب يخصّ «شخصًا من الأرنؤوط الذين يتسببون في بيع الغلال عند قرية تسمى سهرجت فحجره ليأخذ منه السفينة»، ولكن «الأرنؤدي» رفض وقتل القبودان عندما سلَّ عليه سيفه. وقد هرب هذا «الأرنؤدي» إلى بولاق والتجأ هناك عند عمر بك الأرنؤدي. وقد امتعض محمد علي من ذلك وطلب من عمر بك «الأرنؤدي القاتل للقبودان»، وشدّد في طلبه حتى إنه هدد عمر بك بإحراق داره إذا لم يسلمه. وقد أثار هذا التهديد عمر بك، مع ما في نفسه من رواسب، فامتنع عن تسليمه و«جمع إليه طائفة الأرنؤوط وصالح آغا قوج جاره» استعدادًا للمواجهة. وقد توجه محمد علي نفسه على رأس قوة إلى بولاق في يوم الخميس: ١٣ صفر ١٢٢٤هـ/ ٣٠ آذار ١٨٠م حيث «حصل قلقة وانزعاج» كما يشهد الجبرتي. وبعد يومين من التوتر لجأ «الأرنؤدي القاتل» إلى «كبير من كبار الأرنؤوط» (دون أن يسميه الجبرتي) فهدد محمد علي بقتله إذا لم يرسل له رأس «الأرنؤدي القاتل»، وهو ما حصل في يوم الخميس ١٥ صفر ١٢٢٤هـ/١ نيسان ١٨٠٩م، وقد انتهز محمد علي هذه الفرصة و«أمر عمر بك الأرنؤدي بالسفر من مصر وقطع خرجه ورواتبه فلم يسعه المخالفة» في أواخر صفر ١٢٢٤هـ/ ١٥ نيسان ١٨٠٩م[141]. ويخبرنا الجبرتي أخيرًا أنه في يوم السبت ٣ جمادى الأولى ١٢٢٤هـ/ ١٦ حزيران ١٨٠٩م «نزل عمر بك الأرنؤدي إلى المراكب من بيته في بولاق وسافر عن طريق دمياط ليذهب إلى بلاده، وسافر معه نحو المائة وهم الذين جمعوا الأموال». ولا يفوت الجبرتي هنا الملاحظة بأنه «اجتمع لعمر بك المذكور من المال والمنوال أشياء كثيرة عبّاها في صناديق كثيرة وأخذها معه، وذلك خلاف ما أرسله إلى بلاده في دفعات قبل تاريخه»[142].

وأما فيما يتعلق بصالح قوج فقد كان محمد علي قد قرّر في رجب ١٢٢٤هـ/ آب ١/م إرسال قواته إلى الصعيد لمحاربة أمراء المماليك، وحرص على إرسال زعماء «الأرنؤوط» على رأس هذه القوات مثل صالح قوج وأحمد بونابرته وحسن باشا وعابدين بك (إخوة طاهر باشا) وغيرهم. وفي جمادى الأولى ١٢٢٥هـ/ حزيران ١٨١٠م «وصلت الأخبار بأن حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك وعساكر الأرنؤوط وصلوا إلى ناحية حول والبرنبل فوجدوا المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البحر فحاربوهم حتى أجلوهم عنها». ولكن أمراء المماليك عادوا و«دهموا الأرنؤوط من كل ناحية فوقع بهم مقتلة عظيمة وأخذوا منهم عدة بالحياة»[143].ومع ذلك فقد أخذت قوات «حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك ومن معهم» البادرة مرة أخرى وصعدوا جنوبًا و«ملكوا البنادر حتى جرجا»[144]. ويبدو أنه بسبب ذلك أمر محمد علي بتعيين صالح قوج حاكمًا على أسيوط في نهاية ١٢٢٥هـ/ كانون الأول ١٨١٠م[145].

وفي ذلك الوقت كان محمد علي لا يزال يحتاج إلى زعماء «الأرنؤوط» حتى يتخلص تمامًا من أمراء المماليك، وهو ما نفذه فيما سميَ بـ «مجزرة القلعة» في يوم الجمعة ٦ صفر ١٢٢٦هـ/ ٢ آذار ١٨١١م. ويكشف الجبرتي هنا أن محمد علي قد أسرّ بما يريده لثلاثة فقط من زعماء «الأرنؤوط» (حسن باشا وصالح قوج والكتخدا) بينما أبلغ الرابع (إبراهيم آغا آغات الباب) بذلك في صباح ذلك اليوم. ويضيف الجبرتي أنه عندما اكتمل دخول موكب المماليك إلى القلعة «أمر صالح قوج بغلق الباب وعرّف طائفته بالمراد فالتفوا ضاربين بالمصرية[(146)]».

وبعد أن قتل أمراء المماليك في القلعة «أصبح يوم السبت والنهب والقتل والقبض على المتوارين والمتخفين من المماليك في أحياء القاهرة». و«أكثر من كان يقبض عليهم عساكر حسن باشا الأرنؤدي فيكبسون عليهم في الدور أو الأماكن التي تواروا فيها واستدلوا عليهم فيقبضون على من يقبضون عليه وينهبون من الأماكن ما يمكنهم حمله»[(147)]. وبعد هذه «المجزرة» أصبح في وسع محمد علي أن يرسل خيرة قواته إلى الحجاز لمواجهة الدولة السعودية الناشئة هناك بناء على أمر السلطان العثماني. وقد استعرض محمد علي في يوم الأحد ٦ ربيع الأول ١٢٢٦هـ/ ٣١ آذار ١٨١١م موكب الجيش الذاهب إلى الحجاز بقيادة ابنه طوسون باشا. وقد وصف الجبرتي هذا الموكب الذي تصدّره «عشرة مدافع كبار... وخلفهم طوائف العسكر الرجالة أرنؤوط وأتراك وسجمان وهم كثيرون ثم كبارهم ركبانًا بطوائفهم»[(148)].

وبعد ذهاب هذا الجيش الكبير إلى الحجاز، الذي سحب معه الكثير من «الأرنؤوط» وكبارهم، شعر محمد علي بالأمان فذهب إلى الإسكندرية في منتصف ربيع الأول ١٢٢٦هـ/ ٩ نيسان ١٨١١م؛ حيث «اجتهد ببناء أسوار إسكندرية وجدد بها أبراجًا وحصونًا»، إلى أن عاد إلى القاهرة في آخر الشهر. ويخبرنا الجبرتي هنا عن أمر مهم تزامن مع وصول محمد علي؛ حيث «وصلت عساكر كثيرة من الأرنؤوط والأتراك حتى غصّت بهم المدينة فلا يكاد المار يقع بصره إلا عليهم أمام وخلف وبداخل الأزقة والعطف، وذلك خلاف الذين أقرهم وأبقاهم (محمد علي) في الإسكندرية ومن هو بالجهات والأقاليم القبلية والبحرية»[(149)].

ومن ناحية أخرى فقد وردت آنذاك الأخبار من الجيش المرسل إلى الحجاز، وبالتحديد عن هزيمته أمام القوات السعودية في الصفراء التي حدثت في ١٧ ذي القعدة ١٢٢٦هـ/٣ كانون الأول ١٨١١م. ويكشف لنا الجبرتي عن الفوضى التي حلّت بالجيش إثر ذلك خلال انسحابه إلى ميناء ينبع. وفي هذا الإطار يبرز لنا الجبرتي كيف أن صالح قوج «كرّ راجعًا إلى القصيد واستقل برأيه لأنه يرى في نفسه العظمة وأنه الأحق بالرئاسة ويسفه رأي المحروقي وطوسون باشا ويقول: هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتدبير الحروب». ويضيف الجبرتي أن كل ذلك وصل إلى محمد علي في القاهرة فـ «حقده في نفسه، وتمم ذلك بسرعة رجوعه إلى القصير ولم ينتظر إذنًا في الرجوع أو المكث»[(150)].

وفي الواقع لم يكن الأمر يتعلق بصالح قوج فقط بل بثلاثة آخرين من زعماء الأرنؤوط (محو بك وسليمان آغا وخليل آغا) الذين كان محمد علي يعتبرهم من أسباب الهزيمة التي لحقت بقواته في الحجاز. ومن هنا فقد شكّل وصول هؤلاء الزعماء إلى القاهرة في آخر جمادى الثانية ١٢٢٧هـ/ ٩ تموز ١٨١٢م فرصة للمواجهة الأخيرة بين محمد علي وزعماء «الأرنؤوط» الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من الأنداد له. وهكذا يخبرنا الجبرتي كيف أن هؤلاء طلعوا إلى القلعة في ٣ رجب ١٢٢٧هـ/ ١٣ تموز ١٨١٢م للسلام على محمد علي الذي كان منزعجًا لأنه طلب قدومهم «مجردين دون عساكرهم ليتشاور معهم فحضروا بجملة عساكرهم». في تحدٍّ واضح له، خصوصا أنه «ثبت عنده أنهم هم الذين كانوا سببًا للهزيمة». ويوضح الجبرتي أنهم بقوا على هذه الحالة حوالي عشرين يوما و«أمرهم في ارتجاج واضطراب وعساكرهم مجتمعة حولهم»، إلى أن قرّر محمد علي «قطع خرجهم وعلائفهم» وطلب منهم مغادرة مصر[(151)].

ويكشف الجبرتي هنا عما حلّ بهم إثر هذا القرار الحاسم. فقد «شرعوا في بيع بيوتهم وتعلقاتهم، وضاق ذرعهم وندر طبعهم إلى الغاية، وعسر عليهم مفارقة أرض مصر وما صاروا فيه من التنعم والرفاهية والسيادة والإمارة والتصرف في الأحكام والمساكن العظيمة والزوجات والسراري والخدم والعبيد والجواري»[(152)]. ويذكر الجبرتي بهذه المناسبة كيف أن محمد علي كان حريصًا على أن يسافر صالح قوج بأقصى سرِعة خشية أن يثير بقية زعماء «الأرنؤوط» ضده، وهو ما ثبت بعد ذلك. ولم يتوانَ محمد علي، كما يكشف الجبرتي، عن دفع كل ما طلبه صالح قوج «حتى إنه أنشأ مسجدًا بساحل بولاق بجوار داره وبنى له منارة ظريفة واشترى له عقارًا وأمكنه وقفها على مصالح ذلك المسكن فدفع له الباشا جميع ما صرف عليه»[(153)]. وفي هذا الحال لم يفت الجبرتي كيف أن محمد علي بالغ في العطاء لبقية زعماء «الأرنؤوط» كحسن باشا وعابدين بك (أخوي طاهر باشا) لكي ينفكوا عن صالح قوج وجماعته «حتى مالوا عنه وفارقهم الكثير من عسكرهم وانضموا إلى أجناسهم المقيمين عند حسن باشا وأخيه»[(154)]. وبعد كل هذا التمهل، الذي كان له سببه كما سنرى، جاء يوم الخميس ١٩ شعبان ١٢٢٧هـ/ ٢٨ آب ١٨١٢م ليشهد سفر صالح قوج حيث «صحبه نحو المائتين ممن اختارهم من عساكره الأرنؤوطية وتفرق عنه الباقون وانضموا إلى حسن باشا وأخيه عابدين بك وغيرهما»[(155)].

ويبدو أن تصرف أو تحمل محمد علي كان له ما يبرره، إذ إن تخلصه من صالح قوج ساعده على التخلص من آخر زعيمين معارضين له من «الأرنؤوط» الذين كان يحسب لهم حسابهم، فمع انتشار خبر قطع محمد علي لـ «خرج» المذكورين (صالح قوج ومحو بك وسليمان آغا وخليل آغا) وأمرهم بالسفر من مصر أرسل إليه أحمد بك، وهو من «عظماء الأرنؤوط وأركانهم» كما يصفه الجبرتي، إلى محمد علي يطلب منه أيضًا «قطع خرجه» لكي يسافر مع أُخوانه ولكن محمد علي ردّ عليه بلطف نظرًا إلى ما كانت له من مكانة. إلا أنه انتهز فرصة مرضه فـ «أرسل حكيمه فسقاه شربة وفصده فمات من ليلته» كما

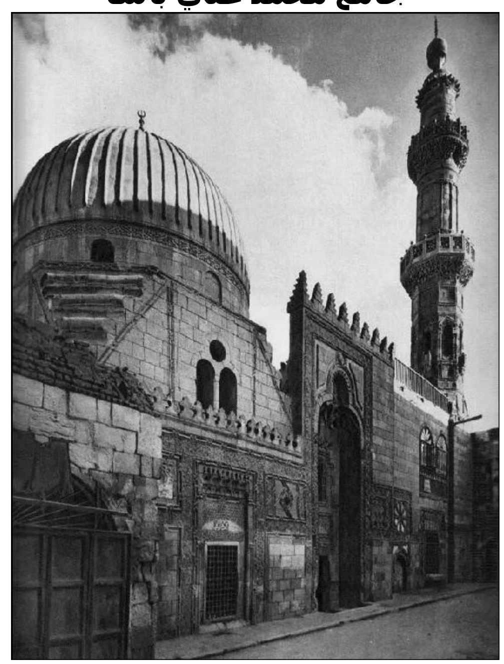
يكشف الجبرتي. ومن هنا فقد كانت جنازته في آخر رجب ١٢٢٧هـ/ ٧ آب-أغسطس ١٨١٢م تعبّر عن مكانته؛ حيث «خرج أمامه صالح آغا وسليمان آغا وهما راكبان أمامه، وطوائف الأرنؤوط عدد كبير مشاة حوله»[(156)].

أما الزعيم الآخر المهم الذي تخلص منه محمد علي بهذه المناسبة فقد كان أحمد آغا.وكان أحمد آغا كما يصفه الجبرتي «عظيمًا فيهم ومن الرؤساء المعدودين، صاحب همة وشهامة وإقدام، جسورًا في الحروب والخطوب، وهو الذي مهد البلاد القبلية وأخلاها من الأجناد المصرية». وفي ذلك الوقت كان أحمد آغا «حاكم قنا ونواحيها»، عندما مرّ به في طريق العودة صالح قوج وجماعته، الذين أخبروه عن مخاوفهم من انقلاب محمد علي عليهم. ولذلك فقد اتفقوا على أنه إذا تحقق ذلك يكتبون له فـ «يأتيهم على الفور بعسكره وجنده وينضم إليه الكثير من المقيمين بمصر (القاهرة) من طوائف الأرنؤوط كعابدين بك وحسن باشا بعساكرهم لاتحاد الجنسية»[(157)]. ولما قطع محمد علي «خرج» المذكورين وأمرهم بالسفر أخبروا أحمد آغا بذلك فكتب إلى محمد علي يظهر انشقاقه ويطلب إليه السفر مع إخوانه. ولكن محمد علي أبقى حامل الكتاب في القلعة إلى أن تأكد من سفر قوج وجماعته فرد على أحمد باشا بالموافقة وطلب منه أن يأتي وحده إلى القاهرة دون قواته، وهكذا وصل أحمد بك إلى القلعة مع خمسين من رجاله فقط ليلة ٢٧ رمضان ١٢٢٧هـ/ ٤ تشرين الأول ١٨١٢م؛ حيث أنبه محمد علي على ما فعله ثم أمر بقتله وقت السحور[(158)].

وبهذا يمكن القول إن محمد علي تمكن أخيرًا في ١٢٢٧هـ/١٨١٢م من التخلص من كبار زعماء «الأرنؤوط» الذين كانوا يتعاملون معه بندية كواحد منهم مع أنه أصبح واليًا على مصر، وبقوا لذلك يشكلون مصدر إزعاج أو تهديد لمشروعه في بناء دولة مركزية حديثة. وبالمقارنة مع هؤلاء فقد حرص محمد علي على أن يبقى إلى جانبه حسن باشا وعابدين بك (أخوَا طاهر باشا) بما كان يغدقه عليهما. وفي غضون ذلك كان الجبرتي قد نقل لنا في حوادث ربيع الثاني ١٢٢هـ/ أيار ١٨٠٩م خبرًا مهمًّا يتعلق بوصول «زوجة الباشا أم أولاده وابنه الصغير واسمه إسماعيل... وكثير من أقاربهم وأهاليهم، حضر الجميع من بلدهم قولة إلى إسكندرية». ويعلق الجبرتي هنا على ذلك بالقول إنه «لما طابت لهم واستوطنوها وسكنوها وتنعموا فيها أرسلوا إلى أهاليهم وأولادهم وأقاربهم بالحضور، فكانوا في كل وقت يأتون أفواجًا نساءً ورجالًا وأطفالًا»[(159)]. ولا يخفى هنا أن محمد علي اعتمد على هذه «الموجة الجديدة» في تكوين السلالة الحاكمة الجديدة التي أصبح لها امتدادها العسكري والمدني[(160)].



جامع محمد علي باشا



واجهة جامع حسن طاهر باشا في صورة نادرة من نهاية القرن التاسع عشر



واجهة جامع حسن طاهر باشا بعد الترميم الأخير في ٢٠٠٦



جامع صالح آغا في بولاق في صورة قديمة من نهاية القرن التاسع عشر

(74) للمزيد حول مكانة الجبرتي في المدرسة التاريخية المصرية، انظر الفصل الخاص به في هذه الكتب: جمال الدين الشيال، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٨م، ص١٠-٢٧؛ جاك كرابس جونيور، كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر – دراسة في التحول الوطني، ترجمة وتعليق: د. عبد الوهاب بكر، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٣م، ص ٦٥-٧٩. أحمد زكرياالشلق، من الحوليات إلى التاريخ العلمي ـ نهضة الكتابة التاريخية في مصر، القاهرة (دار الكتب والوثائق المصرية) ٢٠١١، ص ٢٣ ـ ٣٦.

(75) D. Ayalon, «al-Djabarti», The Encyclopedia of Islam, vol. II, Leiden (E.J. Brill), 1991, p. 355.

وللمزيد حول رأي آيالون عن الجبرتي، انظر دراسته المبكرة:

D.Ayalon, "Historian al-Jabarti and his background", BSOAS XXIII, London 1962, pp. 217 - 249.

(76) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٩٩٧م، ج١، ص ٧.

(77) المصدر السابق، ص ١١.

(78) المصدر السابق، ص ١١.

(79) للمزيد حول هذا الديوان ومشاركة الجبرتي، انظر محاضر هذا الديوان التي صدرت مؤخرا:

التاريخ المسلسل في حوادث الزمان ووقائع الديوان ١٨٠٠-١٨٠١ لإسماعيل الخشاب، تحقيق محمد عفيفي وأندريه ريمون، القاهرة ٢٠٠٣.

(80) الشيال، التاريخ والمؤرخون في مصر،ص ٢٦؛ كرابس جونيور، كتابة التاريخ في مصر، ص ٦٩.

وانظر بشكل خاص:

Al-Jabarti's Chronicle of the First Seven Months of the Frensh Occupation of Egypt, edited and translated by S. Moreh, Leiden (E. J. Brill) 1975, pp. 23-25.

(81) حسب فون كريمر Von Kremer الذي زار مصر في ١٨٥٠ كان كتاب «عجائب الآثار» مرجعًا نادر الوجود نظرًا إلى قيام السلطات بإتلاف أي نسخ تقع في أيديها؛ وذلك بسبب نقد الجبرتي لعهد محمد علي. ولم يتغير الموقف إلا في عهد الخديوي إسماعيل، حيث طبع الكتاب أولًا على حلقات خلال ١٨٧٨ في جريدة «مصر» التي كانت تصدر في الإسكندرية قبل ظهوره كاملًا خلال ١٨٧٩-١٨٨٠م. وقد صدر لاحقًا في الفرنسية أيضًا خلال ١٨٨٨-١٨٩٦: كرابس جونيور، كتابة التاريخ في مصر، ص ٦٨.

(82) ميكل ونتر، المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم ومراجعة الدكتور عبد الرحمن الشيخ، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ٢٠٠١م، ص١٣٧.

وللمزيد حول تنقّل مركز السلطة الحقيقية ما بين الأغوات والبكوات خلال القرنين ١٧-١٨ انظر: جين هاثواي، سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، القاهرة (المشروع القومي للترجمة) ٢٠٠٣.

(83) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص١٢٦.

(84) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦-٢٧.

(85) المصدر السابق، ج١، ص ١٩٠.

وللمزيد حول هذه العصبة أو الزمرة انظر: هاثواي، سياسات الزمر الحاكمة، ص١١٥-١٢٢.

(86) المصدر السابق، ج١، ص ٤٣٩.

(87) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٨.

(88) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٧.

(89) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩.

(90) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٥.

(91) المصدر السابق، ج٢، ص ٦٢.

(92) المصدر السابق، ج٢، ص ٦٢.

(93) هنري لورنس وآخرون، نابليون والحملة الفرنسية في مصر، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة (سينا للنشر)، ١٩٩٥م، ص١١٧، ١١٩.

(94) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٦٤.

(95) المصدر السابق، ج٢، ص ٦٧.
(96) المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٣.
(97) المصدر السابق، ج٢، ص ١٧٨.
(98) الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني: مخطوط «ضيانامه» للدارندلي، دراسة وترجمة جمال سعيد عبد الغني، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٩م، ص١٩٧-١٩٨.
(99) المصدر السابق، ص٢٧٦.
(100) المصدر السابق، ص٣٢٧.
(101) المصدر السابق، جـ٢، ص٢٣١.
(102) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٢٣١.
(103) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣١.
(104) الدارندلي، ضيانامه، ص ٣٣٩.
(105) المصدر السابق، ص ٣٤٨-٣٤٩.
(106) المصدر السابق، ص ٣٥٦.
(107) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٣٣٣.
(108) المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٧.
(109) المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٩.
(110) المصدر السابق، ج٢، ص٣٩١-٣٩٥.
(111) المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٧.
(112) المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٨.
(113) المصدر السابق، ج٢، ص٤٠١.
(114) المصدر السابق، ج٢، ص٤٠١.
(115) المصدر السابق، ج٢، ص٤٠١.
وتجدر الإشارة إلى أن أخويه حسن باشا وعابدين بك قاما لاحقا في ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م بإنشاء مسجد كبير عند هذه القبة، وهو يعتبر من المساجد القيمة التي بنيت في القاهرة خلال العهد العثماني. ومع أن اللوحة المثبتة على الباب توضح أن بناء المسجد قام به الأخوان المذكوران فإن هذا المسجد اشتهر ولا يزال باسم « مسجد حسن باشا». للمزيد عن هذا المسجد انظر:حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)١٩٩٤،ص٣٥٧-٣٥٩.
(116) المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٢.
(117) المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٤.
(118) المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٥.
(119) المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٧.
(120) المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٥.
(121) المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٤.
(122) المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٧.
(123) المصدر السابق، ج٢، ص٤٤٤.
(124) المصدر السابق، ج٢، ص٤٤٥.
(125) فرقة عسكرية من الخيالة تشكلت في نهايات القرن الخامس عشر في الرومللي، واستمدت اسمها من «دلي» بمعنى المجنون ويجمع على دلاة ودالاتية نظرا للبطولات الجنونية التي كان يقوم بها أفراد الفرقة. ألغيت هذه الفرقة عام ١٨٢٩:
سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية العربية، الرياض (مكتبة الملك فهد الوطنية) ٢٠٠٠، ص ١١٥.
(126) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٤١.
(127) المصدر السابق، ج٣، ص٤١.
(128) المصدر السابق، ج٣، ص٤٣.
(129) المصدر السابق، ج٣، ص٤٤.

(130) يبدو أن أخوي طاهر باشا المقتول (حسن بك وعابدين بك) كانت لهما مكانة مهمة بين زعماء «الأرنؤوط» وكان محمد علي يحسب حسابهما. فالجبرتي يكشف لنا أنه بعد التخلص من الوالي علي باشا الطرابلسي صعد محمد علي إلى القلعة وأخلى سبيل الوالي السابق محمد باشا المحبوس هناك في أواخر ذي القعدة ١٢١٨هـ، حيث شاعت إشاعة تقول بتولي محمد باشا لمصر حتى إن المشايخ ركبوا مع المحروقي إلى بيت محمد علي ليباركوا الولاية لمحمد باشا. ولكن في مطلع ذي الحجة ١٢١٨هـ/ جرى تسفير محمد باشا بعد هذه «الولاية الكذابة» التي استمرت ليلة ويومًا. ويوضح هنا الجبرتي أن السبب في ذلك كما قيل إخوة طاهر باشا، الذين كانوا ينفرون منه بسبب قتل أخيهم. ولذلك حين «رأى محمد علي نفرتهم وانقباضهم من ذلك وعلم أنه لا يستقيم حاله معهم وربما تولد بذلك شر، عجل بسفره وذهابه»: الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٤٤٧.

(131) المصدر السابق، ج٣، ص ٤٥-٤٦.

(132) المصدر السابق، ج٣، ص٥١.

(133) المصدر السابق، ج٣، ص ٦٠، ٦٧، ٧١، ٨٠-٨١، ٨٤- ٨٥. ١٢٩، ١٣٣... إلخ.

(134) المصدر السابق، ج٣، ص١٥٥.

(135) المصدر السابق، ج٣، ص١٥٧.

(136) المصدر السابق، ج٣، ص١٥٧.

(137) المصدر السابق، ج٣، ص١٥٨.

(138) المصدر السابق، ج٣، ص١٥٧.

(139) المصدر السابق، ج٣، ص١٤١.

(140) المصدر السابق، ج٣، ص١٦٢.

(141) المصدر السابق، ج٣، ص١٨٠.

(142) المصدر السابق، ج٣، ص١٨٣.

(143) المصدر السابق، ج٣، ص٢١٠.

(144) المصدر السابق، ج٣، ص٢١٣.

(145) المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٣.

(146) المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٤.

(147) المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٧.

(148) المصدر السابق، ج٣، ص٢٣١.

(149) المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٣.

(150) المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٧-٢٣٨.

(151) المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٧.

(152) المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٧.

(153) المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٩.

(154) المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٩.

(155) المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٨.

(156) المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٧.

(157) المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٩.

(158) المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٩-٢٥٠.

(159) المصدر السابق، ج٣، ص١٨٧.

(160) للمزيد حول عائلة/سلالة محمد علي والنخبة الجديدة التي اعتمد عليها انظر: الأمير عثمان إبراهيم– كارولين وعلي كورخان، محمد علي الكبير– خصوصيات عائلة ملكية، ترجمة: هدى كشرود، القاهرة (المشروع القومي للترجمة)، ٢٠٠٥؛ روبرت هنتر، مصر الخديوية- نشأة البيروقراطية الحديثة، ترجمة: بدر الرفاعي، القاهرة (المشروع القومي للترجمة)، ٢٠٠٥.

الفصل الرابع

مشاركة ألبان مصر في حملات محمد علي باشا إلى شبه الجزيرة العربية ١٨١١-١٨٤٠م

اشتهر الألبان أو «الأرنؤوط»، كما أصبحوا يُعرفون في شرق المتوسط في أواخرالقرون الوسطى،بشدّتهم وشجاعتهم مما جعلهم مرغوبين للخدمة العسكرية في الجيوش والدول المختلفة[161]. ونتيجة لهذه الشهرة ليس من المستغرب أن يكونوا مرغوبين في دولة المماليك التي قامت في مصر خلال ١٢٥٠-١٥١٧، والتي كان نظامها يعتمد على عناصر من هذا النوع، وأن يصل اثنان منهم إلى منصب السلطان كما رأينا في الفصل الأول. ومع تمكّن الدولة العثمانية من السيطرة على المناطق الألبانية خلال القرن الخامس عشر نجد أن الألبان برزوا عنصرًا عسكريًّا مهمًّا في هذه الدولة، سواء في القوات النظامية (الجيش الإنكشاري) بواسطة نظام الدفشرمةأو القوات غير النظامية التي كانت تُجمع حسب الحاجة[162]. وهكذا نجد أن الألبان شاركوا بهذا الشكل في الفتح العثماني لمصر، وبرزوا في الهيئة الإدارية- العسكرية طيلة الحكم العثماني لمصر. وبالمقارنة مع الفترة الأولى للحكم العثماني (القرنيْن ١٦-١٧م)؛ حيث برز الألبان هناك ولاة أقوياء (أحمد باشا، محمد باشا، سنان باشا وغيرهم) كما رأينا في الفصل الثاني، نجد أن الفترة الثانية (القرنيْن ١٨-١٩م) تميّزت بوجود ألباني في القوى المحلية التي كانت قد تشكلت حينئذ في مصر كما رأينا في الفصل الثالث.

وقد جاءت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت في ١٧٩٨م وما أدّت إليه لتكشف عن تزايد وجود ودور الألبان في مصر. فقد كانت إنكلترا وروسيا تعملان مع إستانبول لأجل إرساء حلف إنكليزي– عثماني وروسي– عثماني ضد فرنسا ولإخراج الفرنسيين من مصر. وهكذا فقد تضمّن الحلف الإنكليزي – العثماني، الذي وقّع في كانون الثاني/ يناير ١٨٩٩م، تعهّد الجانب العثماني بحشد مئة ألف مقاتل ودفع الأسطول العثماني بكامله لأجل محاربة الفرنسيين في مصر[163]. وقد عمدت إستانبول، كالعادة في مثل هذه الأحوال، إلى إبلاغ الزعماء المحليين الألبانيين بتجنيد ما لديهم من رجال للذهاب إلى مصر. وهكذا فقد انطلق إلى مصر آلاف من المقاتلين الألبانيين خلال ١٧٩٩-١٨٠٠ بقيادة زعمائهم المحليين من أمثال طاهر باشا وحسن باشا ويوسف بك وطالب بك وعمر بك فريوني ومحرم بك ورجب آغا شكودراني ورستم ديبراني وصالح كورتشاري وغيرهم[164]. وقد أدى هذا التدفق المتواصل للمقاتلين الألبانيين إلى تضخم عددهم، مع من كان قد سبقهم، حتى إنه وصل إلى حوالي عشرة آلاف[165]. وفي الواقع لقد كان هؤلاء يشكّلون مجموعة متماسكة ترتبط بزعيم واحد، ولذلك فقد كان لهم دور مهم في الصراع على السلطة بعد إخراج

الفرنسيين، وبالتحديد خلال ١٨٠١-١٨٠٣م. وهكذا فقد تمكّن زعيمهم الأول طاهر باشا من السيطرة على الوضع بعد طرد الوالي محمد خسرو باشا في مطلع أيار ١٨٠٣م؛ حيث قام حينئذ قاضي البلد والأعيان بانتخابه قائمقامًا، أي نائبًا للوالي إلى أن يأتي فرمان سلطاني بتثبيته أو تعيين والٍ آخر[(166)]. إلا أن طاهر باشا لم يتمتّع بالسلطة سوى ثلاثة أسابيع تقريباكما رأينا، إذ إنه اغتيل حينئذ وتولى نائبه محمد علي قيادة القوة الألبانية. وبفضل هذه القوة تمكّن محمد علي من الصعود إلى السلطة بنفس الطريقة، ولكن مع الفارق أنه في هذه المرة (١٨٠٥) جاء الفرمان السلطاني بتثبيته واليًا على مصر كما رأينا. إلا أن محمد علي لم يكن كسابقه طاهر باشا متعصبًا للألبان، ولذلك لن يتردد في التخلص من مواطنيه الألبان حين كان يجد ذلك ضروريًّا، سواء بطردهم خارج مصر أو بإرسالهم في حملات عسكرية للبلاد المجاورة.

ويبدو لنا من المفيد هنا أن نأخذ بعين الاعتبار بعض العناصر التي يمكن أن تساعدنا على تفهم ذلك بشكل أفضل.

١ ـ الاحتراف العسكري والارتباط بالوطن

يتميز الألباني بارتباطه الشديد بوطنه. ومع أن الطبيعة الجبلية والفقيرة لذلك الوطن كانت تدفع به للارتزاق في الخارج، سواء للعمل في المجال المدني أو العسكري فإنه كان ينتظر دومًا اليوم الذي يحمل فيه ما وفره من مال للعودة إلى وطنه. وفي هذه الحالة لا يقبل الألباني أن يعود إلى وطنه دون أن يأخذ حقّه وحقّ مواطنيه الذي يعمل معهم. وحول هذا كتب الباحث الألباني ث. ميتكو Th. Mitko [(167)] من مصر قبل أكثر من قرن يقول: «الألباني يأخذ حقّه وحقّ مواطنيه ببطولة وعظمة ألبانية بالاعتماد على سلاحه، ثم يعود ثانية مع رفاقه إلى الوطن الذي يبدو له أغلى من أي شيء آخر في العالم»[(168)].

إن مفهوم «الحق» hak عند الألباني لا يعني هنا سوى الحق المادي (الراتب أو التعويض) الذي يستحقه مقابل عمله في الغربة.

٢ ـ عدم الانضباط

كان الارتباط العشائري والولاء للزعماء المحليين من أهم سمات الألبانيين الذين حافظوا عليها في العصر العثماني. وحتى حين كان الألبان يذهبون إلى الخارج لعدة أسابيع أو لعدة شهور للاشتراك في حملة ما فقد كانوا ينقلون معهم هذا «التماسك الألباني»، أي كانوا لا يخضعون إلا لرؤسائهم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم الألبانيين القادمين إلى مصر، وغيرها من البلاد العربية، كانوا من القوات غير النظامية أو الـ «باشبوزوق»، أي القوات التي كانت تُجمع بسرعة لمهمة محددة ثم تعود بسرعة بعد أن تنال «حقّها». ومن هنا فإن هذا النوع من المقاتلين بالفطرة والمعتمدين على الشجاعة لم يتعلموا الانضباط العسكري في جيش نظامي، ولم يتعلموا حتى اللغة التركية؛ مما كان يجعلهم هذا مستعدين دائمًا للتمرد[(169)].

٣ ـ شخصية محمد علي

يوصف محمد علي عادة بأنه شخص عملي practical (170) أو شخص براغماتيكي pragmatic (171)، ويذهب نهاد إسلامي N. Islami إلى أن سيرة حياته تلخص بجملة واحدة كان يقولها: «الغاية تبرر الوسيلة(172). وبالمقارنة مع القائد السابق للفرقة الألبانية طاهر باشا، الذي كان أكثر ألبانية، فقد كان محمد علي يعتمد على العنصر الألباني طالما كان يساعده ذلك على ضرب أعدائه ومنافسيه وعلى تثبيت نفسه في مصر وخارج مصر، بينما كان لا يقصر في التخلص من هذا العنصر بطرده خارج مصر أو بإشراكه في حروب مختلفة حين كان يجد ذلك ضروريًّا. وحتى حين اهتم محمد علي بوطنه الأصلي (ألبانيا) وتمكن هناك من خلق حركة معادية للحكم العثماني، فإنه كان يقوم بذلك لأجل إشغال الدولة العثمانية في البلقان في الوقت الذي كان يهتم بتثبيت وجوده في البلاد التي كان يريدها بلاد الشام(173).

أما فيما يتعلق بمشاركة الألبان الموجودين في مصر ضمن الحملات التي كان يرسلها محمد علي إلى شبه الجزيرة العربية فيمكن أن نقسمها إلى فترتين مختلفتين.

المشاركة الألبانية خلال ١٨١١-١٨١٩

بعد نجاح محمد علي في صدّ القوات الإنكليزية التي حاولت احتلال رشيد بعد الإسكندرية (آذار/ مارس ١٨٠٧) وانسحاب الإنكليز أخيرًا في أيلول ١٨٠٧، وجد نفسه في نزاع عنيف مع بعض القوات الألبانية في منتصف شهر رمضان ١٢٢٢هـ/ ١٧ نوفمبر ١٨٠٧. وقد قاد حينئذ الجانب المعارض لمحمد علي رجب آغا شكودرانيR. Shkodrani، كما هو معروف لدى الجانب الألباني(174)، و«رجب آغا الأرنؤدي» كما يسمّيه الجبرتي، أحد زعماء القوات الألبانية في مصر. ويبدو، بالاستناد إلى المصادر الألبانية، أن محمد علي لم يعد يعتبر نفسه في حاجة إلى رجب آغا، الذي كان يتمتع بشعبية كبيرة في صفوف الألبانيين؛ ولذلك قرّر إخراجه من مصر. إلا أن رجب أغا رفض الخروج قبل أن يأخذ كل «حقه» من محمد علي، ولأجل ذلك «جمع جيشه من الأرنؤوط» في باب اللوق مما أدى إلى اندلاع نزاع عنيف بين الطرفين استمر ثلاثة أيام بلياليها (١٨-٢١ رمضان هـ/ ١٢٢م) إلى أن توسّط الزعيمان الألبانيان (عمر بك فريوني «كبير الأرنؤوط الساكن ببولاق» وصالح قوج) وأقنعا رجب آغا بالانسحاب إلى بولاق ومغادرة مصر من هناك(175). إلا أن الجبرتي المعاصر لهذا النزاع يوضّح أن رجب آغا غادر مصر مع عدد قليل من أتباعه إذ «تخلَّف عنه كثير من عساكره وأتباعه» الذين فضّلوا البقاء في مصر؛ لأنه لم يعد «يهون بهم مفارقة مصر الذين صاروا فيها أمراء وأكابر بعد أن كانوا يحتطبون في بلادهم ويتكسبون بالصنائع الدنيئة»(176).

وعلى الرغم من ضيق محمد علي بهؤلاء الألبان لأنهم «كانوا لا ينزلونه من أنفسهم إلا منزلة فرد منهم»(177). فإنه كان لا يزال بحاجة إليهم ولذلك بقيَ يتحملهم لأكثر من سبب. وفي الواقع لقد كان محمد علي منذ تلك السنة (١٨٠٧) يتعرض لضغط متواصل من السلطان العثماني لإرسال حملة إلى

الجزيرة العربية لضرب الدولة السعودية. إلا أن محمد بقيَ يناور ويماطل في تنفيذ رغبة السلطان لأكثر من سبب. ففي تلك السنوات (١٨٠٨-١٨٠٩) كان لا يزال يصارع المماليك[(178)]، ويهتم بتثبيت وضعه في الداخل – مصر أولًا قبل أن ينطلق للخارج. فقد كان المماليك لا يزالون قوة في مصر، ولذلك فقد بقيَ محمد علي يحتاج إلى القوات الألبانية لمجابهة المماليك، وللتخلص منهم أخيرًا، قبل الانطلاق إلى الخارج. وهكذا فقد تظاهر محمد علي بقبول طلب السلطان، وأخذ في الاستعداد بتجهيز أول حملة إلى الجزيرة العربية ليقوم في الواقع بالتخلص من المماليك في «مجزرة القلعة» (١ آذار/ مارس ١٨١١م) التي نفذها الجنود الألبان[(179)].

وفي الواقع لقد كانت دعوة السلطان إلى محمد علي لإرسال قواته إلى الجزيرة العربية للقضاء على الدولة السعودية الناشئة، فرصة لمحمد علي ليتخلص فيها من القوة الألبانية وليس من المماليك فقط. ففي ذلك الوقت، كما يذكر المؤرخ الألباني ألكسندر جوفاني A.Xhuvani، كان محمد علي لا يفكر إلا في كيفية إخراج الألبان، الذين وصل بفضلهم إلى السلطة، وخلق جيش جديد ومنظم بدلًا منهم[(180)]. ويتفق مع جوفاني الدبلوماسي والمستعرب الأمريكي جون سابيني G. Sabini (١٩٢١-٢٠٠٨)، إذ إنه يقرّ بحب الألبانيين لمحمد علي وولائهم الشخصي له إلا أنهم كانوا أيضًا غير منضبطين وغيورين على ما لديهم من امتيازات حتى إنهم كانوا يعيقون خططه لخلق جيش فعال؛ ولذلك فقد كان من الأفضل له استخدامهم خارج مصر في حرب خارجية[(181)]. ويذكر المؤرخ الروسي فاسيلييف أن محمد علي كان يريد من وراء الشعارات النبيلة لتحرير مكة المكرمة والمدينة المنورة «إخراج الجنود الذين نصّبوه على دست الحكم في مصر ولكنهم تحولوا إلى قوة خطيرة للغاية وصاروا يقيّدون أعماله»[(182)]. ويرى المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي بدوره أن محمد علي وافق على عرض السلطان بالقضاء على الدولة السعودية ليثبت مكانته في مصر وللتخلص من القوات الألبانية غير المنضبطة أيضًا[(183)].

ومما يؤكد ذلك حجم المشاركة الألبانية في الحملة الأولى التي انطلقت من مصر في آب/أغسطس ١٨١١. فقد عيّن محمد علي ابنه طوسون لقيادة الحملة، مع أنه لم يكن يتجاوز السادسة عشرة من عمره، بينما كان الشخص الثاني في القيادة الضابط الألباني أحمد بونابرت[(184)]. ومع أنه لا يوجد اختلاف كبير بين المؤرخين حول عدد أفراد هذه الحملة (٨-١٠ آلاف شخص) فإنه لا يوجد اتفاق بينهم حول عدد الألبان. فالمؤرخ الإنكليزي يانغ يكتفي بالقول إنه مع هذه الحملة أرسلت كل العناصر الألبانية التي لم تكن منضبطة في مصر[(185)]. وحسب عمر الإسكندري وسليم حسن فقد كانت هذه الحملة مؤلفة من الألبان فقط، من ثمانية آلاف شخص منهم[(186)]. وكما هو معروف فقد توجّهت هذه الحملة حينئذ في آب/أغسطس ١٨١١م بواسطة البر والبحر وسيطرت أولًا على ينبع (تشرين الأول/ أكتوبر ١٨١١)، ثم توجهت نحو المدينة المنورة ولكن قرب وادي الصفراء حوصرت في مضيق جبلي؛ حيث منيت بهزيمة ساحقة في أواخر كانون

الأول/ ديسمبر ١٨١١م[187].

وفي الواقع لقد كانت هذه الهزيمة أقرب إلى المجزرة. فقد قُدّرت خسائر الحملة في هذه الموقعة بالاستناد إلى أحد المصادر بأربعة آلاف شخص[188]. بينما يذكر مصدر آخر خسائر الألبان فقط بثلاثة آلاف قتيل[189]. مما يؤكد أن معظم أفراد الحملة كانوا من الألبان. وقد أدت هذه الهزيمة حينئذ إلى تمرّد في صفوف الألبان بزعامة اثنين من قوادهم، عمر بك فريوني Y. Verioni وصالح بك كورتشاري S.Korcari الذي يذكره الجبرتي باسم صالح قوج. ويوضح لنا الجبرتي أن سبب هذا التمرد يكمن في احتجاج صالح كورتشاري على قيادة طوسون والمحروقي للحملة إذ إنه كان يقول حينئذ: «هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتدبير الحروب؟»[190]. والمهم هنا أن صالح كورتشاري انسحب مع أتباعه الساخطين بشكل احتجاجي من هذه الحملة، ولم يكن طوسون يستطيع أن يمنعه لأن هذه القوات لم تكن نظامية[191]، وقادهم في زحف معاكس باتجاه مصر. وقد أبحر حينئذ صالح بك مع أتباعه من ينبع إلى القصير، ومن هناك زحفوا باتجاه القاهرة حيث نهبوا الريف طوال الطريق إلى أن وصلوا القاهرة في نهاية جمادى الثانية ١٢٦١هـ/١٠ تموز- يوليو ١٨١٠. وقد خشيَ محمد علي على نفسه من هذا الزحف الساخط فاعتصم بالقلعة، وبقيَ الوضع متأزمًا حوالي ثلاثة أسابيع[192]، إلى أن قدم أخيرًا للقادة الساخطين وأتباعهم «حقوقهم» المتراكمة حتى يقنعهم على مغادرة مصر إلى بلادهم[193].

ومن ناحية أخرى فقد أرسل محمد علي تعزيزات جديدة إلى ينبع، وقام طوسون بقيادة حملة جديدة باتجاه المدينة المنورة في خريف ١٨١٣. وقد قام أحمد بونابرت، الذي يعتبره لوتسكي وفاسيلييف «القائد الفعلي للحملة»[194]، بقصف المدينة في تشرين الأول وإحكام الحصار على القلعة، التي لجأت إليها القوات المدافعة، عدة أسابيع إلى أن استسلمت أخيرًا هذه القوات في أواسط تشرين الثاني/نوفمبر ١٨١٢. ويبدو أن الألبان ثأروا لهزيمتهم السابقة في وادي الصفراء إذ لم يفقدوا في هذه المرة سوى خمسين قتيلًا بينما قتلوا أكثر من ألف شخص[195]. وبعد السيطرة على المدينة المنورة قامت الحملة، بالاتفاق مع الشريف غالب، بدخول جدة دون قتال في أواسط كانون الثاني/ يناير ١٨١٣ ثم دخول مكة المكرمة بعد عدة أيام دون قتال أيضًا، بعد أن كان جيش عبد الله بن سعود قد انسحب منها[196].

وعلى الرغم مما كان يعنيه هذا بالنسبة إلى محمد علي والدولة العثمانية [197]، فإن محمد علي صمّم حينئذ على القدوم بنفسه إلى الحجاز لحسم الموقف. وهكذا فقد وصل إلى جدة في أواخر آب/ أغسطس ١٨١٣ مع قوات جديدة من مصر تصل إلى عدة آلاف[198]. وبعد أداء فريضة الحج وجّه محمد علي ابنه طوسون على رأس حملة لمواجهة القوات السعودية في بيشه ورانيه، إلا أن طوسون مُنيَ بهزيمة جديدة على يد السعوديين في تربة، إلى الشرق من الطائف، في أواخر كانون الأول/ ديسمبر ١٨١٣. وبعد هذه الهزيمة قرّر محمد علي إرسال حملة أخرى باتجاه الجنوب للسيطرة على ميناء القنفذة، الذي كان

يخضع للسعوديين؛ وذلك لتأمين قاعدة للتوغل نحو الداخل وبوابة ممكنة لليمن حيث أخذت تجارة القهوة المربحة تثير اهتمام محمد علي[(199)]. وقد قاد هذه الحملة أحد الضباط الألبانيين المسمى زعيم أوغلو. ومع أن هذه الحملة نجحت في السيطرة بسرعة على الميناء فإن حصار القلعة استمر عدة أيام وانتهى باقتتال عنيف بالسلاح الأبيض. وبالاستناد إلى شهادة ج. فيناتي [(200)] G. Finati، الذي كان مشاركًا في هذه الحملة، لم يخرج أحد حيًّا من القلعة، وقد قدّم حينئذ زعيم أوغلو جائزة مقدارها ٢٠٠ قرش عن كل رأس أو زوج آذان تحمل إليه، ولذلك «اندفع الألبان في كل اتجاه لجمع غلتهم الدموية»[(201)]. إلا أن الألبان المنتصرين سرعان ما دفعوا الثمن غاليًا بعد هذا «الانتصار» فقد صُرفت بكثرة المياه، التي كانت قد جمعت بحرص كبير من المدافعين لأجل تنظيف القلعة من الدماء ولأجل الشرب، ولذلك وجد الألبان أنفسهم أمام خطر غير متوقع: الموت من العطش. وقد برز هذا التهديد حين سيطرت القوات السعودية على مصدر المياه العذبة في ضواحي القنفذة في هجوم مفاجئ مما أوقع الرعب في القوة المرابطة في القلعة، ولذلك حدث اندفاع باتجاه السفن للنجاة بالنفس قبل أن تقوم القوات السعودية بهجوم آخر. وقد أعطى زعيم أوغلو، الذي وصل بسرعة إلى أول سفينة، الأمر بمغادرة كل السفن للميناء حتى قبل أن يصل كل الجنود إليها. وهكذا أبحرت السفن تاركة بعض الجنود يموتون من العطش والفزع، كما أن الآخرين الذين وِصلوا وأبحروا مع هذه السفن عانوا بشدة من العطش طيلة الطريق حتى توفيَ الكثير منهم قبل أن يصلوا إلى جدة. وقد كوفئ الألبان الـ الذين بقوا أحياء من هذه الحملة والذين وصلوا أخيرًا إلى مكة المكرمة، من قبل محمد علي وسمح لهم بالانضمام إلى قوة أخرى لأنهم كانوا قد أقسموا ألا يخدموا أبدًا تحت إمرة زعيم أوغلو[(202)].

وقد تطور الوضع في أيار/مايو ١٨١٥ حين غادر محمد علي الحجاز بشكل مفاجئ بسبب ما ورده عن مؤامرة ضده في القاهرة[(203)]، كما توقف القتال بشكل مؤقت بين الطرفين خلال المفاوضات التي جرت لإبرام صلح بينهما[(204)]. وقد أدرك المرض طوسون حينئذ ولحق بأبيه في آب ١٨١٥ إلى القاهرة، حيث توفيَ هناك في أيلول/ سبتمبر ١٨١٦.

وفي القاهرة أدرك محمد علي، بالاستناد إلى تجربة الحرب في الجزيرة العربية خلال ١٨١١-١٨١٥، أن الاستمرار في هذه الحرب يحتاج إلى قوات مختلفة منضبطة ونظامية، ولذلك فقد قرر حينئذ تدريب قواته الموجودة «على طريقة الإفرنج» كما يقول الجبرتي. وهكذا فقد أمر محمد علي «جميع العساكر» في ٢٥ شعبان ١٢٣٠هـ/٣ آب/أغسطس ١٨١٤ بالخروج إلى ضاحية القاهرة و«أخذوا في الرماحة والبندقة المتواصلة المتتابعة مثل الرعود على طريقة الإفرنج»[(205)]. وقد أشيع حينئذ، كما يذكر الجبرتي أن «الباشا قصده إقصاء العسكر وترتيبهم على النظام الجديد وأوضاع الفرنج، ويلبسهم الملابس المقمّطة، ويغيّر شكلهم»[(206)]. وفي اليوم التالي ذهب محمد علي إلى بولاق و«جمع عساكر ابنه إسماعيل وصنّفهم على الطريقة المعروفة بالنظام الجديد،

وعرّفهم قصده فعل ذلك بجميع العساكر، ومن أبى ذلك قابله بالطرد والنفي بعد سلبه حتى من ثيابه»[(207)].

ولا شك أن هذا التطور كان مفاجئًا تمامًا للقوات الألبانية من زعماء وأفراد، الذين اعتادوا على عدم انضباطهم وأزيائهم الخاصة بهم التي يعتبرونها جزءًا من هويتهم، ولذلك فقد قرروا فورًا التخلص من محمد علي. وقد اجتمع لهذا الغرض بعض زعماء القوات الألبانية في بيت عابدين بك في ٢٨ شعبان ١٢٣٠هـ/ ٦ آب/ أغسطس ١٨١٤، واتفقوا هناك على مهاجمة محمد علي في داره بالأزبكية في الفجر، إلا أن عابدين بك، شقيق حسن باشا ومن المقربين إلى محمد علي، تظاهر بالقبول ثم غافل المجتمعين المتآمرين لكي ينسلّ ويخبر محمد علي بسرعة. وقد سارع محمد علي حينئذ إلى الاحتماء بالقلعة، ولذلك عندما أدرك المهاجمون في الفجر انكشاف مؤامرتهم وإفلات محمد علي انفلتوا باتجاه المدينة لينهبوا «كل ما وجدوه في طريقهم»[(208)]. وفي الواقع لقد اقتنع محمد علي أكثر من السابق، بعد هذا التمرد والتآمر على حياته من قبل هؤلاء الألبان، بفكرته حول ضرورة تشكيل قوات منضبطة ونظامية[(209)]. إلا أن الوقت الضيق، والإلحاح على إنهاء الحرب في الجزيرة العربية، لم يكونا يسمحان لمحمد علي بتطبيق فكرته فورًا. ولذلك فقد أجّل تنفيذ هذه الفكرة إلى ما بعد انتهاء الحرب هناك، إذ إن الحرب بطبيعة الحال تتكفل بتقليص أو تدريب القوات غير النظامية التي كانت تزعج محمد علي.

وكان محمد علي قد عيّن بعد مرض وموت طوسون ابنه الآخر إبراهيم على رأس الحملة الجديدة، التي انطلقت من مصر في أيلول/سبتمبر ١٨١٦. وبعد أن رتب أموره مع القبائل المجاورة انطلق إبراهيم على رأس جيشه في صيف باتجاه بلدة الرس الإستراتيجية التي كانت تعتبر كالمفتاح بالنسبة إلى الدرعية عاصمة الدولة السعودية. ولدينا هنا ما يفيد بوجود الألبان في جيشه الذين كانوا يقومون بمحاصرة الرس[(210)]. إلا أن الرس قاومت حينئذ بضراوة، واستمر حصارها عدة شهور مما أدى هذا في ظروف الصحراء إلى خسائر مريعة في جيش إبراهيم. فقد بلغت خسائر الجيش خلال تلك الشهور الملتهبة (آب- تشرين الأول/أغسطس- أكتوبر ١٨١٧) ٣٥٠٠ شخص توفيَ أغلبهم بسبب الأمراض[(211)]. وفي هذه الظروف ليس من المستغرب أن يواجه إبراهيم بتمرد عنيف من قبل القوات الألبانية. فقد كان السبب الظاهري هو المطالبة بـ «حقوقهم»، إلا أن السبب الحقيقي كان شدّة الحرارة في النهار والبرودة الكبيرة في الليل وندرة الماء الصالح للشرب؛ مما أدى إلى تفشي الحميات والدوسنطاريا بينهم. وعلى الرغم مما بذله الأطباء الأوربيون الذين كانوا يرافقون هذه الحملة فإنهم عجزوا عن أن يستأصلوا هذه الأمراض الفتاكة بسرعة[(212)].

لقد واجه إبراهيم هذه الظروف العصيبة بجلد عجيب، وقد أنقذه أخيرًا من هذا الموقف الإمدادات التي وصلته حينئذ من مصر[(213)]. وقد تمكن إبراهيم حينئذ من السيطرة على عنيزة وبريدة، وفي أواخر ١٨١٧ كان قد سيطر على القصيم كلها. وفي مطلع ١٨١٨، بعد تمكنه من السيطرة على الشقراء وضرمى، توجه

أخيرًا إلى حصار الدرعية، وبالاستناد إلى معطيات الكابتن الإنكليزي ج. سادلير G.Sadleir المعاصر للأحداث، فقد كان الألبانيون يشكلون عنصرًا مهمًّا في القوات التي حاصر بها إبراهيم الدرعية. فقد كانت هذه القوات تتألف من حوالي ألفين من الفرسان و٤٣٠٠ من المشاة «الألبان والأتراك»، و١٣٠٠ من الفرسان المغاربة، و١٥٠ من المدفعيين[214]. وفي الواقع لقد كان حصار الدرعية عبارة عن ستة شهور من المعارك الطاحنة، تلك التي انتهت بخسائر كبيرة للطرفين وبتدمير الدرعية تمامًا في أيلول ١٨١٨ [215].

وبعد أن عاد إبراهيم إلى الحجاز وجد أوامر من القاهرة بتوجيه حملة جديدة للسيطرة على عسير، التي كان يتمتع فيها السعوديون بنفوذ كبير. وقد قرر إبراهيم حينئذ إرسال حملة ضخمة إلى هناك بقيادة خليل باشا، أحد الضباط الألبانيين المقربين من محمد علي، في كانون الأول/ديسمبر ١٨١٨. ومع أن خليل باشا نجح في التغلغل في عسير ولاحق الزعيم العسيري علي بن مجثل حتى أبها، حيث أرغمه هناك على الاستسلام، وأخذ العهود أخيرًا من قبائل المنطقة بالولاء قبل عودته إلى الحجاز في تشرين الأول/أكتوبر ١٨١٩، فإن هذا الوضع لم يثبت سوى شهر إذ خرج زعيم عسيري آخر (سعيد بن مسلط) ونجح في السيطرة بسرعة على عسير[216]. ومن ناحية أخرى، فقد كان محمد علي قد نجح في مد سيطرته باتجاه الجنوب (اليمن)، وتمكّن حتى ١٨١٩ من توسيع نفوذه في كثير من المناطق اليمنية، إلا أن محمد علي رأى حينئذ الاكتفاء بفرض سيطرته على منطقة أبو عريش فقط وترك المناطق اليمنية الأخرى التي استولى عليها للإمام المهدي عبد الله بعد أن تم الاتفاق بينهما بتعهد الإمام أن «يرسل جزية سنوية من البن باسم السلطان»[217].

المشاركة الألبانية خلال ١٨٢٠-١٨٤٠

تتميز هذه الفترة بتطورات مهمة في المناطق المجاورة كالسودان وبلاد اليونان وبلاد الشام؛ مما أثر بشكل أو بآخر على المشاركة العسكرية الألبانية في الجزيرة العربية خلال تلك السنوات.

وكان محمد علي قد أخذ في بداية هذه الفترة ١٨٢٠- ١٨٢١ في تشكيل الجيش النظامي (النظام الجديد) الذي كان يخطط له منذ عدة سنوات، سواء للتخلص من ضغوط من بقيَ من القوات الألبانية غير النظامية التي بقيت تهدده أو لبناء الأساس المتين للدولة المستقلة التي كان يحلم بها في المنطقة[218]. ويرى بعض المؤرخين هنا أن اهتمام محمد علي بموضوع الجيش هو الذي دفعه، بالإضافة إلى الدوافع الأخرى، إلى السودان المجاور[219]. وما يهمنا هنا أن فتح السودان إنما تم بالاعتماد على القوات الألبانية التي عانت الكثير وفقدت الكثير من أفرادها هناك؛ مما سيؤثر هذا لاحقًا على حجم المشاركة العسكرية الألبانية في الجزيرة العربية خلال هذه الفترة. ففي آب/أغسطس ١٨٢٠ انطلقت الحملة باتجاه الجنوب – السودان بقيادة إسماعيل، الابن الآخر لمحمد علي. وحسب المؤرخ العسكري عبد الرحمن زكي فقد كانت هذه الحملة تتألف

من الألبانيين فقط: ١٥٠٠ من الفرسان و٣٤٠٠ من المشاة[220]. وعلى الرغم من أن إسماعيل نجح في التوغل حتى سنار فإن ذلك كلّفه الكثير من قواته، التي لم تعتد على تلك الأجواء، كما تعرّض نفسه للقتل في تشرين الأول/أكتوبر ١٨٢. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الألبان الذين بقوا في القاهرة ثاروا عندما سمعوا بما حصل لإسماعيل وللقوات التي كانت معه، إلا أن الجنرال الفرنسي سيف (سليمان باشا) دخل القاهرة حينئذ بالجيش النظامي الذي كان قد أنشأه وتمكن بهذا من حماية محمد علي من هذا التمرد الأخير[221].

ومن ناحية أخرى، فقد انبعثت في ذلك الوقت الدولة السعودية مجددًا على يد الأمير تركي بن عبد الله، الذي نقل عاصمة الدولة من الدرعية المدمرة إلى الرياض المحصنة في ١٨٢٢. وقد أمر محمد علي حينئذ بإرسال مزيد من القوات للسيطرة من جديد على الوضع، إلا أن القوات التي أرسلت هلكت من الجوع والعطش والأوبئة والغارات المفاجئة؛ مما اضطر محمد علي إلى سحب معظم قواته من نجد خلال ١٨٢٣ [222].

وفي غضون ذلك كانت قد اندلعت «الثورة اليونانية» (١٨٢١) التي انتشرت وسيطرت بسرعة على شبه جزيرة المورة. وفي هذه المرة أيضًا طلب السلطان العثماني محمود الثاني مساعدة محمد علي باشا. وقد وافق محمد علي في هذه المرة أيضًا، نظرًا إلى أن هذا كان ينسجم مع طموحاته[223]، على إرسال جيش بقيادة ابنه إبراهيم للقضاء على الدولة اليونانية التي أعلنت هناك. وقد انطلق إبراهيم حينئذ (تموز/يوليو ١٨٢٤) على رأس جيش يتألف من ١٦ ألف مقاتل إلى جزيرة كريت، ومن هناك إلى شبه جزيرة المورة حيث خاض معارك كثيرة خلال ١٨٢٥-١٨٢٧. وما يهمنا هنا أن الألبان شاركوا بشكل ملحوظ في هذا الجيش الذي قاده إبراهيم، إذ كان عددهم لا يقل عن ألفي مقاتل وقد قتل منهم من قتل وانسحب منهم من انسحب إلى بلادهم المجاورة[224]. وبعبارة أخرى، أن حرب إبراهيم في بلاد اليونان خلال ١٨٢٤ -١٨٢٨ ستساهم بدورها في تقليل حجم القوات الألبانية التي كانت موجودة في مصر.

وكما هو معروف فقد حاول السلطان محمود الثاني إرضاء محمد علي باشا بجزيرة كريت تعويضًا عن الخسائر التي لحقت به، إلا أن محمد علي رفض ذلك وطالب ببلاد الشام. ومع أن محمد علي كان يفكر منذ ١٨١١ على الأقل بضم بلاد الشام إلى مصر[225] فإنه كان ينتظر الفرصة المناسبة لذلك. وهكذا فقد وجّه محمد علي ابنه إبراهيم على رأس جيش جديد في تشرين الأول/أكتوبر ١٨٣١، وتمكن خلال أقل من سنة من السيطرة على بلاد الشام، أي حتى تموز/يوليو ١. وما يهمنا هنا أيضًا أن المشاركة الألبانية في هذا الجيش المتوجه إلى سوريا كانت لافتة للنظر، وخلّف الألبان هناك كما في كل مكان القتلى والجرحى[226]؛ مما سيساهم بدوره في تقليص حجم القوات الألبانية المتواجدة في دولة محمد علي.

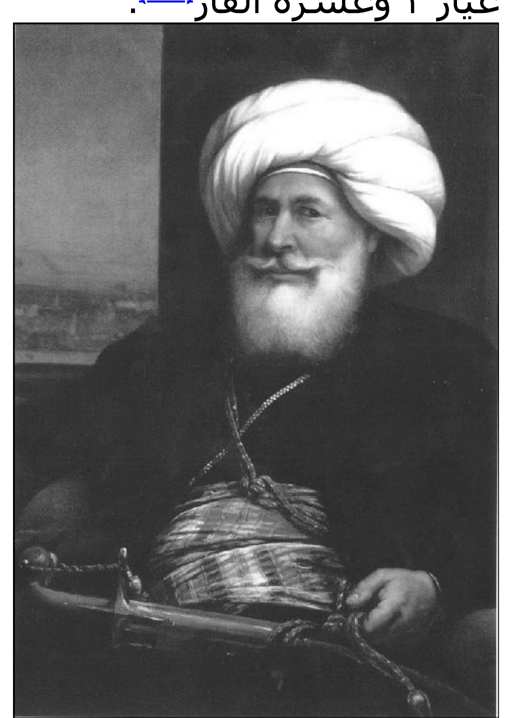
وخلال انشغال محمد علي وإبراهيم بالحرب في بلاد الشام اندلع في صفوف

القوات المرابطة في الحجاز تمرد مكشوف بقيادة بعض الضباط الألبانيين، مع أنه ارتبط باسم غير مألوف لواحد منهم (تركجه بلماز). وتجدر الإشارة هنا إلى أن محمد علي كان قد اعتمد على القوات النظامية الجديدة في حرب الشام، بينما ترك القوات غير النظامية في الحجاز إلى أن يتفرغ لها ثانية. وقد اندلع هذا التمرد الخطير في صيف ١٨٣٢ في الحجاز لعدة أسباب يأتي على رأسها المطالبة بـ «الحقوق» المتراكمة، والتمييز في المعاملة بين أولى الوحدات النظامية التي وصلت حينئذ إلى الحجاز وبين القوات غير النظامية التي كانت موجودة منذ البداية، وتحريض الدولة العثمانية لقادة التمرد[227]. وقد كان على رأس التمرد بعض القادة الألبانيين (محمد آغا، زينل آغا، زنار آغا، وحسين آغا وغيرهم) لهذه القوات، مع أن هذا التمرد ارتبط باسم أحدهم (محمد آغا) الذي عرف باسم «تركجه بلماز»، أي «الذي لا يعرف التركية»[228]. وفي الحقيقة، لقد كان معظم الألبان لا يعرفون التركية في موطنهم الأصلي، وخاصة في الريف الذي كان المصدر الرئيسي لأفراد القوات غير النظامية[229]. ولدينا هنا ما يفيد بأن محمد آغا قد تمكن حينئذ من تزعم حوالي الألف من الألبان الساخطين[230]، وسيطر بواسطتهم على جدة حيث «أخذ يتصرّف تصرّف الحاكم»، ثم زحف بعد ذلك إلى مكة للسيطرة على الحجاز[231]. إلا أن دفاع القوات الأخرى التي بقيت موالية لمحمد علي عن مكة أفشل خطة محمد آغا واضطرته إلى الانسحاب إلى جدة، ليبدأ من هناك محاولة أخرى باتجاه الجنوب. فقد استولى حينئذ على السفن الراسية في الميناء ونقل بها قواته إلى القنفذة ثم إلى الحديدة، التي تمكن من الاستيلاء عليها في أيلول/سبتمبر ١٨٣٢. وقد أراد حينئذ الانطلاق من الحديدة باتجاه الأراضي اليمنية مدعيًا أنه يفعل ذلك باسم السلطان العثماني. الذي وعده بتعيينه واليًا على الحجاز. إلا أن تقدم أحمد باشا، ابن أخت محمد علي، على رأس جيش جديد مع قوات الزعيم المحلي ابن مجثل أرغم محمد آغا على الانسحاب من ميناء المخا، حيث تمكن مع حوالي مئة وعشرين من أتباعه من الذهاب إلى بومباي على متن سفينة إنكليزية[232].

ومن الطبيعي بعد هذا التمرد الخطير للقوات غير النظامية الذي كاد أن يهدد وجود محمد علي في الحجاز نظرًا إلى أنه جاء في وقت الانشغال بحرب الشام، ونظرًا إلى أنه تقاطع مع تدخلات خارجية (عثمانية- إنكليزية)، أن ينكمش حجم ودور هذه القوات في الحجاز لصالح الوحدات النظامية التي أصبحت تتزايد باستمرار[233]. وفي الواقع أن الوثائق التي تتعلق بنهاية هذه الفترة تشير بوضوح إلى هذا الأمر. وهكذا لدينا وثيقة عن تركيب وتنظيم «الجيش المصري» في ١٨٣٧ تظهر وجود ستة آلايات نظامية في الحجاز (الآلاي السابع والخامس عشر والتاسع عشر والواحد والعشرين والثالث والعشرين والخامس والعشرين) ووحدات مدفعية من «الجنود النظاميين»، بينما من «الجنود غير النظاميين» لا نجد سوى «١٠٠٠ أرنؤوط في الحجاز»[234].

ولا يعني هذا بطبيعة الحال أن المشاركة الألبانية أصبحت تقتصر على القوات

غير النظامية، إذ لدينا ما يشير الآن إلى المشاركة الألبانية في القوات النظامية الجديدة. وفي الواقع، لقد كانت هذه القوات تحت إمرة عدد لا بأس به من الضباط الألبان كحسن باشا وأحمد باشا وعزت بك وعابدين بك وبكر بك وغيرهم[235]، كما لدينا بعض الوثائق المتعلقة بالسنوات الأخيرة لهذه الفترة التي تشير إلى وجود ألباني واضح في القوات النظامية. ففي وثيقة مرسلة من «ميراميران المدفعية» في الحجاز إلى القاهرة في تشرين الأول/أكتوبر ١٨٣٩ يرد فيها ذكر الألبانيين بالمئات[236]. وفي رسالة أخرى من الشريف محمد بن عون إلى محمد علي في أيار/مايو ١٨٤٠ يرد فيها ذكر «جيش الأرنؤط» الذي اعتمد عليه الشريف في تحركه حينئذ لتأديب قبائل حرب[237]. ولدينا أخيرًا وثيقة تعود إلى الأيام الأخيرة لهذه الفترة (تشرين الأول/أكتوبر ١٨٤٠) تتضمن قوات المدفعية الموجودة حينئذ بجدة، وتكشف عن أنه في «برج الأرنؤوط» بجدة كان يوجد حينئذ أربعة مدافع عيار ٣ وعشرة أنفار[238].



محمد علي باشا،لوحة للفنان الفرنسي ل.كوردر (١٧٩٠-١٨٧٣)



إبراهيم ابن محمد علي باشا
قائد الحملة على الدرعية



جنديان ألبانيان في حملة محمد علي باشا

---

(161) يذهب الباحث الكرواتي المعروف ميلان شوفلاي المتخصّص في تاريخ البلقان خلال القرون الوسطى إلى أن «الخدمة العسكرية للألبان جعلت منهم اسما مرعبا في كل حوض المتوسط» في العصر البيزنطي، وبالتحديد منذ ١٠٧٨م؛ حيث كان الألبان «يشكلون القوى الرئيسية للطامحين إلى العرش الإمبراطوري»:

Milan Shufflay, Serbët dhe shqiptarët, Prishtinë (Rilindja) 1968, p. 5'.

(162) في مقدمة الفصل المعنون «الميزات القتالية» للألبان، يذكر الكاتب الألباني المخضرم فائق

كونيتسا أن «الانسياح المتواصل خلال خمسة قرون متتابعة أتعب الألبان. فقد كانت الإمبراطورية (العثمانية) تأخذ أفضل وأقوى الشبان للحرب في المناطق البعيدة»:

.Faik Konica, Shqipëria kopsht shkembor i Evropës Jugolindore, Prishtinë 1990, p. 11

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب الموجز والقيم عن تاريخ وثقافة الألبان قد صدر أيضا في اللغة الإنكليزية:

.Faik Konitza, Albania The Rock Garden of Southeastern Europe, Boston 195

(163) .John Marlowe, Anglo-Egyptian Relations 1800 - 1956, London 1965, p.15

(164) .A, Xhuvani, Jeta e Mehmet Aliut pashës së Misirit, Tiranë 1921, p.13

(165) لدينا تضارب كبير بين عدد الألبان في مصر بعد ١٨٠٥ بين المراجع الإنكليزية والمصرية والألبانية. فالمؤرخة عفاف السيد مارسو تحدّد عددهم بستة آلاف، بينما نجد عند الألبان من يرفع هذا العدد إلى عشرة آلاف:

Afaf Lufti al-Sayyid Maorst, Egypt in the Reign of Muhammad Ali, Combridge ( )1984, p.38; Nehat Islami, «Gjurmeve të Mehmet Ali Pashës dhe ushtrisë së ti VI , Rilindja, Prishtinë 2. VIII, 19777, p. 4.

(166) يكشف نقولا الترك المعاصر للأحداث أن الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا قائد القوات العثمانية حينئذ «أوعد لطاهر باشا الأرناؤط بولاية مصر إن فتحوها بالسيف. فحيث التفت الأمور وخرج بالصلح الجمهور، فبطل الوعد لطاهر باشا، وكذلك لإرضاء رجال الدولة به»:

المعلم نقولا الترك، ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، تحقيق د. ياسين سويد، بيروت ١٩٩٠، ص ١٦٣-١٦٦.

(167) باحث وشاعر معروف في القرن التاسع عشر، ولد في مدينة كورتشا Korca بجنوب ألبانيا في ١٨٢٠ وهاجر إلى مصر في ١٨٥٩؛ حيث اشتهر هناك بنشاطاته ومؤلفاته في الألبانية واليونانية، وأصبح من أهم ممثلي الجالية الألبانية في مصر. من أهم مؤلفاته «النحلة الألبانية» Bleta shqiptare الذي نشر في الألبانية بالإسكندرية سنة ١٨٧٨. توفيَ في مصر سنة ١٨٩٠.

(168) .Thimi Mitko, Vepra, pergatitur nga Qemal Haxhihasani, Tirane 1981, pp. 45 - 46

(169) .Marost, Egypt, p. 32

(170) .John Sabini, Armies in the Sand: The Struggle for Mecca and Medina, London (Thames & Hudson), 1981, p. 63

(171) .Marost, Egypt, p. 30

(172) .Nehat Islami, «Gjurmeve të Mehmet Ali Pashës dhe ushtrisë së tij» VI , Rilindja, Prishtine 2. VIII, 19777, p.4

(173) يشير المبعوث الروسي بازيلي، المطلع على أحوال البلقان والمشرق، إلى هذا بشكل صريح بالقول إن «محمد علي أجّج مسبقًا لهيب التمردات في تركيا الأوربية ليصرف انتباه الباب العالي عن سورية»:

قسطنطين بازيلي، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة طارق معصراني، موسكو ١٩٨٩، ص١٣٠.

وقد وصلت إلى تلك النتيجة حينئذ جريدة Monitor Ottoman التي كانت تصدر حينئذ في إستانبول (عدد ٣٠ أيلول ١٨٣٥):

Bedrush Shehu, Shqiptaret dhe Ceshtja lindore ne 30 vjet te shekulit XIX, kosova- Kosovo 3, Prishtine- Pristina 1974 .pp. 216 -217

وحول هذا لدينا في الفترة الأخيرة أطروحة دكتوراه قيمة تتعرض لهذا الموضوع بالاستناد إلى الوثائق النمساوية والإنكليزية:

.Bedrush Shehu, Shqiptaret dhe dhe ceshtja lindore ne vitet 30 te shekullit XIX, F.Filozokik, Prishtine 198

(174) المصدر السابق، ص٢٩٥.

(175) انظر تفاصيل ذلك لدى الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٥.

(176) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢٤.

(177) الإسكندري- سليم، تاريخ مصر، ص١٣٥.

(178) انظر تفاصيل ذلك لدى الجبرتي، ج٣، ص ٢٥٤-٢٥٦ و٢٩٥-٣٠٦، وشبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل، ص٢٩٢- ٢٩٤.

(179) حسب الإسكندري- سليم فقد أسرّ محمد علي بخطته إلى اثنين فقط من زعماء الألبانيين

(حسن باشا وصالح قوج)، وهما اللذان نفذاها برجالهما:
الإ سكندري – سليم، تاريخ مصر، ص١٢٦.
وانظر تفاصيل ذلك لدى: الجبرتي، ج٣، ص ٣١٩-٣٢٢.

(180) Xhuvani, Jeta e Mehmet Aliut, p. 46.

(181) Sabini, Armies in the Sand, p. 63.

(182) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، موسكو، ١٩٨٦، ص١٦٨.

(183) عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٥١، ص١٧٠.

(184) يقول سابيني إن «لامبالاته التامة بالحياة الإنسانية واستخفافه بالمبادئ الأخلاقية أكسباه هذا الاسم، الذي كان يستخدمه حتى في المراسلات الرسمية»، ومع هذا يذكر سابيني أنه كان «جنديًّا شجاعًا»:

Sabini, Armies in the Sand, pp. 88 - 89.

(185) يانغ، تاريخ مصر من عهد المماليك، ص١١٠.

(186) الإسكندري- سليم، تاريخ مصر، ص١٢٩-١٣٠.

(187) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص١٧٠.

(188) Sabini, Armies in the Sand, p. 92.

(189) Xhuvani, Jeta e Mehmet Aliut, p. 64.

(190) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٣٣٨.
بعد ذلك يذكر الجبرتي، بمناسبة قدوم فلول الحملة المهزومة، اختلاف القواد حول توزيع المسئولية عما حدث إذ «إن الخيالة كانت تقول إن سبب ذلك القرّابة وتقول القرّابة بالعكس». إلا أن الجبرتي يقدّم تفسيرًا آخر للهزيمة بالاستناد إلى ما رواه له «بعض أكابرهم من الذين يدّعون الصلاح والتورع»:
«أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملّة، وفيهم من لا يتديّن بدين ولا ينتحل مذهبًا، وصحبتنا صناديق المسكرات، ولا يسمع في عرضنا أذان ولا تقام به فريضة، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين؟ والقوم إذا دخل الوقت أذّن المؤذنون وينتظمون صفوفًا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع. وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذّن مؤذن وصلّوا صلاة الخوف، فتتقدّم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلًا عن رؤيته. وينادون في معسكرهم: هلمّوا إلى حرب المشركين، المحلقين الذقون، المستبيحين الزنا واللواط، الشاربين الخمور، التاركين الصلاة، الآكلين الربا، القاتلين الأنفس، المستحلّين الحرمات. وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوا غلفًا غير مختونين...»:
الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٣٤١.

(191) Sabini, Armies in the Sand, p. 92.

(192) يذكر الجبرتي أن محمد علي وافق على استقبال قادة الاحتجاج (صالح قوج، محو بك، سليمان آغا، وخليل آغا) في ٣ رجب ١٢٢٧هـ/ ١١ تموز ١٨١٢، إلا أنه كان «متكدرا» في هذا اللقاء لأنه «طلبهم للحضور مجردين بدون عساكرهم ليتشاور معهم فحضروا بجملة عساكرهم» إذ إنهم كانوا يعرفون أساليبه في مثل هذه الحالات. وبعد هذا اللقاء يذكر الجبرتي أن هؤلاء بقوا في بيوتهم ببولاق والقاهرة نحو عشرين يومًا و«أمرهم في ارتجاج وعساكرهم مجتمعة حولهم»:
الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٣٥١.

(193) Sabihi, Armies in the Sand, p.92.
ويذكر الجبرتي أن هذه «الحقوق» المتراكمة بلغت ١٨٠٠ كيس حتى إنه «أمر بحملها على الجمال لهم».
ويصف الجبرتي في مقطع مهم حال هؤلاء: «إذ عسر عليهم مفارقة أرض مصر وما صاروا فيه من التنعّم والرفاهية والسيادة والإمارة، والتصرف في الأحكام، والمساكن العظيمة، والزوجات والسراري والخدم والعبيد والجواري، فإن الأقلّ منهم له البيتان والثلاثة من بيوت الأمراء...»:
الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٣٥١-٣٥٢.
ويضيف الجبرتي في مقطع لاحق (ج٣، ص ٣٥٢-٣٥٣) أن صالح قوج كان آخر المغادرين إذ إنه سافر يوم الخميس ١٩ شعبان ١١٢٧هـ/ ٢٩ آب ١٨١٢ وذهب معه «نحو المائتين ممن اختارهم من عساكره

الأرنؤوطية، وتفرق عنه الباقون وانضموا إلى حسن باشا وأخيه عابدين بك وغيرهما».

(194) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: د. عفيفة البستاني، موسكو، د.ت، ص١٠٣، فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص١٧٠.

(195) Sabini, Armies in the Sand, p.93.

(196) د.عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى ١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٣١٠؛ فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص١٧٣.

(197) أقيمت بهذه المناسبة احتفالات صاخبة في القاهرة أطلقت فيها نيران المدافع وأجريت الألعاب النارية، وتوجّه رسول من محمد علي إلى الآستانة يحمل مفاتيح مكة والمدينة وجدة. وكتبت السفارة الروسية من الآستانة تقول: «حضر جميع أعضاء الحكومة العثمانية لاستلام المفاتيح في مسجد أيوب، ومن نُقلت إلى السلطان في السراي، وفي ذلك اليوم دوت ثلاث مرات صليات المدفعية من جميع بطاريات المدينة والأسطول ومضيق البحر الأسود احتفالًا بهذا الحادث. واستمرت الاحتفالات سبعة أيام»: فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص١٧٤.

(198) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص١٧٥.

(199) Sabini, Armies in the Sand, p.96.

(200) جيوفاني فيناتي كان من جنود بونابرت في إيطاليا ثم هرب مع مجموعة من رفاقه إلى مدينة شكودرا Shkodra بشمال ألبانيا حيث تظاهر باعتناق الإسلام، ثم ذهب مع مجموعة من المقاتلين الألبانيين إلى مصر حيث عمل عدة سنوات في خدمة محمد علي، وعاد أخيرًا إلى بلاده لينشر مذكراته عن تلك السنوات المثيرة التي قضاها في الشرق:

Narrative of the life and adventure of Giovanni Finati, edited by William John Bankes, London, 1830.

(201) Sabini, Armies in the Sand, p. 129.

(202) Finati, Narrative, pp. 226 - 232; Sabini, Armies in the sand, pp. 129 - 130.

وانظر حول هذا أيضًا:

أحمد بن زيني دحلان، أمراء البيت الحرام، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٣٥.

(203) حول هذه «المؤامرات» انظر ما يسوقه الجبرتي، ج٣، ص ٤١١-٤١٥.

(204) للتوسع حول هذا انظر عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٣٢٣-٣٢٥.

(205) الجبرتي،عجائب الآثار، ج٣، ص٤٨١.

(206) الجبرتي،عجائب الآثار، ج٣، ص٤٨١.

(207) المصدر السابق، ج٣، ص٤٨١.

(208) المصدر السابق، ج٣، ص٤٨١.

(209) المصدر السابق، ج٣، ص٤٨٣.

(210) Marost, Egypt, p. 73, 126.

(211) Sabini, Armies in the Sand, p. 181.

(212) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص١٨٢.

(213) عبد الحميد البطريق، إبراهيم باشا في بلاد العرب، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، القاهرة، ١٩٤٨، ص١٤.

(214) المرجع السابق.

(215) G.F. Sadleir, Account of a Journey from Katif on the Persian Gulf toYamboo on the Red Sea, Vol. 3, London, 1823, p. 488.

(216) لدينا تضارب كبير في تقدير حجم الخسائر لدى الطرفين. فالمؤرخ ابن بشر يجعل خسائر السعوديين ١٣٠٠ ويرفع خسائر جيش إبراهيم إلى ١٠ آلاف، بينما يذكر إبراهيم باشا في رسائله إلى القاهرة أن خسائر السعوديين كانت ١٤ ألف قتيل و٦ آلاف أسير:

عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، مكة المكرمة، ١٩٣٠، ص ٢٠٧؛ فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ص ١٨٦.

(217) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/ ١٨١٩-١٨٤٠م، القاهرة، ١٩٨١، ص ٤٨-٥٠.

(218) د.عبد الحميد البطريق، من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠، القاهرة، ١٩٦٩، ص٥١؛ د.حسين عبد الله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن ١١٦١- ١٢٦٤هـ/ ١٧٤٨-١٨٤٨م، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٢٢٦.
(219) يقول الإسكندري ـ حسن في تكثيف معبر عن العلاقة بين الطرفين إن قوة محمد علي «كانت أول أمره مستمدة من أبناء جلدته من العساكر الألبانية، وهم لم يكن في نظرهم ممتازًا عنهم إلا برتبته العسكرية، ولذلك كان وجودهم حوله خطرًا يتهدده في كل لحظة»:
الإسكندري- حسن، تاريخ مصر، ص١٦٠.
(220) المرجع السابق، ص ١٣٥.
(221) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في عهد محمد علي الكبير، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٤٤. ويبدو أن ك. ثابت أخذ هذه الأرقام عن زكي مع أنه يضيف إلى ذلك: «نحو ٥٠٠ رجل من قبيلة النقارة»:
كريم ثابت، محمد علي، القاهرة، د.ت.، ص٧٢.
(222) الإسكندري- حسن، تاريخ مصر، ص١٦١.
(223) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ص١٠٨.
(224) يرى لوتسكي أن «محمد علي يريد قبل كل شيء إظهار قوة مصر الحربية أمام العالم وتفوقه على الباب العالي. وكان عليه أن يبرهن على أنه من حق مصر أن تضطلع بدور الدولة العظيمة، القادرة على التأثير في مجرى تاريخ العالم»:
لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ص١١٩.
(225 **Xhuvani, Jeta e Mehmet Aliut, pp.50 - 52.**
(226) يذكر القنصل الفرنسي دروفني في رسالة إلى حكومته في ١٨١١ أن «محمد علي يطمع في ولاية سوريا.. وقد أخذت فكرة الاستقلال تزداد رسوخًا منذ استظهاره على أعدائه وقمعه فتنة الجند وتخلصه من الارتباكات المالية»:
الرافعي، عصر محمد علي، ص ٢٤٩.
(227 **Islami, "Gjurmeve të Mehmet Ali Pashës dhe ushtrisë së tij", XIII-XIV-XX, Rilindja, Prishtine 9, 10, 16, VIII., 1977, f. 4..**
(228) عبد الرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ص ١٧١-١٧٤.
(229) في الوثائق المتعلقة بهذا التمرد والتي نشرها ع. عبد الرحيم يرد ذكر محمد آغا بأكثر من شكل سواء في التركيب التركي «تركجه بلماز» أو «تركجه بلمز»، أو في التركيب العربي «الآغا الذي لا يعرف التركية».
د.عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي١٢٣٤-١٢٥٦هـ/ ١٨١٩-١٨٤٠ الدوحة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وثيقة رقم ٥، تاريخ ٢١ رجب ١٢٣٩هـ/٢٢ مارس ١٨٢٤م (ص٣٢٤)، وثيقة رقم ٢ تاريخ ٧ رمضان ١٢٤٧هـ/ ٩ فبراير ١٨٣٢ (ص ٤٤٩-٤٥٠)، وثيقة رقم ٥ تاريخ ٢٥ صفر ١٤٢٨هـ/٢٤ يوليو ١٨٣٢ (ص٤٥٤-٤٥٥)، وثيقة رقم ١٠ بدون تاريخ، (ص٤٦٨) وغيرها.
(230 **Marost, Egypt, p. 32.**
(231 **Islami, «Gjurmeve të Mehmet Ali Pashës dhe ushtrisë së tij» XVIII, Rilindja, Prishtine 14, VIII, 1977, f.4.**
(232) عبد الرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ص ١٧٩-١٨٠.
(233) المرجع السابق، ص ١٨٣-١٨٥.
(234) في تقرير للمدرب الفرنسي ج. بلانات يبدو أن عدد الجيش البري في أول يناير ١٨٢٨، بلغ ٥٤٥١٠ جنود موزعين على ١٢ آلايًا. ومن هذه نجد الآلاي التاسع والآلاي الثاني عشر تحت قيادة أحمد باشا في الحجاز، حيث بلغ عدد أفرادهما هناك ٧٠٠٠ جندي في ذلك الوقت: الأمير عمر طوسون، صفحات من تاريخ مصر في عهد محمد علي – الجيش المصري البري والبحري، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٥٢.
(235) المرجع السابق، ص ١٦٢.
(236) في التقرير المذكور لـ ج. بلانات يبدو أن قائد الآلاي التاسع في الحجاز كان محمود بك الأرنؤوطي، الذي أصبح ناظرًا للجهادية، وقائد الآلاي الثاني عشر كان عابدين بك الذي مرّ ذكره في البحث، بينما كان القائد العام أحمد باشا، ابن أخت محمد علي: طوسون، الجيش المصري البري والبحري، ص ١٥٢-١٥٣.
ولدينا من الوثائق التي نشرها د. عبد الرحيم إشارات كثيرة إلى هؤلاء القواد بأسمائهم المميزة كـ «حسن آغا الأرنؤوط» و«بكر آغا الأرنؤوطي» وغيرهما:

عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية، ص٣٢٤-٣٢٥، ٥٨٧-٥٨٩ وغيرها.

(237) من ميراميران المدفعية إلى باشمعاون الخديوي، دار الوثائق القومية، محفظة (٢٦٦) عابدين، رقم ٣٢، تاريخ ٩ شعبان ١٢٥٥هـ/١٨ أكتوبر ١٨٣٩م، منشورة في عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية، ج١، ص٢١٢-٢١٥.

ولكن يلاحظ أن هذه الرسالة تتحدث عن «ألفي نفر من الأرنؤوط»، ثم «مائتي النفر الأرنؤوط» لاحقًا، ويبدو لنا أن الرقم الثاني أقرب إلى الصواب.

(238) رسالة من الشريف محمد بن عون إلى محمد علي، دار الوثائق القومية، محفظة (١٨) بحر برا، رقم ٥٨، تاريخ غرة ربيع الأول ١٢٥٦هـ/ ٣ مايو ١٨٤٠، منشورة في عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية، ج١، ص ٢١٦-٢١٩.

الفصل الخامس

محمد علي باشا بين مصر وألبانيا: لمصلحة مصر، أم لمصلحة ألبانيا؟

في الوقت الذي كان فيه محمد علي باشا يقود مشروعه لإرساء دولة حديثة في مصر كانت الأوضاع في البلقان تتّسم بتحديات كبيرة تهدد وجود الدولة العثمانية هناك (الانتفاضة الصربية في ١٨٠٤، والحرب الروسية العثمانية ١٨٠-١٨١٢، وتمرّد علي باشا يانينا ١٨٢١-١٨٢٢، والثورة اليونانية ١٨٢١، والحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩). وفي غرب البلقان، وبالتحديد في المناطق ذات الغالبية الألبانية، كان لدينا مشروع مشابه لمحمد علي يقوده علي باشا يانينا في الجنوب خلال ١٨٢١-١٨٢٢ وآخر في الشمال يمثله مصطفى باشا بوشاتلي خلال ١٨٣٠-١٨٣١، بالإضافة إلى انتفاضات محلية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال خلال ١٨٣٢-١٨٣٥؛ مما جعل الدولة العثمانية تنشغل هناك بقواتها العسكرية ودبلوماسيتها. ومن هنا يبرز التساؤل عن موقف محمد علي باشا من تلك التطورات، وعن صلاته بالتمردات والانتفاضات ضد الدولة العثمانية في غرب البلقان سواء على مستوى الباشوات أصحاب مشاريع الاستقلال أو على مستوى التمردات المحلية. وإذا كانت المصادر المختلفة في ذلك الوقت تجمع على دور ما لمحمد علي باشا في دعم التمردات والانتفاضات هناك، فإن السؤال الذي طُرح ومايزال مفتوحا : هل كان محمد علي باشا يفكر في مشروع ألباني أو إستراتيجي (مشرقي بلقاني) بتعاونه مع الزعماء الألبان في غرب البلقان، أم أنه كان يدعم الألبان لإشغال الدولة العثمانية هناك حتى يضمن النجاح لمشروعه في مصر ؟

وعلى الرغم من ألبانية محمد علي، التي تُذكر أحيانًا للتشكيك في دوافعه لإنشاء دولة حديثة في مصر، فإنه قد يكون من المستغرب أن يسجّل هنا أن الباحثين الألبانيين حتى وقت متأخر لم يهتموا كثيرًا، كما قد يفترض المرء، بمحمد علي ومشروعه في مصر. وهكذا لدينا في النصف الأول للقرن العشرين كتيّب واحد فقط للباحث ألكسندر جوفاني، الذي قضى شطرًا من حياته في مصر، بعنوان «حياة محمد علي باشا المصري» صدر في تيرانا عام١٩٢١ [(239)]. وفي هذا الكتيّب الذي يستعرض فيه المؤلف سيرة حياة ومنجزات محمد علي في مصر لأول مرة باللغة الألبانية، وبالتحديد بعد أن أصبحت للألبان دولتهم القومية، يرد فيه أن الألبان يشعرون بالاعتزاز لما قام به محمد علي من رفع شأن بلد آخر ألا وهو مصر[(240)]، التي كانت تحتل آنذاك مكانة مميزة لدى الألبان بشكل عام بسبب دور ألبان مصر في النهضة القومية الألبانية، كما سنرى في الفصل السابع، والعلاقات المتنامية بين الدولتين المستقلتين حديثًا – مصر وألبانيا[(241)]. وبعد صمت طويل لدينا في الربع الأخير من القرن العشرين والسنوات الأولى من هذا القرن، أي بعد تأسيس أقسام ومعاهد التاريخ في

تيرانا وبريشتينا، لدينا أولى الدراسات الحديثة في اللغة الألبانية عن محمد علي وصلاته مع الألبان في البلقان لبيتريك ثانجيلي[242] وبدروش شيخو[243] ومحمد موفاكو[244] ومحمد بيراكو[245] وكمال مورينا[246] وحتى كتاب شكري نعماني «محمد علي باشا القائد الألباني الذي أعاد لمصر كرامتها» الذي صدر في ٢٠١٢ [247].

وفي هذه الدراسات لدينا جهود لاستقراء المصادر المختلفة (أرشيف الحكومة العثمانية وتقارير الدبلوماسيين الأوربيين إلى حكوماتهم ومقالات الصحف التي تعتمد على مصادر دبلوماسية وغيرها)، ونتائج مختلفة للإجابة عن السؤال الكبير: ما هدف محمد علي من دعم التمردات والانتفاضات في ألبانيا خلال صراعه مع الدولة العثمانية الذي تحوّل إلى فصل مهم من فصول «المسألة الشرقية»؟ هل هو لأجل ألبانيا، أم لأجل مصر؟

وفي الواقع أن تنوع هذه المصادر (العثمانية والروسية والإنكليزية والفرنسية والنمساوية والإيطالية والصربية والكرواتية) إنما كان يعكس اهتمام ومصالح الدول المختلفة بالخلاف والصراع اللذيْن نشبا بين محمد علي والدولة العثمانية واللذيْن قلبا التحالفات بين المعنيين بـ «المسألة الشرقية». فحتى مطلع القرن التاسع عشر كان هنالك توافق روسي- نمساوي على تقاسم التركة العثمانية في البلقان، ثم تشكّل توافق أوروبي ضد السلطان العثماني ومحمد علي مع موقعة نافارين ١٨٢٦، ولكن بعد الحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨-١٩٢٩ وما أدت إليه من اختراق روسي للبلقان مالت النمسا إلى الحفاظ على الدولة العثمانية. وقد أدى تقدم جيوش محمد علي باشا في بلاد الشام إلى انقلاب الموقف. فروسيا كانت تفضّل أن تبقى في جوارها دولة عثمانية ضعيفة من أن تبرز في جوارها دولة قوية، ولذلك حاولت أولًا أن تقنع محمد علي بعدم التوغل في بلاد الشام، ولكن مع اختراق جيوش محمد علي للأناضول واقترابها من إستانبول تبدل الموقف الروسي وتمخض عن إرسال ٣٠ ألف جندي إلى إستانبول للدفاع عن عاصمة الدولة العثمانية في شباط ١٨٣٢. ومن المعروف أن وصول القوات الروسية إلى إستانبول دفع القوى الكبرى إلى الضغط على محمد علي للقبول بمعاهدة كوتاهية في ١٨٣٣. ونتيجة للتدخل الروسي أمام تقدم جيوش محمد علي وقعت الدولة العثمانية في حزيران ١٨٣٣ معاهدة هنكار إسكله سي مع روسيا، التي حصلت بموجبها على امتيازات مهمة، مما دفع إنكلترا وفرنسا بدورهما إلى العمل للحصول على امتيازات مشابهة، وهو ما أثر بدوره على موقف الأطراف من الجولة الجديدة للحرب بين محمد علي والدولة العثمانية خلال ١٨٣٩-١٨٤٠ [248].

وبعبارة أخرى، إن مصالح ومواقف هذه القوى الكبرى من الدولة العثمانية خلال ١٨-١٨٤٠ فرضت عليها أن تتابع بكل اهتمام صلات محمد علي بالألبان في غرب البلقان الذي كان يمور بالتحركات والانتفاضات في تلك الفترة، وهو ما يظهر معنا في المصادر العثمانية والنمساوية والإنكليزية والروسية وغيرها التي اعتمدت عليها الدراسات الألبانية. وبالاستناد إلى المصادر المذكورة سنحاول هنا تتبع

أهم التطورات والمعطيات الواردة فيها التي تتعلق بصلات محمد علي باشا بالتمردات والانتفاضات الألبانية في غرب البلقان.

كان الزعماء المحليون في جنوب ألبانيا، بعد تخلص الدولة العثمانية من علي باشا يانينا في ١٨٢٢، قد أخذوا يعبّرون عن تحفظهم إزاء إصلاحات الدولة المركزية، وخاصة بعد التخلص من الإنكشارية والتوجه لتأسيس جيش جديد، التي رأوها تحديًا من سلطتهم المحلية، ولذلك فقد بدءوا يتمردون بزعامة زلفتار بودا Z.Poda بعد أن رفضوا دعوة الدولة لهم للمشاركة في حربها ضد روسيا خلال ١٨٢٩-١٨. وقد أدى ذلك إلى تنظيم مجزرة، على نمط مجزرة القلعة في القاهرة، للتخلص من الأعيان الألبان الذين لبوا دعوة الصدر الأعظم محمد رشيد باشا للغداء في آب/أغسطس ١٨٣٠ [(249)].

وفي الوقت نفسه أخذ مصطفى باشا بوشاتلي، الذي ورث عن أسرته باشوية أشقودرة، في التذمر من إصلاحات الدولة المركزية التي بدأت تمسّ سلطته الواسعة في شمال ألبانيا، وانتقل بدوره إلى التمرد العلني على الدولة في ربيع ١٨٣١ في الوقت الذي كان فيه الصدر الأعظم محمد رشيد باشا يحاول السيطرة في جنوب ألبانيا على الوضع هناك[(250)].

وقد شكّل مصطفى باشا تهديدًا حقيقيًّا للدولة لأنه سار بقواته في اتجاه إستانبول، كما يقال بناء على اتفاق ما مع محمد علي ينص على «اللقاء عند أسوار إستانبول» فسيطر على سكوبيه في أواخر آذار/مارس ١٨٣١ وتمكن حلفاؤه من السيطرة على صوفيا في أواخر نيسان/إبريل ١٨٣١.

وقد اضطر الصدر الأعظم إلى أن يسارع بقواته من جنوب ألبانيا ليقطع الطريق على مصطفى باشا في مكدونيا، ما بين برليب Prilep وفلس Veles؛ حيث هزم مصطفى باشا واضطر إلى الانسحاب إلى معقله في قلعة اشقودره الحصينة. وقد استمر حصاره حتى تشرين الأول/أكتوبر ١٨٣١ حين استسلم بعدما فقد الأمل في وصول المساعدة الموعودة من محمد علي باشا حسب ما يرد في المصادر الإنكليزية[(251)].

وهكذا في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية مشغولة بقواتها البرية والبحرية بحصار واستسلام مصطفى باشا، كان محمد علي يعد لانتهاز هذه الفرصة ويفتح جبهة أخرى مع الدولة في بلاد الشام في تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٣١. ويبدو أن الدولة العثمانية، حسبما جاء في المصادر النمساوية، كانت تستشعر وجود صلات ما بيين مصطفى باشا ومحمد علي باشا إذ إنها أصرت بعد استسلام مصطفى باشا على أن يُرسل بحراسة مشددة برًّا إلى إستانبول، بينما أُرسلت أسرته وحاشيته بحرا إلى إستانبول؛ وذلك خشية قيام محمد علي باشا بعملية لتخليصه في عرض البحر[(252)].

وفي غضون ذلك كانت الانتفاضة التي يقودها في جنوب ألبانيا زلفتار بودا قد فشلت أمام القوات العثمانية المتزايدة في آب/أغسطس ١٨٣١ واضطر مع عدد من الزعماء المحليين مثل طفيل بوزي T.Buzi وعبدل كوكا A.Koka وغيرهما للجوء

إلى كريت عند مصطفى باشا جريتلي، حاكم الجزيرة التي منحت لمحمد علي بعد مشاركته في إخماد الثورة اليونانية، والذي أصبح صلة الوصل منذ ذلك الحين بين محمد علي وبين زعماء الانتفاضات الألبانية حسبما يرد في المصادر العثمانية والروسية وغيرها[253].

وهكذا في الوقت الذي كان فيه محمد علي باشا يشغل بحربه الدولة العثمانية تمّ إرسال طفيل بوزي مع مجموعة من رجاله إلى جنوب ألبانيا في ربيع ١٨٣٢ ليشعل هناك انتفاضة ويفتح جبهة جديدة مع الدولة العثمانية. وحسب المصادر الفرنسية فإنّ بوزي كان يشيع بين أنصاره في ألبانيا عن قرب وصول «أسطول مصري» إلى الشواطئ الألبانية[254].

ومع أن محمد علي والدولة العثمانية توصلا إلى صلح كوتاهية في أيار/مايو ١٨٣ تحت ضغوط إنكلترا وفرنسا والنمسا، فإن كل طرف أخذ يستعدّ لجولة جديدة من الحرب. وهكذا يبدو أن محمد علي قد سعى منذ ١٨٣٣ إلى إشغال الدولة العثمانية بالانتفاضات الألبانية. ففي حزيران/يونيو ١٨٣٣ حاول طفيل بوزي أن يشعل انتفاضة جديدة في جنوب ألبانيا إلا أنه فشل ولجأ ثانية إلى كريت؛ حيث كان يحظى بالدعم هناك من مصطفى باشا، لينتظر الفرصة المناسبة ليعود ثانية[255]. وقد جاءت هذه الفرصة في صيف ١٨٣٤ حين عاد طفيل بوزي وشاهين دلفينا Sh.Devina بدعم من محمد علي إلى جنوب ألبانيا لإشعال انتفاضة جديدة[256] في الوقت الذي تشير فيه المصادر النمساوية إلى اقتراح لمحمد علي لفيينا ولندن وباريس بعقد تحالف مشترك ضد التحالف الروسي- العثماني[257].ولكن هذه الانتفاضة لم تنجح هذه المرة بسبب ما قيل عن عدم وصول سفن المساعدة التي وعد بها محمد علي نتيجة التحذيرات التي وصلت له من قبل الدول الكبرى الأوروبية كما يرد في المصادر الفرنسية[258].

إلا أن طفيل بوزي وغيره نجحوا في خريف ١٨٣٤ في إشعال انتفاضة أخرى في جنوب ألبانيا. وقد تمخضت الانتفاضة هذه المرة عن تشكيل تحالف محلي في بيرات Berat يشمل زعماء الألوية السبعة في الجنوب الذين شكلوا مجلسًا واختاروا لرئاسته عباس لوشنيا A.Lushnja، بينما اختير طفيل بوزي لإدارة العمليات العسكرية والصلات مع محمد علي في مصر. وقد أثار هذا التطور الدولة العثمانية التي سارعت في تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٣٤ إلى إرسال أسطول إلى الشواطئ الألبانية لتمنع وصول أي مساعدة محتملة من الأسطول المصري[259].

وقد أدى انتشار هذه الانتفاضة وسقوط قلعة بيرات Berat في أيدي قوات الانتفاضة إلى تراجع الدولة العثمانية عن استخدام القوة وحتى اللجوء إلى الدبلوماسية والتوصل إلى اتفاقية ترضي بعض مطالب زعماء الانتفاضة في كانون الثاني/يناير ١٨٣٥. ولكن طفيل بوزي رفض هذه الاتفاقية وأشعل انتفاضة أخرى في جنوب ألبانيا في شباط/فبراير ١٨٣٥. وفي هذه المرة وجّه طفيل بوزي بيانًا عامًّا يطلب فيه من كل الألبان حمل السلاح لتحرير بلادهم وطرد

العسكريين والموظفين العثمانيين، وهو ما يعتبر الأول من نوعه في التاريخ الألباني الحديث[260]، كما أنه وجّه باسم الانتفاضة رسالة إلى محمد علي في مصر ليخبره فيها عن استعداد رجال الانتفاضة لتحقيق استقلال ألبانيا عن الحكم العثماني المباشر[261].

ويبدو أن هذه الانتفاضة، التي شاع في حينه أنها جرت بدعم من محمد علي، قد أثارت ردة فعل دبلوماسية على أعلى المستويات. فقد اهتم مترنيخ مستشار النمسا شخصيًّا بالأمر، بعد أن وصلته مراسلات زعماء الانتفاضة مع مصطفى باشا في كريت، وطلب من سفيره في لندن إثارة الأمر مع الحكومة الإنجليزية وتوجيه قناصلها للتنبه لمثل هذه الصلات وعرقلتها، وهو الأمر الذي طلبه أيضًا من قناصل النمسا في المناطق الألبانية[262]. وقد اهتمت بالأمر كذلك روسيا، حليفة الدولة العثمانية آنذاك؛ حيث طلب السفير الروسي في إستانبول من القنصل الروسي في الإسكندرية لقاء محمد علي وتوجيه تحذير إليه حول صلاته بالانتفاضة في جنوب ألبانيا[263]. وفيما يتعلق بالدولة العثمانية فقد أثارت هذه الانتفاضة، وما شاع عن صلات محمد علي بها، الاستنفار فيها وسارعت لإرسال جيشين لإخماد هذه الانتفاضة التي انتهت باستسلام زعيمها طفيل بوزي بعد وعد بالعفو عنه.

وفي غضون ذلك كانت مشاعر السخط تنتقل إلى ألبانيا الشمالية، وبالتحديد في أشقودرة التي كانت لا تزال تحتفظ بأنصار لمحاولة مصطفى باشا بوشاتلي الاستقلال عن الدولة العثمانية. فقد كان في هذه الناحية عدد لا بأس به من الضباط والجنود الذين يخدمون في جيش محمد علي، والذي يعتقد أن لهم تأثيرًا عليه. ومن ناحية أخرى، فقد أخذت تشيع منذ ١٨٣٣ الأخبار هناك عن قرب وصول «سفن مصرية» تحمل المساعدة للألبان على الانتفاضة. وقد بدأت الانتفاضة في نيسان/إبريل ١٨٣٣، وربطت في المصادر النمساوية وغيرها بوجود مبعوثين لمحمد علي في تلك الأرجاء[264]. وقد استمرت هذه الانتفاضة حتى مطلع تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٣٣، حين وصل الخبر بموافقة الباب العالي على أول شرط لزعماء الانتفاضة الذي يتمثل في عزل الوالي علي نامق باشا.

ولكن بعد هدوء قصير اشتعلت الانتفاضة في أشقودرة مرة أخرى في أيار/مايو ١٨، وبقيت هذه المرة مستمرة حتى منتصف أيلول/سبتمبر حيث تمكنت القوات العثمانية المعززة من دخول المدينة في ١٨/٩/١٨٣٥. وبهذه المناسبة راجت الأخبار من جديد حول صلات محمد علي بالانتفاضة، على الرغم من نفي محمد علي بالإسكندرية في اليوم الثاني لإخماد الانتفاضة وجود أي صلة له مع طفيل بوزي أو مع الانتفاضة الأخيرة[265].

وفي هذا السياق نشرت المجلة الرسمية «المراقب العثماني» Ottoman Monitor في ٣٠/٩/١٨٣٥ تحليلًا موسعًا عن علاقة محمد علي بالانتفاضات الألبانية، وهو ما أعادت نشره «مجلة إزمير» Journal d Asmirne بالفرنسية في ٣/١٠/١٨٣٥ بعنوان: «حول أوضاع ألبانيا». وفي هذا التحليل عبّرت المجلة عن الموقف

العثماني الذي يرى أن القوى الكبرى متفقة على الحفاظ على الوضع القائم، وأن محمد علي بقيَ تابعًا للسلطان حسب صلح كوتاهية ١٨٣٣، ولو أراد السلطان أن يسترد سلطته في مصر باستخدام القوى لعارضته القوى الكبرى لأجل الحفاظ على الوقع القائم. ومن هنا فإن محمد علي كان يثير مثل هذه القلاقل للسلطان في ألبانيا حتى يبعد الاهتمام عنه[(266)].

وعلى الرغم من الهدوء النسبي الذي ساد المناطق الألبانية بعد الانتفاضة الأخيرة في أشقودرة فإن المخاوف من النفوذ القوي لمحمد علي، ولإمكانية قيام انتفاضة جديدة، بقيت قائمة حتى خريف ١٨٣٩ كما تعكسها المصادر النمساوية، أي حتى الجولة الثانية من الحرب التي اندلعت بين محمد علي والسلطان العثماني. ففي رسالة إلى مترنيخ مؤرخة في ٣/١١/١٨٣٩، ومستندة إلى معلومات القنصلية النمساوية في أشقودرة حول المعلومات المتداولة عن وصول مبعوثين لمحمد علي باشا إلى هذه الأرجاء لحضّ الألبان على انتفاضة جديدة يرد أن محمدًا له من النفوذ والأنصار في هذه الأرجاء (شمال ألبانيا) ما لا يستدعي إرسال مبعوثين، وأنه يكفي لإشعال الانتفاضة هناك أن تقترب من الساحل الألباني سفينة تحمل العلم المصري[(267)].

ومع ذلك لدينا من الوثائق المصرية لذلك الوقت ما يدل على أن جزيرة كريت بقيت حتى صيف ١٨٣٩ تؤيد المتمردين أو المنتفضين الألبانيين؛ حيث يرد أن محمد علي كان يأمر بصرف رواتب شهرية لهم من خزينة الدولة[(268)].

وعلى كل حال فإن المصادر المذكورة تسكت عن هذه الصلة بين محمد علي والألبان في البلقان بعد ١٨٤٠ وبالتحديد بعد أن استقر الأمر لمحمد علي في مصر، وكأنها بهذا تؤكد على أن محمد علي لم تعد له مصلحة في ذلك.

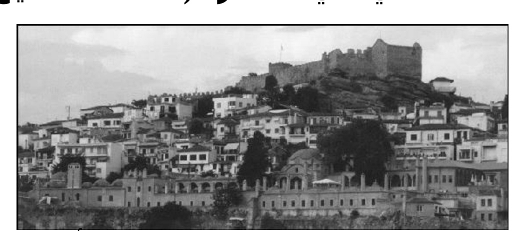
أما بالنسبة إلى المؤرخين الألبانيين فهناك باتريكا ثانجيلي P.Thengjilli الذي يرى أن محمد علي كان يهدف فيما لو ربح حربه ضد السلطان أن يضم إليه الروملي أيضًا وأن يعيّن عليه رجله الموثوق مصطفى باشا جريتلي بينما يعين على رأس السناجق الألبانية الزعماء المحليين، ولو أن مثل هذا الأمر لم يتحقق لتخلّي محمد علي عن الألبان عندما كانوا في أمس الحاجة إلى مساعدته[(269)]. وهناك بدروش شيخو B.Shehu الذي يرى أن الألبان كانوا بحاجة إلى مساعدة محمد علي ولكنهم لم يكونوا مجرد أداة بيده؛ لأنهم كانوا يقومون بالانتفاضات ضد الإصلاحات المركزية وما كان بوسعهم أن يقبلوا بمثل هذه الإصلاحات لو جاءت بواسطة محمد علي نفسه[(270)]. وما بين هذين الرأيين يكتفي «تاريخ ألبانيا» الرسمي، الذي كان يمثل وجهة النظر الرسمية خلال حكم الحزب الشيوعي (١٩٤٥-١٩٩٢)، بذكر أن محمد علي (الذي لا يذكر أصله الألباني أو علاقته بألبانيا) إنما كان «يهتم كثيرًا بالانتفاضات في ألبانيا لأنه كان يعتبرها عاملًا مهمًّا لإضعاف الإمبراطورية العثمانية التي كان في صراع معها»[(271)].

وعلى كل حال، فإن السؤال حول دوافع الصلات بين محمد علي والألبان في البلقان، وبالتحديد حول دوره في إثارة الانتفاضات الألبانية ضد الدول العثمانية،

لايزال مفتوحًا بانتظار الكشف عن المزيد من الوثائق وخاصة تلك المصرية الموجودة في دار الوثائق[272].



سبيل محمد علي في القاهرة (متحف النسيج الآن)



مجمع محمد علي باشا في مسقط رأسه قولة

(239 A.Xhuvani, Jeta e Mehmet Aliut pashes se Misirit, Tirane 1921.

(240) «مع أن محمد علي عمل لأجل مصر وليس لأجل ألبانيا فإنه يجب أن نفتخر بأن ألبانيًّا مثله قد كرّم جنسه أمام التاريخ بأعماله العظيمة لأجل مصر»:

Xhuvani, Jeta e Mehmet Aliut, p. 8.

(241) للمزيد حول هذه العلاقات انظر : محمد السيد سليم (محرر)، علاقات مصر بدول رابطة الدول المستقلة وألبانيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا ومنغوليا، القاهرة (مركز الدراسات الآسيوية ٢٠٠٠).

(242 Kryengritjet popullore në vitet 30 të shekullit XIX- Dokumente osmane, përgatitut për botim nga Patrika Thengjilli, Tiranë (Instituti i historisë) 1987; Patrika Thengjilli, Kryengritjet popullore kunderosmane nëShqipëri 1833 - 1839, Tiranë (Instituti i historisë) 1981.

(243 Bedrush Shehu, "Shqiptarët dhe ceshtja lindore në vitet 30 të shekullit XIX", Kosova 3, Prishtinë 1974, pp.207 - 219; Bedrush Shehu, Ceshtja shqiptare në vite 30 te shekullit XIX, Prishtinë (Instituti i historisë) 1990.

(244 Muhamed Mufaku, "Roli i shqiptarit Muhamed Ali pasha në paraqitjen e arabizmit në boten arabe", Përparimi 5, Prishtinë 1977, pp. 588.

(245 Muhamet Pirraku, «Kryengritja e Shkodrës e vitit 1835 nëdritën e shtypit serb e kroat", Gjurmime albanologjike 33 - 34, Prishtinë 2003 - 2004, pp. 235 - 255.

(246 Qemajl Morina, «Kreta vendstrehim për kryengritesit shqiptare», Rilindja (Prishtinë) 03.03.1979.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنه على الرغم من هذه الدراسات المتخصصة التي نشرت في المراكز العلمية أو في المجلات العلمية فإن شهرة محمد علي بين الألبان آنذاك، ارتبطت بالمسلسل الذي نشره الصحفي المعروف نهاد إسلامي في جريدة «ريليندیا» الذي كان مراسلا لها في الشرق الأوسط:

Nehat Islami, Gjumave të Mehmet Ali pashes dhe ushtrisësë tij, Rilindja (Prishtina) 31. 07 - 6. 08. 197

(247 Shyqri Nimani, Mehmet Ali pasha kapedani shqiptar që ia ktheu dinjitetit Egjiptit, Prishtinë (Ars Albanica) 2012

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤلف خصّص الفصل الأول «العرض المتناقض للألبان» من كتابه ص ٩-٣١. للحديث عن دور الألبان في خدمة الآخرين باعتباره يمثل «عرضًا مرضيًا» عندهم.

(248) للمزيد حول تطورات المسألة الشرقية ومواقف هذه القوى انظر:

J.A.R. Marriot, The Eastern Question - A Historical Study in European Diplomacy, Oxford (Oxford University Press) 1967.

(249) للمزيد حول ذلك انظر:

Miranda Vickers, The Albanians - A Modern History, London - New York (I.B.Tauris) 1995, pp.24 - 25.

(250) للمزيد حول مصطفى باشا وهذه الباشوية انظر مقالة هيوود في «الموسوعة الإسلامية»؛ حيث

لدينا مصادر ومراجع متنوعة عنه :

.C.J. Heywood, «Kara Muhamed pasha”, The Encyclopedia of Islam, vol. l. IV, Leiden (E.J.Brill) 1990, pp.588 - 589

.Thengjilli, Kryengritjet popullore, p. 24 (251

هذا «الاتفاق» المزعوم لم يرد في نصّه، بينما لدينا في الوثائق العثمانية إقرار بوجود «مراسلات» بين مصطفى باشا ومحمد علي باشا:

.Shehu, Ceshtja shqiptare, p. 4

.Thengjilli, kryengritjet popullore, p. 43 (252

.Shehu, Ceshtja shqiptare, p. 156 (253

.Thengjilli, Kryengritjet popullorem, p. 60 (254

.Ibid., p. 61 (255

.Ibid., p. 66 (256

.Ibid., p.87; Shehu, Ceshtja shqiptare, p. 211 (257

.Thengjilli, Kryengritjet popullore, p. 87 (258

.Ibid., p. 90 (259

.Ibid., p. 95 (260

.L.Mile, “Mbi levizjen nacionalclrimitare gjat sundimit turk”, Studime historike 1, Tirane 1965, p. 106 (261

.Thengjilli, Kryengritjet popullore, p. 111 (262

وفي التاريخ الرسمي «تاريخ ألبانيا» يرد أن بوزي وجّه رسالة إلى محمد علي باشا يطلب منه المساعدة:

.Instituti i historisë, Historia e Shqiperisë II, Tiranë 1984, p. 12

(263) انظر نص الرسالة في الملحق (٢).

(264) انظر نص الرسالة في الملحق (٣).

.Thengjilli, Kryengritjet popullore, p. 149 (265

.Pirraku, Kryengritja e Shkodres, p. 251 (266

.Shehu, Shqiptaret dhe ceshtja lindore, pp. 212 - 214 (267

وانظر نص الرسالة في الملحق (٣)، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢..

.Qemajl Morina, Kreta vend strehim, Rlindja (Prishtinë) 03.03.1979 (268

Thengjilli, «Kryengritjet në Shqiperi në vitin 1833”, Studime historike 4, Tiranë 1978, p. 138; Thengjilli, (269
.kryengritjet popullore, p. 66

.Shehu, Ceshtja shqiptare, p. 203 (270

.Historia e Shqiperisë II, p. 121 (271

(272) تجدر الإشارة هنا إلى جواب المؤرخ المصري خالد فهمي على السؤال الذي طرحه: «هل الغرض من إنشاء الجيش في مصر هو القتال في سبيل تحقيق الاستقلالية عن الدولة العثمانية؟» بما يلي: «أرى أن الإجابة عن هذا السؤال المهم من واقع الوثائق المحفوظة بأصلها التركي في دار الوثائق هي النفي»:

رؤوف عباس (محرر)، مصر في عصر محمد علي إصلاح، أم تحديث؟ القاهرة (المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠، ص ٢٧٠.

الفصل السادس

محمد علي باشا في التراث الشعبي الألباني: كتاب «النحلة الألبانية» نموذجًا

على الرغم من الاهتمام الكبير بتجربة محمد علي باشا في مصر(١٨٠٥-١٨٤٩)، بالاعتماد على المصادر المحلية الأوروبية الكثيرة، فإنه من النادر أن تتجاوز الإشارة الدائمة لألبانيته إلى المصادر الألبانية للكشف عن صورة ومكانة محمد علي في تلك المصادر للوصول إلى ما يمثله محمد علي بالنسبة إلى العالم الألباني.

ومن المصادر الألبانية المهمة لدينا كتاب «النحلة الألبانية» الذي أصدره في الإسكندرية خلال ١٨٧٨ الباحث والشاعر الألباني المقيم في مصر ثيمو ميتكو Thimi Mitko (١٨٢٠-١٨٩٠). وتنبع أهمية هذا الكتاب في أنه من أوائل الكتب المنشورة التي جمعت التراث الشعبي الألباني، خاصة أنه اعتمد أساسًا على ما جمعه من أفواه ألبان مصر لجمع المادة الغنية التي نشرها في هذا الكتاب حسب الأصول العلمية السائدة في ذلك الوقت (أغاني الأطفال، أغاني الأعياد الشعبية، الحكايات، الأغاني التاريخية... إلخ).

وبالاستناد إلى ذلك نحاول هنا التوقف عند بعض القصائد التي تتعلق بمحمد علي في هذا الكتاب، وتحليل دلالتها، وإجراء مقارنة ما بين «الرواية الشعبية» عن محمد علي كما وردت في هذه القصائد و«الرواية التاريخية» للأحداث المشار إليها في القصائد كما وردت في المصادر التاريخية المعاصرة للأحداث.

١ ـ كتاب «النحلة الألبانية» وأهميته

يعتبر صدور كتاب «النحلة الألبانية» في الإسكندرية خلال ١٨٧٨ من اللحظات المهمة في تاريخ ما يسمى «النهضة القومية الألبانية» التي تبلورت بأبعادها الفكرية والسياسية والعسكرية كافة في النصف الثاني للقرن التاسع عشر وتتوجت بإعلان استقلال ألبانيا عن الدولة العثمانية في خريف ١٩١٢. ومع أن هذا الكتاب الذي يجمع التراث الشعبي الألباني جاء بعد عدة سنوات من الكتاب الأول في هذا المجال الذي أصدره زف يوباني Z.Jubani في تريستا الإيطالية عام ١٨٧١ بعنوان «مختارات من الأغاني الشعبية والتراث الألباني» فإنه أصبح يعتبر المصدر الأغنى للفلكلور الألباني خلال مرحلة «النهضة القومية الألبانية» والأول من نوعه لأنه كان موجهًا إلى الأوساط الألبانية ليحمل لها رسالة معينة (سياسية)؛ ولأنه أول تصنيف علمي في هذا المجال[273]. ومن ناحية أخرى، فقد جاء نشر هذا الكتاب المهم، الفلكلوري من حيث الشكل والسياسي من حيث الهدف، في الإسكندرية ليبرز الدور المتنامي لألبان مصر في «النهضة القومية الألبانية» حتى أصبحت مصر من أهم مراكز هذه النهضة.

وكان ناشر الكتاب ثيمي ميتكو Th.Mitko، الذي ولد عام ١٨٢٠ في كورتشاKorça بجنوب ألبانيا وتعاطى التجارة مع وسط أوروبا، قد جاء مصر في زيارات قبل أن يستقر هناك منذ ١٨٦٥ ويجمع في نشاطه هناك ما بين التجارة والثقافة؛ مما جعله اسمًا معروفًا سواء في مصر أو في العالم الألباني وحتى في الدوائر الأوروبية المعنية بالتراث والتاريخ الألباني[(274)].

ويبدو أن علاقات وزيارات ميتكو في إطار عمله إلى المناطق المجاورة في البلقان وأوروبا الوسطى (فيينا) قد عرّفته على الاهتمام المتزايد هناك بالتراث الشعبي وأثره في بعث الروح القومية لدى الشعوب المتطلعة إلى التحرر السياسي، فعكف بدوره على الاهتمام بذلك ونشر أولى مقالاته منذ ١٨٥٩ في جريدة «باندورا» اليونانية. وفي مقالاته المنشورة آنذاك ما يشير إلى أنه كتب بعضها في القاهرة خلال ١٨٥٩، أي أنه بقيَ يتردد ما بين جنوب ألبانيا ومصر حتى استقراره الدائم فيها منذ ١٨٦٥. ولم يأتِ عام ١٨٦٦، حين التقاه الشاعر الألباني سبيرو دينه S.Dine في خان الخليلي، حتى كان ميتكو قد اكتسب سمعة جيدة بين ألبان مصر كـ «وطني حقيقي»[(275)].

وفي تلك الفترة بدأ اهتمام ميتكو بقضايا اللغة والثقافة والهوية القومية الألبانية التي كانت تشكّل مفاصل «اليقظة القومية الألبانية» حيث لم تكن للألبان بعد لغة موحدة ولا أبجدية واحدة ولا أدبيات تجمعهم وتوحدهم. ولذلك فقد أخذ يجول في أرجاء مصر (القاهرة والإسكندرية وشبين الكوم والمنصورة إلخ)، ويجمع من أفواه الألبان التراث الشعبي لينشره في كتاب باعتباره أفضل عمل لـ«توعية وتوحيد الألبان». وإلى أن يتم الاتفاق على أبجدية واحدة رأى ميتكو أن «يستمر التوسك (ألبان الجنوب) في كتابة الألبانية بحروف يونانية، والغيغ (ألبان الشمال) في كتابة الألبانية بحروف لاتينية». وفيما يتعلق بكتابة «النحلة الألبانية» الذي أنجزه في ١٨٧٤ فقد رأى ميتكو أن يطبعه بأبجدية تجمع ما بين الحروف اليونانية (التي بقيت الغالبة) والحروف اللاتينية[(276)].

وعلى الصعيد المنهجي جاء كتاب «النحلة الألبانية» على النمط العلمي المتعارف عليه آنذاك في أوروبا، إذ قسّم ميتكو المواد التي جمعها حسب الأنواع المعروفة (أغاني الأطفال، أغاني الأعياد الشعبية، أغاني الحب، أغاني الأعراس، أغاني العسكر، أغاني الغربة، الحكايات، الحزازير، الطرائف والنوادر، الأمثال الشعبية) مع ملحق خاص/ قاموس الباني- يوناني[(277)].

وقد حظيَ هذا الكتاب، برغم الأبجدية غير المألوفة التي نشر فيها، باهتمام جيد في المراكز الثقافية الألبانية والأوساط الأوروبية المعنية بالتراث الألباني، خاصة أن صدوره جاء عشية الأحداث المهمة في التاريخ الألباني الحديث (رابطة بريزرن الألبانية ١٨٧٨-١٨٨١) مما جعله من المؤشرات المهمة على «النهضة القومية الألبانية». ومع ذلك فقد حظيَ الكتاب بانتشار أوسع حين صدر في ١ في الأبجدية اللاتينية التي غدت السائدة بعد مؤتمر توحيد الأبجدية في ١٩٠٨ وبعد استقلال ألبانيا في خريف ١٩١٢م[(278)]،كما سنرى في الفصل القادم.

٢ ـ ثيمي ميتكو ومحمد علي

حتى وقت قريب (١٩٨١) كان ثيمي ميتكو يحظى بتقدير كبير في الأدبيات الألبانية باعتباره جامعًا للفلكلور؛ حيث فتح الطريق بكتابه «النحلة الألبانية» لعدد من الأعمال اللاحقة التي لعبت دورها في «النهضة القومية الألبانية». ولكن نشر الأعمال الكاملة لثيمي ميتكو في تيرانا عام ١٩٨٢ برعاية الباحث المتخصص في التراث الشعبي الألباني كمال حاجي حساني Q.Haxhihasani، سمحت بالكشف عن جانب غير معروف بما فيه الكفاية ألا وهو ميتكو الشاعر، من خلال الأشعار المبكرة التي نُشرت لأول مرة، وميتكو المفكر من خلال الرسائل الكثيرة التي كان يتبادلها مع رجالات النهضة القومية الألبانية في النصف الثاني للقرن التاسع عشر[279].

وهكذا يمكن القول أن ميتكو كان من رواد الشعر الألباني القومي الحديث في مطلع النصف الثاني للقرن التاسع عشر مع نعيم فراشري Naim Frashëri (١٨٤٦-١٩٠٠) وغيره، الذي أخذ يبث في الألبان الروح القومية الألبانية (التي تجمع الألبان بغض النظر عن الدين) وتبث فيهم روح التمرد ضد الأتراك العثمانيين من خلال تمجيد بعض الشخصيات التي تمردت أو قاتلت الأتراك العثمانيين. وبشكل عام سيصبح هذا التراث (الكفاح ضد الأتراك العثمانيين) لدى الألبان كما في بقية البلقان أحد مكونات القومية الألبانية الحديثة. ويكفي هنا للدلالة على الريادة بهذه الروح القومية الجديدة في شعر ميتكو ذكر أول بيتين له من أول قصيدة معروفة له تعود إلى ١٨٦٧:

أيها الأخوة الألبان

لِمَ تتحملون الأتراك المحتلين؟

اجتمعوا مسلمين ومسيحيين

وطالبوا بحريتكم[280]

وفي هذا الإطار فقد خصّ ميتكو محمد علي بقصيدة تشيد به[281]. وفي الواقع أن إعجاب ميتكو بمحمد علي وتقديره له لا يبدو في شعره فقط وإنما في ملاحظاته أو هوامشه على بعض الأغاني الشعبية التي جمعها ونشرها في كتابه. ففي الأغنية التي تتحدث عن «النزاع» بين محمد علي ورجب آغا (أحد زعماء الألبان في مصر) نجد أن ميتكو يذكر في الهامش عن محمد علي أنه ذلك «الألباني البلاسجي الذي أثبت نفسه في مصر وفي التاريخ أنه عظيم بفكره النيّر وطاقته الهائلة وأفكاره السامية وخططه الحضارية[282]». وملاحظة ميتكو هنا عن محمد علي مهمة؛ لأنها جاءت في هامش أغنية معروفة في التراث الشعبي الألباني تعترض على حكم محمد علي وتمجد «البطل» رجب آغا الذي يتحدى محمد علي ويدعي تمثيل الألبان الأقحاح في مصر.

ويبدو أن مكانة ميتكو كتاجر ومثقف معروف في وسط ألبان مصر جعلت له صلات خاصة مع سلالة محمد علي، حتى إنه يسجل في أوراقه معلومة مهمة تقول إن أصل عائلة محمد علي ليس من «قولة» أو كافالا Kavala بل من قرية

بوبوتش Bubuq القريبة من كورتشا مسقط رأسه. وربما كان اكتشافه لأصل العائلة القريب من مسقط رأسه هو الذي جعله على صلة قوية بسلالة محمد علي[(283)].

٣ ـ صورة محمد علي في «النحلة الألبانية»

لدينا في «النحلة الألبانية» أربع أغانٍ تاريخية عن محمد علي؛ ثلاث منها تتعلق بـ «النزاع» بين محمد علي وبعض قوّاد الألبان في مصر الذي يعود إلى وقت مبكر (رمضان ١٢٢٧هـ/ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٠٧م)، بينما تعود الرابعة إلى وقت متأخر خلال حرب الشام (جمادى الثانية ١٢٤٨هـ/ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٣٢م). وفي الواقع لدينا هنا صورتان مختلفتان عن محمد علي تعبّران عن فترتين مختلفتين: فترة تثبيت محمد علي لحكمه في الداخل / مصر، وفترة انتصاراته في الخارج/ الأناضول.

وهكذا تتناول الأغاني الثلاث الأولى (رقم ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦)، مع أنها ليست كذلك في التسلسل في «النحلة الألبانية»، «النزاع» الذي اندلع بين بعض قواد الألبان في مصر ومحمد علي. ويبدو في هذه الأغاني أن هؤلاء القواد كانت لهم مطالب أو أموال مستحقة عن خدمتهم عند محمد علي ويربطون خروجهم من مصر بحصولهم على مطالبهم أو أموالهم المستحقة. وفيما يتعلق بالطرفين المتنازعين فإن هذه القصائد تذكر وتمجّد اثنين فقط من قواد الألبان (رجب تشولاكو أو رجب آغا ورستم ديبرا)، بينما يرد بعض رجال محمد علي وقواد آخرين في صف محمد علي (ولي وعمر بك وعلي تشريزي). ومن ناحية أخرى، تقدم هذه الأغاني صورة متعاطفة مع الطرف الذي يمثله القواد الغاضبون على محمد علي حيث تجعل «النزاع» بين طرفين مختلفين: الألبان الأقحاح من الغيغ والتوسك، والألبان المستتركين أو المؤيدين للأتراك.

وبالاستناد إلى ذلك، حيث ينجذب المستمع لهذه الأغاني إلى الطرف المعبر أكثر عن ألبانيته، نجد أن إحدى هذه الأغاني تمجد شجاعة وبطولة القائدين المتمردين على محمد علي وتتمنى لهما السؤدد. ففي الأغنية الأولى (رقم ٤١) يوصف رجب آغا بأنه «رجب السيف»، ولا يخشى من تهديد محمد علي بأن «الدم سيصل إلى الركب» إذا لم يدفع له «حقه»، وهو ما يرغم محمد علي على الانصياع وإصدار الأمر بدفع «علوفته» حتى يخرج من مصر[(284)]. وتستثير الأغنية الثانية رقم (٤١٥) مشاعر الألبان حين تصور «النزاع» بين الألبان الأقحاح وبين الألبان المستتركين والأتراك:

من أراد أن يموت بشرف

فعليه أن يحارب المستتركين.

أيها الأتراك والمستتركون

اخرجو إلى الميدان لنتواجه هناك[(285)].

وتركز الأغنية الثالثة (رقم ٤١٦) على بطولة رستم ديبرا (مساعد رجب آغا)

التي تربطها بألبانيته :

رستم ديبرا رجل السيف
سارع وسيطر على المسجد،
أثبت بطولته
ودلّل على انحداره من قبيلة ألبانية[286].

وفي المقابل فإن هذه الأغاني تجمع على تراجع محمد علي أمام إقدام هذين القائدين، وعلى جبن قواده مثل علي تشريزي البرزريني (نسبة إلى مدينة بريزرن Prizren) الذي «اختبأ كامرأة في القلعة»[287].

أما الأغنية الرابعة (رقم ٤١٢) فتعطي صورة مختلفة عن محمد علي. فهذه الأغنية تبدأ بالتأكيد على أن «كل الملوك يعرفون مكانة محمد علي وابنه الأسد إبراهيم باشا»، وتركز على أن ما قام به محمد علي وإبراهيم من حرب ضد الدولة العثمانية إنما كان بـ «أمر من الله»، وتشيد أخيرًا ببطولة إبراهيم في معركة قونية وأسره القائد العثماني «كفأر»[288]. ومن الواضح هنا أن هذه الأغنية تعبر عن فترة مختلفة؛ حيث لم يعد هناك قواد ألبان يشعرون بالندية مع محمد علي ويعترضون على بعض أوامره ويهددونه من حين إلى آخر بالقوات الألبانية التي كانت تحت إمرتهم، بل حاكم واحد في مصر ورجل دولة يحصد الانتصارات العسكرية في الخارج.

٤ ـ ما بين «الرواية الشعبية» و«الرواية التاريخية»

مع أن الأغاني الموجودة في «النحلة الألبانية» عن محمد علي «تضخمت» مع انتشارها من مكان إلى آخر في البيئات الألبانية في البلقان من قبل المنشدين المختلفين الذين زادوا في عدد أبياتها[289]، فإن النواة الأساسية تعبر بوضوح عن مشاعر ومواقف أحد الطرفين المشاركين في «النزاع» الذي حصل بين محمد علي وبين بعض القواد الألبان في مصر.

ويبدو بوضوح أن «الرواية الشعبية» لـ «النزاع» الذي حصل في القاهرة تتعاطف مع الطرف المعارض لمحمد علي وتمجّد رجب آغا باعتباره «بطل ألبانيا»، كما تشيد بمساعدة رستم ديبرا «رجل السيف»، وتركز على شجاعتهما وإصرارهما على الحصول على «حقهما» قبل خروجهما من مصر. ومن الطبيعي ألا تركز هذه الأغاني على الأسباب الحقيقية لـ «النزاع» والتفاصيل الخاصة بذلك. ومن ناحية أخرى، تشير هذه الأغاني إلى الفرز أو الانقسام الذي حلّ بين الألبان: حيث هناك ألبان «حقيقيون» يحاربون في صف «أبطال» الرواية الشعبية، وهناك ألبان «مستتركون» أو مؤيدون للأتراك أو دولة محمد علي، الذي كان لا يزال حينها الوالي المعين من السلطان. أما بالنسبة إلى الإطار التاريخي فلا يوجد لدينا في هذه الأغاني سوى ما يشير إلى اليوم (عصر يوم الخميس)، مع أن هذا اليوم يتحول إلى يوم آخر (السبت) في النماذج المتأخرة لهذه الأغاني[290].

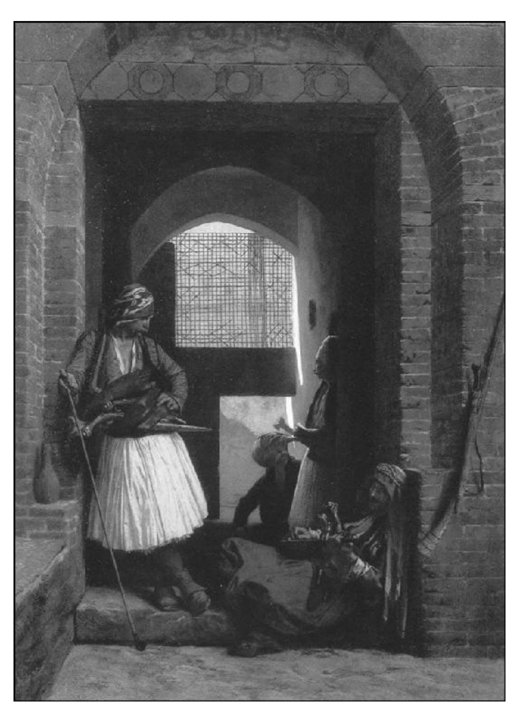
ولكن بالعودة إلى المصدر المعاصر لهذا «النزاع» (المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي) الذي يحفل بالتفاصيل اليومية، نجد أن المسافة واضحة بين «الرواية الشعبية» و«الرواية التاريخية». ومع أن الجبرتي المعاصر لهذا «النزاع» لم يكن متعاطفًا مع الطرفين (لا مع محمد علي ولا مع معارضيه) فإنه اهتم به وسجّل رؤيته الخاصة الحافلة بالتفاصيل.

وهكذا، بالاستناد إلى الجبرتي، يتضح أن جذور هذا «النزاع» تعود إلى يوم الاثنين ٢٣ شعبان ١٢٢٢هـ/٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٨٠٧م عندما «اجتمع عسكر الأرنود والأتراك» عند بيت محمد علي «وطلبوا علائفهم فوعدهم بالدفع، فقالوا: لا نعبر وضربوا بنادق كثيرة، ثم انصرفوا وتفرقوا وارتجت البلدة». وفي اليوم الثاني (الثلاثاء) نقل محمد علي «أمتعته الثمينة» إلى القلعة وكذلك في اليوم التالي (الأربعاء) ثم إنه طلع إلى القلعة في ليلة الأربعاء، و«لم يعلم بخروجه إلا بعض خواصه الملازمين له وأكثرهم أقاربه وبلدياته». وأصبح يوم الخميس ٢٦ شعبان ١٢٢٢هـ/ ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٨٠٧م و«باب القلعة مفتوح والعساكر مرابطون وواقفون بأسلحتهم»، واستمر الحال على ذلك يوم الجمعة والعسكر في اضطراب و«كل طايفة متخوفة من الأخرى». ويوضح هنا الجبرتي أن «الأرنؤوط فرقتان: فرقة تميل إلى الأتراك وفرقة تميل إلى جنسها»[(291)].

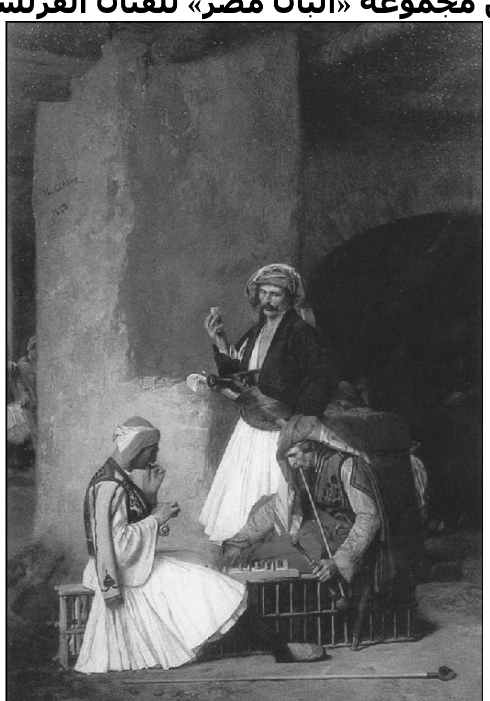
ومع أن الجبرتي لا يذكر في البداية أي أسماء في الطرف المعارض لمحمد علي بسبب تأخر تسديد رواتبهم فإنه يؤرخ بحرص «النزاع» الوارد في «الرواية الشعبية» الذي حدث بالضبط في يوم الخميس ١٨ رمضان ١٢٢٢هـ/ ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٠٧م. ففي هذا اليوم قرّر محمد علي نفي أو إخراج أحد زعماء الألبان المعترضين عليه ألا وهو «رجب آغا الأرنؤدي»، ولكنه رفض الخروج من مصر بحجة وجود «حق» له عند محمد علي. وهنا يتدخل الجبرتي ليوضح أن رجب آغا كان يمتنع عن تنفيذ أوامر محمد علي بالخروج من مصر؛ «لأنه لا يهون مفارقة مصر التي صاروا فيها (الألبان) أمراء وأكابر بعد أن كانوا يحتطبون في بلادهم ويتكسبون بالصنائع الدنيئة». ولذلك فقد قام رجب آغا و«جمع جيشه من الأرنؤوط بسكنه بباب اللوق» فأرسل محمد علي قوات من الألبان والأتراك بقيادة حسن آغا لقتاله، فأقيمت المتاريس بين الطرفين. وقد استمر الحصار والقتال عدة أيام حتى ليلة الاثنين ٢٢ رمضان ١٢٢٢هـ/ ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١م حين حضر بعض زعماء الألبان في القاهرة مثل «عمر بك كبير الأرنؤود» وصالح قوج إلى رجب آغا و«أخذاه وأركباه إلى بولاق وبطل الحرب بينهم ورفعوا المتاريس في صبحها». وبعد ثلاثة أيام (٢٥ رمضان / ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر) يذكر الجبرتي أن رجب آغا «سافر وتخلف عنه كثير من عساكره وأتباعه»[(292)].

ويبدو أن هذا الحل الوسط إنما عزّز مكانة عمر بك وصـالح آغا بين القـوات الألبانية التي كانت تحت إمرتهم في وجه محمد علي الذي كان يريد تصفية مراكز القوة ليبقى هو فقط مصدر القوة والحاكم الحقيقي في مصر. ولذلك حرص محمد علي على انتهاز الفرص لإبعاد هؤلاء الذين تدخلوا لصالح رجب آغا.

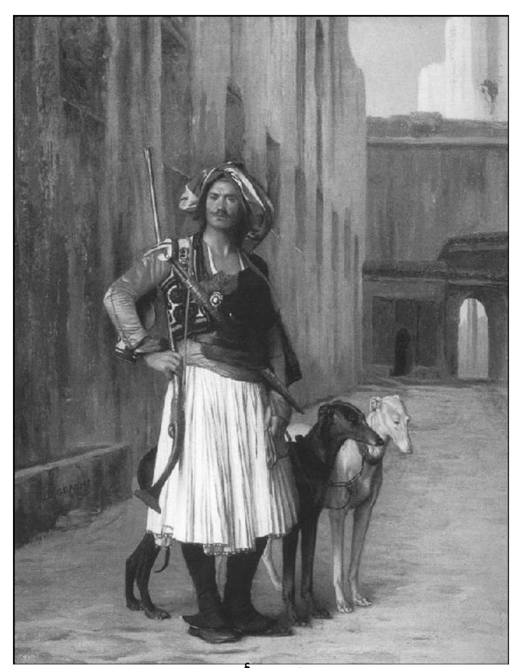
وهكذا فقد آمر محمد علي عمر بك بالرحيل عن مصر، وهو ما نفّذه بالفعـل يوم الجمعة في ٣ جمادى الأولى ١٢٢٤هـ/ ١٦ حزيران/يونيو ١٨٠٩م و«سافر معه نحو المائة من رجاله»[293]. وفي يوم الاثنين ٣ رجب ١٢٢٧هـ/١٣ تموز/يوليو ١٨م طلب محمد علي من صالح آغا قوج الرحيل من مصر مع بعض زعماء الألبان الآخرين (محو بك وسليمان آغا وخليل آغا). ولما تضامن معهم أحمد بك، الذي يصفه الجبرتي بأنه «من عظماء الأرنؤوط وأركانهم»، وهدّد بالخروج من مصر حاول محمد علي أن يلاطفه ثم أرسل إليه طبيبه الخاص لمعاينته و«سقاه شربة وفصده فمات من ليلته». وكانت جنازة أحمد بك آخر «تحدٍّ» ألباني لمحمد علي إذ «خرج أمامه صالح آغا وسليمان آغا وطاهر آغا وهم راكبون أمامه وطوائف الأرنؤوط عدد كبير مشاة حوله»[294]. وهكذا فقد خرج أخيرًا صالح آغا من مصر في ١٩ شعبان ١٢٢٧هـ/ ٢٨ آب ١٨١٢م وفي «صحبته نحو المائتين ممن اختاره من عساكره الأرنؤودية، وتفرق عنه الباقون وانضموا إلى حسن باشا وأخيه عابدين بك وغيرهما»، أي إلى الزعماء الألبان الآخرين الذين بقوا موالين لمحمد علي[295].



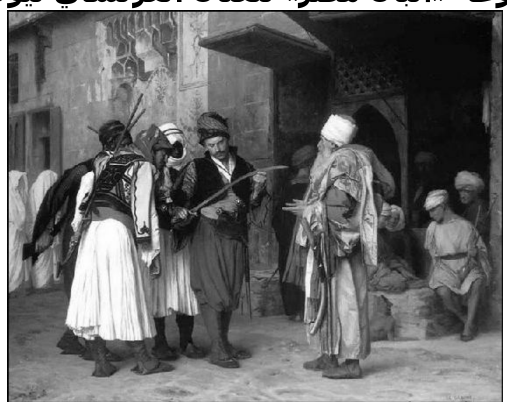
حرّاس ألبان من مجموعة «ألبان مصر» للفنان الفرنسي ليون جيروم



ألبان يلعبون الشطرنج في أحد مقاهي القاهرة
من مجموعة «ألبان مصر» للفنان الفرنسي ليون جيروم



ألباني مع كلبين في أحد شوارع القاهرة
من مجموعة «ألبان مصر» للفنان الفرنسي ليون جيروم



ألبان في أحد أسواق القاهرة يعاينون سيفا لشرائه
من مجموعة «ألبان مصر» للفنان الفرنسي ليون جيروم



ألبان يصلون في جامع عمرو بن العاص
من مجموعة «ألبان مصر» للفنان الفرنسي ليون جيروم

(273) Crup autoresh, Historia e letërsisë shqipe, Prishtin, 1975, p. 242; Robert Elsie, History of Albanian Literature, New York (Boulder), 1995, p. 215..

(274) إن الرسائل المرسلة من ميتكو (٦٥ رسالة) إلى الكاتب الألباني المعروف في إيطاليا يرونيم دي راده J.De Rade (١٨١٤-١٩٠٣) وعضويته في «رابطة إستانبول» وقيامه بإنشاء فرع لها في مصر، وعلاقاته مع الجالية الألبانية القوية في بوخارست، تكشف عن مكانة ميتكو في الدياسبورا الألبانية التي كانت مركز النشاط القومي الثقافي للألبان في نهاية القرن التاسع عشر. ومن ناحية أخرى، فقد كانت لميتكو صلات وعلاقات تعاون مع بعض الباحثين الأوروبيين المعروفين في التراث والتاريخ الألباني مثل غوستاف ماير G.Mayer ويان أوربان يارنيك Y. Yarnik التشيكي وغيرهما. وقد ترجم ماير إلى الألمانية في ١٨٨٣-١٨٨٨ بعض الحكايات والأغاني الشعبية من «النحلة الألبانية»..

(275) Spiro Dine, Valët e detit, Sofie 1908 p. 10.

سبيرو دينه (١٨٤٦-١٩٢٢) شاعر وجامع الفلكلور الألباني. هاجر إلى مصر في ١٨٦٦. فوجد هناك ميتكو، الذي اشتغل بجمع الفلكلور والنشاط الثقافي الألباني. نشر في ١٩٠٨ كتابه المهم «أمواج البحر» حيث جمع في قسمه الأول بعض أشعاره وأشعار غيره من شعراء النهضة القومية الألبانية، بينما جمع في القسم الثاني مختارات من التراث الشعبي الألباني.

(276) يعوّل ميتكو كثيرًا على أهمية اللغة في التوحيد والتنوير فيقول في مقدمة كتابه «النحلة الألبانية» إن «الألبان أيضًا المنقسمين إلى مسلمين ومسيحيين، وهؤلاء إلى كاثوليك وأرثوذكس، يمكن أن يتنوروا وأن يقضوا على جهلهم بواسطة تعلم لغتهم الأم. فاللغة الأم هي الغذاء الأول المشترك الذي يعطي الحياة للشعب»:

Thimi Mitko, Vepra, Përgatitur nga Qemal Haxhihasani, Tiranë 1981, p. 6.

(277) يفيد هذا القاموس في تتبع المفردات العربية في اللغة الألبانية، وكذلك الأمر مع بقية مواد الكتاب؛ حيث قمنا ـ على سبيل المثال ـ بإجراء مقارنة بين الأمثال الشعبية التي جمعها ميتكو من ألبان مصر والأمثال العربية المعروفة واستخلاص ما هو مشترك أو متشابه؛ حيث وجدنا أن نصف الأمثال الشعبية المشتركة أو المتشابهة بين الألبان والعرب إنما وردت لأول مرة في كتاب ميتكو؛ مما يؤكد إمكانية انتقالها من المحيط العربي المصري إلى الألبان الذين هاجروا واستقروا آنذاك في مصر.

(278) من اللافت للنظر أن كتاب التاريخ الرسمي (تاريخ ألبانيا) خلال حكم الحزب الشيوعي في ألبانيا يؤجل ذكر «النحلة الألبانية» إلى ما بعد «رابطة بريزرن الألبانية» ١٨٧٨-١٨٨١ حين يتعرض «للأدب الشعبي والفني» لتلك المرحلة، حيث يرد أنه في «حزيران ١٨٧٨، في أيام تأسيس رابطة بريزرن، طبع في الإسكندرية بمصر الكتاب العظيم لثيمي ميتكو»، ويصل إلى أن «الوحدة القومية للألبان التي خلقتها رابطة بريزرن في المجال السياسي انعكست على الإبداع الشعبي». والمفارقة هنا أن «النحلة الألبانية» صدرت في آذار/مارس ١٨٧٨ وكان يجب بالكتاب المذكور أن يتناول «النحلة الألبانية» في الفصل السابق حول «الثقافة القومية لسنوات ١٨٥٠-١٨٧٠»، أي فيما مهد لقيام «رابطة بريزرن». وهذا مجرد نموذج لما كان عليه التاريخ الرسمي خلال حكم الحزب الشيوعي ١٩٤٥-١٩٩٢:

Instituti i historise, Historia e Shriperisë II, Trianë 1984, pp. 269 - 27

(279) بعد الطبعة الثانية لـ «النحلة الألبانية» التي صدرت في فيينا لدينا انقطاع طويل غدت معه نسخ «النحلة الألبانية» نادرة الوجود إلى سنة ١٩٦١؛ حين صدرت للمرة الأولى في تيرانا ضمن سلسلة «الجامعون الأوائل للفلكلور الألباني»، ومن ثم صدرت في طبعة رابعة في ١٩٨١ مع مواد جديدة اكتشفت في غضون ذلك (أشعار ورسائل ميتكو إلخ) بعنوان : «أعمال ثيمي ميتكو» وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها هنا:

Thimi Mitko, Vepra, Përgatitur nga Qemal Haxhihasani, Tiranë, 198

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بعد صدور هذه «الأعمال» قام فريق عمل من الباحثين الألبانيين في ١٩٨٤ بزيارة عمل إلى مصر للبحث في إرشيف ثيمي ميتكو؛ حيث وجدت مخطوطات غير معروفة تكشف عن إبداعات شعرية ونثرية وإسهامات معجمية (قاموس ألباني يوناني) رائدة:

Jurgo Bulo, Magjistaret e fjalës, Tiranë (Dituria) 1998, pp. 209 - 21

(280) المصدر السابق، ص٥٧٥.

(281) لقد ذكر الباحث حاجي حساني في مقدمته المطولة عن ميتكو وأعماله هذه المعلومة، ولكن في

القسم الخاص بأشعاره لم نجد مثل هذه القصيدة، بل هناك قصيدة مطولة يشير فيها إلى «أبناء محمد علي» الذي يعني بهم ألبان مصر في ذلك الوقت:

أنتم يا أبناء محمد علي
لقد أحييتم أرض مصر
وأعطيتم المثل لأوروبا.
لقد أثبتم المزايا الحسنة
التي تتميز بها الأمة الألبانية:

المصدر السابق، ص ٥٩٩.

(282) المصدر السابق، ص٤٦.

(283 Dhimitër Pilika, Pellazgjët: origjina jonë e mohuar, Tiranë (Botime Enciklopedike), 2005, p. 437.

ولكن يبدو لنا أن مصدر هذه المعلومة هي قصيدة ميتكو «مع الألبان» (المصدر السابق، ص٦٠٠)، التي يشير فيها إلى «أبناء محمد علي»، إلا أنه لا يقصد بذلك «أبناء محمد علي» بالمعنى الحرفي للكلمة ولكن بالمعنى الواسع، أي الألبان الذين جاءوا من مختلف أرجاء ألبانيا وقاتلوا معه في مصر.

(284 Thimi Mitko, Vepra, p. 294.

(285) المصدر السابق، ص٢٩٥.

(286) المصدر السابق، ص٢٩٦.

(287) المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(288) المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(289) نجد مثلا أن أبيات الأغنية الثانية الموجودة في الملحق يزداد عدد أبياتها من ٢٥ إلى ٤٠ في نسخة متأخرة كانت تنشد في شمال ألبانيا:

Demush Shala, Kengë popllore historike, Prishtinë 1973, pp .392 - 393.

(290) المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(291) الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، ج٣، ص١٥٥.

(292) المصدر السابق، ص١٥٨.

(293) المصدر السابق، ص ١٨٣.

(294) المصدر السابق، ص٢٤٧.

(295) المصدر السابق، ص٢٤٨.

ويذكر الجبرتي هنا أن صالح قوج المذكور كان قد «أنشأ مسجدًا في بولاق بجوار داره وبنى له منارة ظريفة واشترى له عقارًا وأمكنة وقفها على مصالح ذلك المسجد وشعائره»؛ ولذلك دفع له محمد علي كل ما أنفقه في سبيل هذا المسجد (مع أنه وقف باسمه) حتى لا يترك له أي سبب للبقاء: المصدر السابق، ص٢٤٩.

وقد بقيَ هذا المسجد قائما حتى نهاية القرن التاسع عشر، كما ورد في ذيل خطط المقريزي، ولدينا عنه صورة نادرة من ذلك الوقت، بينما هدم بعد ١٩٥٢ :

عبد الحميد بك نافع، ذيل خطط المقريزي، تحقيق خالد عزب ومحمد السيد حمدي متولي، القاهرة (الدار العربية للكتاب) ٢٠٠٦، ص ٧٨.

الفصل السابع

دور ألبان مصر
في النهضة القومية الألبانية

في الأدبيات الألبانية عن النهضة القومية الألبانية، التي تعني هنا مجمل الحركة الفكرية والسياسية والثقافية وحتى المسلحة خلال ١٨٧٨-١٩١٢، التي أفضت إلى إعلان استقلال ألبانيا عن الحكم العثماني، يرد دوما ذكر الدور المهم الذي لعبته «الجالية الألبانية في القاهرة» إلى جانب الجاليات الألبانية في إستانبول وصوفيا وبوخارست. ولكن خريطة انتشار ألبان مصر كانت تمتد في الواقع من الإسكندرية وأبي قير ودمياط وبور سعيد والمنصورة إلى أسيوط في الجنوب مرورًا بالقاهرة وبني سويف وغيرهما، ولذلك نجد تعبير «ألبان مصر» Shqiptarët e Misirit مستخدما عند الألبان في مصر ذاتها[296].

وكما رأينا في الفصول السابقة، فقد أخذ الوجود العسكري الألباني الذي ارتبط بمحمد علي باشا يتحول بالتدريج إلى وجود مدني سواء عبر الانخراط في التجارة أو في وظائف الدولة، أو إلى وجود عسكري ضمن الجيش الجديد الذي أنشأه محمد علي وضمّ الجنود النظاميين وغير النظاميين. ففي ١٨٢٨، وصل عدد الألبان في ألوية المشاة فقط إلى ستة آلاف، بينما يرد لدينا في ١٨٣٣ ذكر أحمد طاهر باشا «قائد الجنود الألبان غير النظاميين»[297].

وإلى جانب هذا برز عدد من الألبان من قادة الجيش ووزراء الحربية والحكمدارية مثل زينل وحسن أرناؤوط ومحمود أرناؤوط وأحمد باشا وغيرهم[298].

ولكن الوجود الألباني في مصر أخذ يتغير بسرعة منذ منتصف القرن التاسع عشر مع الهجرة الكثيفة من جنوب ألبانيا إلى مصر. فنتيجة للأزمة الاقتصادية في ذلك الوقت فقد خلت كليًّا أو جزئيًّا بعض الجهات في جنوب ألبانيا[299]. وكان لكل جهة من جهات ألبانيا مسار هجرة مختلف عن الأخرى. وهكذا فقد تركزت هجرة الألبان من الجنوب نحو مصر بسبب وجود أسرة ألبانية في الحكم[300]، واستمرت حتى مطلع القرن العشرين[301]. ومع هذه الموجة الكبيرة التي جاءت من جنوب ألبانيا، نجد أن الألبان توزعوا في المنطقة الممتدة من ساحل المتوسط وحتى جنوب القاهرة، وبالتحديد من الإسكندرية وأبي قير ودمياط وحتى أسيوط في الجنوب مرورًا بالمنصورة والفيوم والقاهرة والمنيا. ومع ذلك فقد كانت أكبر تمركز للألبان في الإسكندرية والقاهرة. وفيما يتعلق بالقاهرة يذكر الكاتب الألباني المعروف سبيرو دينه S.Dine في كتابه «أمواج البحر»، كيف أنه في بعض أحياء القاهرة كان الألبان يشعرون «كأنهم في ألبانيا» حيث كانت الموسيقى الألبانية تُسمع في كل مكان وحتى إنه «في سوق السلاح لم يكن هناك سوى الألبان سواء من المسلمين أو المسيحيين»[302].

ومع استقرار هؤلاء الألبان في المدن المصرية المذكورة، انشغلوا أولًا بتأمين

حياتهم ثم نشطوا في المجال الثقافي الألباني حتى أصبح «آلبان مصر» من أهم تجمعات الدياسبورا الألبانية خارج الوطن الأم (ألبانيا). وقد تزامن ذلك مع بداية النهضة القومية الألبانية ١٨٧٨-١٩١٢، وهي الحركة الفكرية والسياسية والثقافية التي مهّدت للحركة المسلحة المطالبة بحكم ذاتي واسع أو استقلال ألباني عن الدولة العثمانية. وقد اشتهرت مصر في هذا المجال لما كان فيها من «كتّاب النهضة القومية الألبانية» مثل ثيمي ميتكو Th. Mitko وسبيرو دينه S.Dine ولوني لوغيري L. Logeri وميلو دوتشي M. Duci وغيرهم، الذين سنعرّف بهم في الفصل اللاحق.

وهكذا فقد بدأ ألبان مصر نشاطهم أولًا في مجال التنظيم، وبالتحديد في تأسيس روابط وجمعيات تجمع بينهم وتنسق نشاطهم في مجال اللغة والثقافة والسياسة وتمثلهم في العالم الألباني. وفي هذا السياق تأسست في ١٨٧٥ أول رابطة باسم «الأخوّة» Vëllazëria، التي تميزت منذ بدايتها بنشاط قومي واضح. وفي هذا الاتجاه بادر أعضاء هذه الرابطة في ١٨٧٧ إلى الدعوة إلى ألبنة الكنيسة، التي كانت على رأس مهام النهضة القومية الألبانية. فقد كانت غالبية الألبان في الجنوب من الأرثوذكس، أو حسب التصنيف العثماني من «الروم الأرثوذكس» الذين يتبعون البطريركية اليونانية في إستانبول. ومع استقلال اليونان في ١٨٣٠ كانت الدولة/ الكنيسة اليونانية تنظر إلى هؤلاء «الروم الأرثوذكس» باعتبارهم من اليونانيين؛ ولذلك كانت تصر على أن تبقى اليونانية لغة الكنيسة والمدارس الملحقة بها، بل كانت تتخلص من رجال الدين الذين كانوا يدعون إلى استخدام الألبانية في الصلاة[303]. ومن هنا جاءت أهمية هذه البادرة حين اجتمع أعضاء هذه الرابطة وذهبوا إلى الكنيسة اليونانية في مدينة الزقازيق شمال شرق القاهرة، حيث أخذوا يصلون وينشدون باللغة الألبانية وهو ما أدى إلى نزاع مع القنصل اليوناني في القاهرة[304].

وكان هذا بداية لنزاع متواصل امتد من مصر إلى اليونان؛ لأن السلطات اليونانية كانت تعتبر هؤلاء الألبان الأرثوذكس من رعاياها. وفي الحقيقة، كان هؤلاء بالفعل بعد قدومهم إلى مصر يذهبون إلى القنصلية اليونانية ليسجلوا أنفسهم هناك ويحصلون على جوازات سفر يونانية تؤمِّن لهم الحماية القنصلية، وبذلك لا يعودون رعايا عثمانيين يخضعون للسلطة العثمانية في مصر حتى وإن كانت اسمية. ومن هنا استهجنت القنصلية اليونانية في القاهرة مبادرة رابطة «الأخوّة» وحركة الألبان للنشر في اللغة الألبانية، وخصوصًا مع نشر كتاب «النحلة الألبانية» في الإسكندرية للكاتب ثيمي ميتكو Th. Mitko عام ١٨٧٨، الذي أراد منه أن يثبت «حق ألبانيا في أن تكون دولة قومية». فقد حُرق هذا الكتاب علنًا في ساحات أثينا دلالة على غضب السلطات اليونانية من مبادرة ألبان مصر[305].

ومع تأسيس «رابطة إستانبول» في ١٨٧٩ [306]، التي أخذت على عاتقها تأسيس فروع لها في الدياسبورا الألبانية، جاء إلى الإسكندرية في ١٨٨١ الناشط القومي ياني فريتو J.Vreto لتأسيس فرع هناك. وقد بدأ هذا الفرع

نشاطه بحماس في وسط الألبان ولكنه تجمد إثر نزاع مع القنصل اليوناني في الإسكندرية الذي كان يقف بالمرصاد لنشاط هذا الفرع. وقد تطور هذا النزاع مع القنصل حين أهان الأمة الألبانية مما أدى إلى اغتياله[(307)].

ومع ذلك فقد بادر الألبان في الإسكندرية في ١٨٩٤ إلى تأسيس جمعية جديدة باسم «الأخوة الألبانية» Vëllazëria e shqiptarëve، برئاسة ميلودوتشي M.Duçi، أحد أبرز وجوه الألبان في مصر خلال ذلك الوقت[(308)].وقد تعزّز نشاط هذه الجمعية مع انضمام المحامي والكاتب الألباني أندون زاكو – تشايوبيA.Z.Çajupi (١٨٦٦-١٩٣٠)، الذي سنتحدث عنه لاحقا في الفصل الثامن، إلى الجمعية منذ ' على الأقل. ويبدو هذا في توجه الجمعية لمخاطبة المؤتمرات الدولية حول حق الألبان في الحرية وفي تمتعهم بدولة قومية. فمع اقتراب عقد مؤتمر لاهاي الثاني في ١٩٠٧، الذي كان يعوّل عليه لتأسيس محكمة دولية لفض النزاعات ومجلس للتحكيم الدولي، بادرت الجمعية إلى توجيه مذكرة إلى المؤتمر باسم «الجالية الألبانية في مصر» ورد فيها: «نحن الألبان، الذين نمثل جزءا من شعبنا الموجود على أرض آبائنا ونعيش في أرض الفراعنة القدماء، نتوجه إلى المجلس الأعلى للتحكيم والسلام للفت الأنظار إلى وطننا البعيد لكي نطالب بنظام أكثر عدالة، والمزيد من الحرية في كل أشكالها التي يستحقها كل شعب بطل وشجاع وشريف ومتيقظ مثل الشعب الألباني العريق»[(309)].

ولكن تطور الأوضاع في الدولة العثمانية آنذاك، وبالتحديد الموقف من السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) وإرغامه على إعلان العمل بالدستور في صيف ١٩٠٨، أبرز التباين في صفوف هذه الجمعية بين من تفاءل بالتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي لأجل نظام أفضل وبين من رأى عدم جدوى ذلك والتوجه للعمل المسلح لأجل استقلال ذاتي أو كامل للألبان عن الدولة العثمانية. وكان المحامي والكاتب تشابوبي والكاتب لوني لوغيري L.Logeri والناشط المعروف ياني فروهوJ.Vruho وغيرهم من أبرز الشخصيات التي مثلت الاتجاه الثاني، الذي لم يعد يؤمن بجدوى الحكم العثماني للألبان. ويبدو هذا بوضوح منذ ربيع ١٩٠٨، بعد أن بدأ العمل المسلح في ألبانيا على شكل وحدات غوارية بقيادة بايو توبولي B.Topulli، حيث طالب لوغيري الجمعية في ٤/٤/١٩٠٨ بإرسال مساعدات لدعم قائد هذه الوحدات الغوارية[(310)].

وفي ١٩١٠، اجتمعت مجموعة من الشخصيات الألبانية في الإسكندرية واتفقوا على تأسيس جمعية جديدة باسم «الاتحاد» Bashkimi برئاسة الدكتور جورج أظاميظ فراشري G.A.Frashëri (١٨٥٦-١٩٣٩)، الذي يعتبر من الشخصيات الألبانية المعروفة سواء في مصر أو في ألبانيا. ومع وجود المركز الرئيسي للجمعية في الإسكندرية فقد افتتحت فروعًا لها في عدة مدن مصرية مثل القاهرة والفيوم وأسيوط إلخ. ولكن التنافس بين فروعها والاتجاهات السياسية بين مؤسسيسها كان يؤثر أحيانا على عملها[(311)].

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى في ١٩١٨ وبروز الخطر على مصير ألبانيا من

مطامع إيطاليا واليونان، بادر فرع القاهرة إلى تأسيس «لجنة آلبان مصر» بهدف وضع مذكرة باسم الألبان للقوى الكبرى المنتصرة في الحرب لحماية ألبانيا من المطامع الخارجية. وقد صاغ هذه المذكرة الكاتب المعروف أندون زاكو تشابوبي A.Z.Cakpi في ٨ شباط/ فبراير ١٩١٩ وقُدمت فورًا إلى سفارات الدول الكبرى في القاهرة. وفي هذه المذكرة الطويلة التي طبعت على شكل كراس (١٦ صفحة) يرد الحديث عن تاريخ الشعب الألباني وعن مقاومته للفتح العثماني وعن استمرار انتفاضاته ضد الحكم العثماني مما أشغل وأضعف الجيش العثماني وشجع الدول البلقانية المجاورة في ١٩١٢-١٩١٣ على شن الحرب على الدولة العثمانية لتصفية وجودها في أوربا. وعوضا عن أن يجد الألبان مايستحقونه لأجل كفاحهم للتحرر من الحكم العثماني، وجدوا أنفسهم تحت احتلال جديد من جيوش الدول البلقانية الطامعة في أراضيهم وضحية مجازر جماعية وثّقتها المذكرة بالاستناد إلى تقارير المراسلين الحربيين لدول الحلفاء؛ ولذلك تطالب المذكّرة بالتحقق من هذه الفظائع ومنح الشعب الألباني الدولة التي يستحقها[(312)].

وعلى الرغم من نجاة ألبانيا من المطامع التي كانت تتربص بها وقبولها في عصبة الأمم في ١٩٢٠، فإن نشاط الألبان في مصر بقيَ متواصلًا بسبب عدم استقرار الأوضاع السياسية في ألبانيا وبروز الصراع على السلطة بين الاتجاهات التقليدية والتحديثية. وفي هذا السياق فقد برز بقوة أحمد زوغو A.Zogu وزيرا للداخلية (١٩٢٠) ورئيسا للوزراء (١٩٢٢) ورئيسا للجمهورية (١٩٢٥-١٩٢٨)، وهو ما أوجد معارضين له في الداخل والخارج بسبب نزعته السلطوية. وكان من أبرز المعارضين له بين ألبان مصر الكاتب تشابوبي، الذي بادر مع مجموعة من الشخصيات الألبانية المعروفة (ياني فروهو وبترو شاهيني وسوفاكلي تشانا وغيرهم) في ١٩٢٨ إلى تأسيس «جمعية الأصدقاء»، التي أعلنت عن نيتها في إصدار مجلة باسم «ألبانيا» Albania. وبسبب موقف رئيس الجمعية المعارض لأحمد زوغو، فقد كان القنصل الألباني في الإسكندرية يتابع أخبار هذه الجمعية ويوافي وزارة الخارجية الألبانية بذلك، بل إنه يكشف عن أنه نجح في إقناع السلطات المصرية بعدم السماح للمجلة المذكورة بالصدور[(313)].

وفي ١٩٢٩ تأسست في الإسكندرية آخر رابطة للألبان باسم «الاتحاد الألباني في مصر»، التي افتتحت أيضًا عدة فروع لها في مدن مصر. وقد طبع فور تأسيسها القانون الأساسي لها في الألبانية، على حين أنه في ١٩٤٨ صدر في ثلاث لغات: الألبانية والعربية والفرنسية. وفي مقدمة هذا القانون نجد قائمة بأسماء المؤسسين: م. أظامي M.Adhami رئيسًا وك. دوناتو K.Donato سكرتيرًا وي. أرموذي J.Brmodhi، ود. ميتكو D.Mitko وغ.غيرو G.Giro وم. زوتو M.Zoto ووف. ميمو V.Memo وس. فوغلي S. Vogli أعضاء[(314)].

وحسب هذا القانون الأساسي نجد أن البند الأول ينص على «الاتحاد الألباني في مصر له تابعية/ جنسية ألبانية»، بينما ينصّ البند الثاني على أن هدف الجمعية «الدعم المعنوي والمادي لكل ألباني يعيش في مصر والتربية القومية

لهم، ولا تتدخل الجمعية في أمور العقيدة الدينية أو في الأمور السياسية لأعضائها»[(315)].

ومن الطبيعي أن يكون أقوى فرع للجمعية ذلك الذي وُجد في القاهرة، وبالتحديد في شارع شريف، حيث كان يتميز بمكتبته الغنية بالكتب الألبانية. وحسب عميد ألبان مصر كريم حاجيو K.Haxhiu، العضو السابق في هذه الجمعية، كان الألبان يلتقون كل مساء في مقر الجمعية ويمارسون الأنشطة المختلفة، وخصوصًا فيما يتعلق بالأعياد القومية الألبانية[(316)].

ومن ناحية أخرى، فقد برز بين ألبان مصر اهتمام مبكر باللغة الألبانية وأدبها. ففي النصف الثاني للقرن التاسع عشر، كان الاهتمام باللغة الألبانية والنشر بها أولوية عند رواد النهضة القومية الألبانية.

وفي هذا السياق، بعد نشر الإصدارات الأولى التي حفظت التراث الشعبي من أفواه الألبان في مصر، توجّه الاهتمام إلى تأسيس المدارس. وهكذا تأسّست في ١٩٠٧ أول مدرسة ألبانية في شبرا، والتي كانت آنذاك من ضواحي القاهرة وأصبحت بعدئذ جزءًا منها[(317)]، على يد الكاتب المعروف ميلودوتشي M.Duçi الذي سنتحدث عنه في الفصل اللاحق. وقد استمرت هذه المدرسة تحت عناية دوتشي حتى وفاته في ١٩٣٣. وحسب ذكريات تلاميذها الذين بقوا على قيد الحياة فقد كانت هذه المدرسة منظمة جدًّا وتحتوي على عدة صفوف، وكان من يتخرجون فيها يفتخرون بما تعلموه. أما الكتب المدرسية التي كانت تستخدم فيها فقد كان معظمها مطبوعًا في الدياسبورا الألبانية[(318)].

ومن ناحية أخرى نجد أنه مع الحماس الكبير للنهضة القومية الألبانية أصبحت مصر مركزًا للصحافة الألبانية. كانت البداية مع جريدة «العهد» Besa-bese التي أصدرها ميلودوتشي في ١٩٠٠. وبعد ذلك تتابع صدور الصحف الألبانية حتى إنه خلال ١٩٠٠-١٩١١ صدرت ثماني صحف ومجلة واحدة[(319)]. ومن الواضح أن صحف تلك الفترة الحساسة من التاريخ الألباني كان يجمعها الاتجاه القومي وتعبّر عن قضايا تلك الفترة المتعلقة بالتحرر القومي[(320)]. ولم تقتصر قراءة هذه الصحف على ألبان مصر والألبان في الدياسبورا بل كانت تُهرّب إلى الداخل الألباني تحت الحكم العثماني بواسطة دراويش التكية البكتاشية في القاهرة[(321)]. ومن ناحية أخرى أصدر أحد ألبان مصر (حافظ حلمي أرناؤوط) جريدة «الاستقامة» في اللغة العربية، التي حفلت بدورها بموضوعات تتعلق بألبانيا خلال تلك الفترة الحساسة ١٩٠٩-١٩١١ [(322)].

ومع إعلان استقلال ألبانيا في أواخر ١٩١٢، يُلاحظ انكماش صدور الصحف الألبانية التي كانت تصدر في مصر. وربما يعود هذا إلى سببين: أما الأول فهو أن بعض الناشرين لهذه الصحف غادروا إلى ألبانيا بعد أن أصبحت دولة مستقلة. وأما الثاني فهو أن بعض الناشرين كانوا يعتقدون أن مهمتهم قد تحقّقت باستقلال ألبانيا. ويمكن أن نضيف إلى ذلك الأوضاع الصعبة التي عرفتها مصر خلال الحرب العالمية الأولى. ولذلك نجد أن بعد الإعلان عن استقلال مصر في

١٩٢٢ قام الناشر ميلودوتشي في ١٩٢٥ بإصدار جريدة آلبانية جديدة باسم «محادثات» Bisedimet ولكنها لم تستمر طويلًا[323].

ومن ناحية أخرى فقد شارك ألبان مصر في إنجاز أهم أهداف النهضة القومية الألبانية، ألا وهو الاتفاق على أبجدية واحدة للغة الألبانية لتكون عنصرًا موحدًا لثقافتهم على اعتبار أن القومية الألبانية تقوم على اللغة والثقافة المشتركتيْن، اللتيْن توحِّدان الألبان الذين ينتمون إلى الإسلام والكاثوليكية والأرثوذكسية.

وكان هذا التوزّع الديني قد ترك أثره خلال القرون الأولى للحكم العثماني على اللغة الألبانية والأبجدية التي تكتب بها. فقد اغتنت اللغة الألبانية عند المسلمين في كل ألبانيا بمفردات عربية وتركية وأصبحت اللغة تكتب بالحروف العربية، بينما اغتنت اللغة الألبانية عند الكاثوليك في شمال ألبانيا بمفردات لاتينية أكثر وأصبحت تكتب بالحروف اللاتينية، على حين أن اللغة الألبانية عند الأرثوذكس في جنوب ألبانيا اغتنت بمفردات يونانية أكثر وأصبحت تكتب بالحروفِ اليونانية[324].

ومن هنا لم يكن من المستغرب أن يقوم الكاتب الألباني ثيمي ميتكو Th. Mitko بطباعة كتابه المهم «النحلة الألبانية» بالإسكندرية ١٨٧٨ في اللغة الألبانية بالحروف اليونانية لكونه جاء مصر من جنوب ألبانيا، حيث انتشر هذا التقليد هناك منذ أن طبع «العهد الجديد» في الألبانية عام ١٨٢٧ [325].

ولكن ميتكو، الذي يحتل مكانة مميزة في النهضة القومية الألبانية، كان يعي مع طباعته لهذا الكتاب المهم بالحروف اليونانية ضرورة التوصل إلى اتفاق على أبجدية موحدة للألبان في كل مكان. ويبدو أن هذا الاهتمام عند ميتكو كان واضحًا في مراسلاته مع رموز النهضة القوميةالألبانية (عبدل ونعيم وسامي فراشري) في ١٨٧٩، وهو العام الذي تأسّست فيه بإستانبول «جمعية النشر في اللغة الألبانية». وقد ناقشت هذه الجمعية، كما كان معروفًا، أربع أبجديات مقترحة واختارت تلك التي اقترحها العالم الموسوعي شمس الدين سامي فراشري[326]، وأصبحت تعرف بـ «أبجدية سامي» أو «أبجدية إستانبول» التي اعتمدت على حروف لاتينية ويونانية وبقيت شائعة حوالي ثلاثين سنة. ولكن اكتشفت مؤخرًا رسالة موجهة من عبدل فراشري إلى ميتكو في مصر خلال شباط/ فبراير ١٨٧٩ تكشف عن أن ميتكو اقترح أبجدية جديدة للغة الألبانية، وأن هذه الأبجدية نالت إعجاب عبدل فراشري، الذي وعد بعرضها على جمعية إستانبول المذكورة[327]. ولكن لسبب غير معروف لم تناقش الجمعية سوى أربع أبجديات مقترحة لم تكن من بينها تلك التي اقترحها ميتكو ونالت رضا عبدل فراشري.

وعلى الرغم من اعتماد «أبجدية إستانبول» في الصحافة بالدياسبورا الألبانية فإن الصحافة الألبانية بقيت تشعر بالحاجة إلى أبجدية أفضل. وهكذا فقد فتحت جريدة «ألبانيا» Shqipëria التي كانت تصدر في بوخارست خلال تسعينيات القرن التاسع عشر النقاش من جديد حول الأبجدية الذي شارك فيه ألبان مصر. وممن

شارك حينئذ في هذا النقاش من ألبان مصر الكاتب المعروف آندون زاكو تشابوبي A.Z. Cajupi، الذي سنتعرف عليه في الفصل اللاحق. ففي مشاركته المطولة في هذا النقاش الذي نشر على أربع حلقات عبَّر تشايوبي عن معارضته للأبجدية العربية (التي كانت تستعمل عند الألبان المسلمين) والأبجدية اليونانية (التي كانت تستعمل عند الألبان الأرثوذكس) لارتباط ذلك بالدين في هاتين الحالتين، وانتهى إلى الدعوة لتبني الأبجدية اللاتينية مسترشدًا في ذلك بـ «الأبجديات اللاتينية الجديدة لأوربا المتمدنة»[(328)].

وبعد أن قامت جمعية «الاتحاد» Bashkimi الكاثوليكية بشمال ألبانيا في ١٩٠٢ بطرح أبجدية جديدة تعتمد على الحروف اللاتينية فقط (عُرفت باسم «أبجدية الاتحاد»)، استمر النقاش حول الأبجدية في الصحافة الألبانية وبين كبار المثقفين. وفي هذا السياق أعلنت جريدة «ألبانيا» Shqipëria التي كانت تصدر في مغاغة (شمال المنيا)بمصر عن تبنّيها لـ«أبجدية الاتحاد» منذ العدد الرابع لعام ١٩٠٧ وفتح صفحاتها للنقاش حول موضوع الأبجدية، وبالتحديد للتعبير عن الأبجدية الأفضل للألبان: «أبجدية إستانبول»، أم «أبجدية الاتحاد».وبعد عدة أعداد اعترفت إدارة الجريدة بأن ما وصلها من ردود عقّد الوضع أكثر، ولذلك دعت إلى مؤتمر قومي عام للاتفاق حول أبجدية واحدة للألبان في كل مكان[(329)]، وهو ما تحقّق في مدينة مناستير Manastir في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٠٨ [(330)].

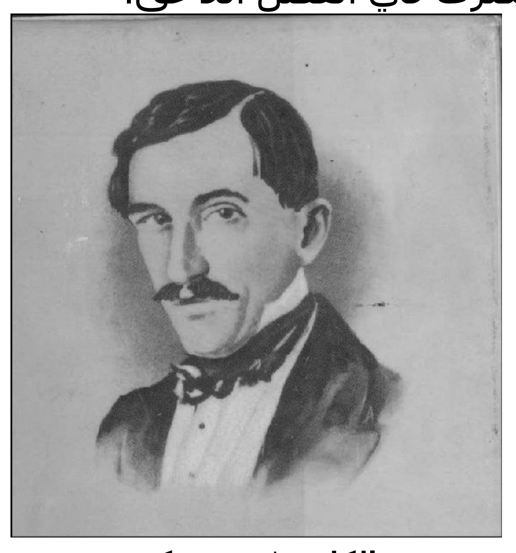
وكانت الأوضاع قد تعقدت وانفرجت إثر اقتراح الجريدة، إذ قامت الثورة المطالبة بالدستور في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٠٨ في إستانبول، ومع امتثال السلطان عبد الحميد الثاني لإعادة العمل بالدستور الـذي عطّله في ١٨٧٧، ساد شعور بالحرية وتأسست الجمعيات في الولايات ذات الغالبية الألبانية، التي أخذت على عاتقها تنظيم مثل هذا المؤتمر القومي في الداخل. وهكذا بادرت جمعية «الاتحاد» Bashkimi برئاسة فهمي زافلاني F. Zavalani في مدينة مناستير بالدعوة إلى المؤتمر القومي المخصّص لاختيار أبجدية واحدة للألبان، الذي حُدد له موعد في ١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٠٨.

وكان من الطبيعي أن يوجه رئيس الجمعية الدعوة إلى الشخصيات المعروفة من ألبان مصر، التي بادرت إلى السعي لأجل أبجدية واحدة، مثل تشابوبي ولوني لوغوري L.Logori، الذي سنتحدث عنه في الفصل اللاحق، وياني فروهو J.Fruho وإلى لامي كوتا L.Kota رئيس جمعية «الأخوة» Vëllazëria في الإسكندرية. ومع هذه الدعوات رأى ألبان مصر أن ينظموا اجتماعًا في أيلول/ سبتمبر ١٩٠٨ للتداول في هذا الموضوع قبل الذهاب إلى «مؤتمر مناستير». وفي هذا الاجتماع تمّ الاتفاق على أن يقوم مندوب ألبان مصر مع بقية المندوبين بالطلب من الحكومة العثمانية أن تعترف باللغة الألبانية وأن تسمح بفتح المدارس باللغة الألبانية[(331)].

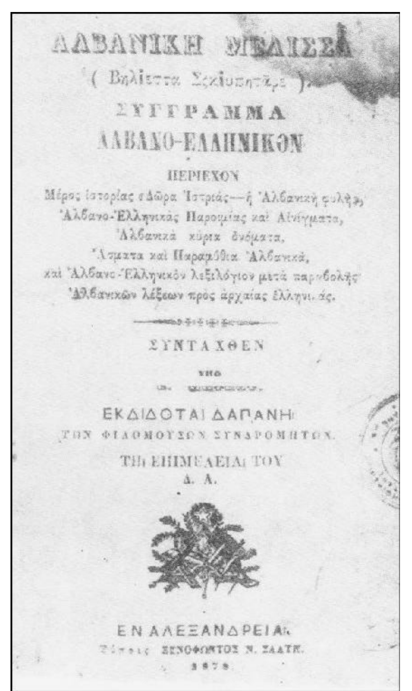
وفي هذه الظروف عُقد «مؤتمر مناستير» في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر بمشاركة ٥٠ شخصية تمثل الجمعيات في الداخل والجاليات في الخارج، ومن

هؤلاء كان يتمتع بحق التصويت ٣٤ منهم. ومن بين هذه الشخصيات كان آثاناس تاشكو A. Tashko ممثلًا لألبان مصر[(332)]. وقد انتهى هذا المؤتمر التاريخي بتصويت الغالبية لـ «أبجدية الاتحاد» (اللاتينية) مع تعديلات طفيفة، وهي الأبجدية التي اعتمدت وبقيت تستخدم حتى اليوم[(333)].

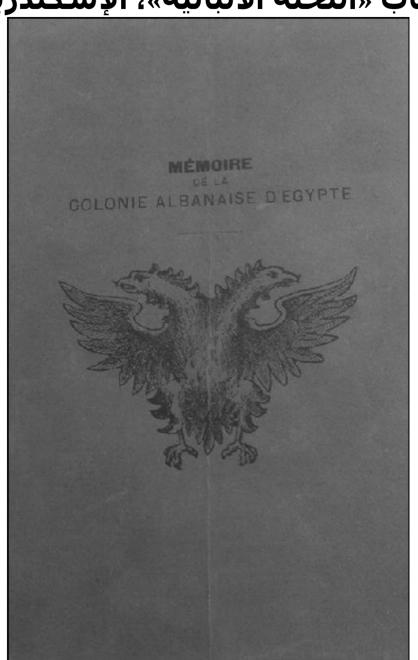
ومن ناحية أخرى فقد اشتهرت مصر بكونها مركزًا للأدب الألباني الحديث. وفي الحقيقة لدينا هنا مفارقة ألا وهي أن أهم كتّاب الأدب الألباني في عصر النهضة القومية ١٨٧٨-١٩١٢ كانوا يعيشون ويبدعون خارج ألبانيا وبالتحديد في صوفيا وبوخارست وإستانبول والقاهرة. وفي هذا السياق، فقد كان لألبان مصر نصيب مهم في تطور الأدب الألباني خلال تلك الفترة، كما أن إسهام ألبان مصر سيكون في ظهور جنس أدبي جديد (المسرحية) وبروز اتجاه جديد في الشعر (الاتجاه الواقعي) كما سنرى في الفصل اللاحق.



الكاتب ثيمو ميتكو
صاحب كتاب النحلة الألبانية


ΑΛΒΑΝΙΚΗ ΜΕΛΙΣΣΑ
(Βηλίεττα Σκιύπητάρε)
ΣΥΓΓΡΑΜΜΑ
ΑΛΒΑΝΟ-ΕΛΛΗΝΙΚΟΝ
ΠΕΡΙΕΧΟΝ
Ἀλβανο-Ἑλληνικὰς Παροιμίας καὶ Αἰνίγματα,
Ἀλβανικὰ κύρια ὀνόματα,
Ἄσματα καὶ Παραμύθια Ἀλβανικά,
καὶ Ἀλβανο-Ἑλληνικὸν λεξιλόγιον μετὰ παραβολῆς
Ἀλβανικῶν λέξεων πρὸς ἀρχαίας ἑλληνικάς.
ΣΥΝΤΑΧΘΕΝ
ΥΠΟ
ΕΚΔΙΔΟΤΑΙ ΔΑΠΑΝΗ
ΤΩΝ ΦΙΛΟΜΟΥΣΩΝ ΣΥΝΔΡΟΜΗΤΩΝ
ΤΗι ΕΠΙΜΕΛΕΙΑι ΤΟΥ
Δ. Α.
ΕΝ ΑΛΕΞΑΝΔΡΕΙΑι
Τύποις ΞΕΝΟΦΩΝΤΟΣ Ν. ΣΑΛΤΗ

غلاف كتاب «النحلة الألبانية»، الإسكندرية ١٨٧٨



مذكرة الجالية الألبانية في مصر إلى المؤتمر الصحفي بباريس ١٩١٩م

---

(296) كانت الشخصيات الألبانية، كما سنرى، تستخدم هذا التعبير (ألبان مصر) في المراسلات وفي الصحافة، ويلاحظ أن إحدى هذه الشخصيات (ألكسندر جوفاني) التي عادت إلى ألبانيا بعد استقلالها واستقرت فيها نشرت أول كتاب عن محمد علي باشا (تيرانا ١٩٢١) بعنوان «محمد علي باشا مصر» أو «محمد علي باشا المصري»:

Aleksandar Xhuvni, Mehmet Ali pashës se Misirit, Tiranë 192.

(297) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في عهد محمد علي الكبير، القاهرة ١٩٣٩، ص١٨٨.

(298) أمين سامي، تقويم النيل، المجلد الأول من الجزء الثالث، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٣٦، ص

٦٠، ٢٩٠ ; زكي، الجيش المصري، ص ١٨٨.

(299) Mahmud Hysa, Andon Zako Çajupi- Jeta dhe vepra, Prishtinë 1983, pp. 43 - 44.

(300) Ibid.

(301) في مذكرات الناشط القومي سبيرو كوسوفا (١٨٨٥-١٩٦٤) التي نشرت مؤخرا لدينا تفاصيل عن دوافع وطرق الهجرة من جنوب ألبانيا إلى مصر؛ حيث جرّب حظه في خريف ١٩١٤ في الذهاب إلى القاهرة، بعد أن وصل بشق النفس إلى «السوق الجديد» الذي كان يتكوّن من محلات لبيع اللحوم والدواجن والخضراوات وغير ذلك التي كان أصحابها «معظمهم من الألبان». وبمساعدة الألبان هناك وجد عملا في معمل للحوم المجففة (السلامي)، ولكن سرعان ما سقط مريضا ونصحه الأطباء بالعودة إلى بلاده لأن جو مصر لايناسبه. وبعد عودته إلى ألبانيا شارك في الأحداث السياسية الكبرى (١٩٢٠-١٩٤٣) إلى أن أصبح محافظا لبيرات Berat، ولكنه هُمّش بعد وصول الحزب الشيوعي إلى الحكم في ١٩٤٥ حتى إنه حاول الانتحار. ومن هذه المذكرات يستحق الترجمة الفصل المتعلق بمصر:

Marenglen Verli, Shqipëria në Kujtime e Spiro Kosovës, Tiranë 2008, pp. 6 - 49.

(302) Mbledhës të hershem të folklorit shqiptar 1635 - 1912, Tiranë 1962, p.10.

(303) بعد الحماس الذي نشرته «جمعية إستانبول» لأجل التعليم باللغة الألبانية، افتتحت في ١٨٨٧ بمدينة كورتشاKorça في جنوب ألبانيا (ذات الغالبية الأرثوذكسية) أول مدرسة ألبانية بإدارة بانلي سوتيري P.Sotiri، ولكن الكنيسة المحلية وحتى البطريركية اليونانية في إستانبول مارستا ضغوطا على الأهالي لسحب أولادهم من المدرسة، بل وصل الأمر إلى اغتيال مدير المدرسة خلال زيارة له إلى إستانبول عام ١٨٩١ من قبل بعض العناصر اليونانية المتطرفة:

Historia e Shqipërisë II, Tiranë (Instituti i historisë)1984, pp. 313 - 31.

(304) Lasgush Poradeci, Tomori,Tiranë 4.4.1942; Ismet Dermaku, "Çështjs e autoqefalisë kishtare shqiptare gjatë Rilindjes Kombëtare shqiptare", Vjtari XII-XIII, Prishtinë 1981, pp.9 - 10.

(305) Shkrimtarët shqiptarë,Tiranë 1941, p. 181.

(306) كانت إستانبول باعتبارها عاصمة الدولة العثمانية تجمع نخبة من المثقفين الألبانيين الذين حاولوا منذ بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر تأسيس جمعية تعنى بالتوافق حول أبجدية واحدة للغة الألبانية. وكان ثيمي ميتكو المقيم في مصر على تواصل مع هؤلاء، وكان يعتبر أن هدف مثل هذه الجمعية «الانبعاث القومي الشامل». ومع تسارع الحركة القومية في الولايات ذات الغالبية الألبانية بادرت هذه الشخصيات الموجودة في إستانبول إلى تشكيل لجنة لاختيار أبجدية من الأبجديات المقترحة، ومع اختيار «أبجدية إستانبول» أرسلت رسالة إلى «البان مر» في ٥ آذار/ مارس ١٨٧٩ توصي باستخدام هذه الأبجدية. ومع هذا التطور بادرت هذه الشخصيات إلى الإعلان في تشرين الأول/ أكتوبر ١٨٧٩ عن تأسيس «جمعية النشر في الألبانية» (التي عُرفت اختصارا بـ «جمعية إستانبول») وانتخب رئيسا لها العالم الموسوعي شمس الدين سامي فراشري، وأخذت تنشر كتب تعليم الألبانية وغيرها من المؤلفات بـ «أبجدية إستانبول»:

Historia e Shqipërisë II, pp.168, 266 - 26.

(307) Hysa, Andon Zako Çajupi, p.45.

(308) حول هذه الرابطة لدينا معطيات مختلفة. فالباحث محمود هيسا في كتابه عن الكاتب الألباني المعروف في مصر أندون زاكو تشابوبي يقول إنها تأسّست في الإسكندرية ردّا على محاولات الأتراك واليونان طمس الهوية القومية للألبان، بينما يرد في الكتاب المرجعي «تاريخ الأدب الألباني» أن ألبان مصر أعادوا تجميع أنفسهم في هذه الرابطة التي أعلنت في بني سويف عام ١٨٩٤:

Hysa, Andon Zako Çajupi,p.45; Historia e letërsisëshqipe, Prishtinë 1975, p. 27.

(309) Floresha Dado, Andon Zako Çajupi- Jeta politike dhe vepra letrare, Tiranë (Bota shqiptare) 2012, p. 43.

(310) Ibid., p.51.

(311) ولد جورج فراشري في قرية فراشر التي أنجبت نخبة من الشخصيات في التاريخ القومي الألباني، وعندما زار قريته رجل الأعمال الألباني المقيم في مصر ثوما ميترا اصطحبه إلى القاهرة وأرسله لدراسة الطب في لوزان. بعد عودته إلى القاهرة اشتهر في مجاله المهني وأصبح طبيب الخديوي عباس الثاني. كان اسمه غاتش (تصغير جرج أو جورج في ألبانيا الجنوبية) أظام وعندما اشتهر غيّر اسمه ليصبح جورج أظاميظ فراشري. بعد الاستقلال عاد إلى ألبانيا، ومع تعيين النبيل الألماني ولهلم فون فيد أميرا عليها

أصبح وزيرا للمالية في أول حكومة ألبانية حظت باعتراف دولي في ١٩١٤.
وفيما يتعلق بالجمعية فقد كان الخلاف بينه وبين المحامي والكاتب تشابوبي معروفا على صعيد مصر وألبانيا، حيث إن تشايوبي كان يتهمه بمحاباة اليونان على حساب ألبانيا.

(312) Memoire de la Colonie Albanaise d'Egyte

في النسخة المحفوظة في الأرشيف المركزي للدولة في تيرانا – صندوق الجمعيات الألبانية في مصر ملاحظة على الغلاف الداخلي بخط الناشط الألباني في مصر سوفاكلي ناتشا تقول إن هذه المذكرة أعدها الكاتب تشابوبي.

(313) كتاب من القنصل الألباني في الإسكندرية إلى وزير الخارجية بتاريخ ٢٦/٤/١٩٢٨، ومحفوظ في الأرشيف المركزي للدولة في تيرانا – صندوق الجمعيات الألبانية في مصر:

Arkivi Qendror i Shtetit-Fondi "Shoqëritë shqiptare në Egjipt", dosja 2.

(314) Statuti i Bashkësisë shqiptare në Egjipt, e themelluar më 1929, Establissment Phacos, p.7.

(315) Ibid., p. 1.

(316) من لقاء معه في بيته بالقاهرة في ٢٠/٨/١٩٧٩.

(317) للمزيد حول نشوء شبرا وتحولها من مدينة كوسموبوليتية إلى حي من أحياء القاهرة، انظر الكتاب الذي صدر مؤخرا:

محمد عفيفي، شبرا إسكندرية صغيرة في القاهرة، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٠١٦.

(318) من لقاء مع كريم حاجيو في بيته بالقاهرة في ٢٠/٨/١٩٧٩.

(319) Muhamed Mufaku, «Egjipti,qendra e shtypit shqiptar», Rilindja (Prishtinë) 29.7. 1979, p. 4.

(320) من الصحافة الألبانية التي كانت تصدر في مصر لدينا مقالات مختارة ذات قيمة فكرية- سياسية طبعت في المؤلفات المرجعية عن النهضة القومية الألبانية:

Alfabeti i gjuhës shqipe dhe Kongresi i Manastirit-Studime, materiale e dokumente, Tiranë 1972; Mendimi politik shoqëror i Rilindjes kombëtare shqiptare 1- 2, Tiranë 1971.

(321) Xhevat Kallajxhi, Bektashizmi dhe teqka shqiptare n'Amerikë, New York 1964, p. 29.

(322) من المقالات الافتتاحية التي كانت تتصدر هذه الجريدة، والتي من الواضح أنها من مؤسس الجريدة، لدينا سلسلة مقالات تحت عنوان «الدولة العثمانية والألبان» نشرت خلال حزيران/ يونيو ١٩١٠.

(323) Mufaku, Egjipti qendra e shtypit shqiptar. p. 4.

(324) للمزيد حول هذا انظر كتابنا: الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، الكويت (سلسلة عالم المعرفة) ١٩٨٣، ص ٩٩-١٠٣.

(325) Shaban Deniraj-Kristaq Prifti, Kongresi i Manastirit, Tiranë 2004, p. 13.

وتجدر الإشارة إلى أن «دار الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية» التي تأسست في ١٨٠٤ عيّنت في ١٨٢١ هنري ليفز H.Leeves ممثلا مقيما لها في إستانبول لترجمة الكتاب المقدس إلى لغات المتوسط، وبالتحديد اليونانية والألبانية والعربية والتركية والصربية والبلغارية، فكانت الترجمة الألبانية واليونانية من أوائل ما صدر في ذلك العام:

Memli Krasniqi, Shoqëria biblike britanike për të huaj dhe bektashizmi 1814 - 1897, Prishtinë (Instituti albanologjik 2013, p. 59..

(326) للمزيد حول هذه الشخصية الموسوعية التي كان لها دور مزدوج عند الألبان والأتراك انظر مقدمة كتابنا: شمس الدين سامي فراشري، المدنية الإسلامية، مكتبة الإسكندرية ٢٠١٢، ص ١٥-٢٨.

(327) Jorgo Bulo, Magjiadhemagjistarët e fjalës, Tiranë (Dituria), pp. 239 - 240.

(328) Alfabeti i gjuhës shqipe dhe Kongresi i Manastirit, pp. 163, 170.

(329) Ibid., p.198.

(330) مناستير (بالألبانية والتركية) أو بيتولا Bitola (في السلافية) المأخوذة من العربية «بيت الله» مدينة قديمة فتحها العثمانيون في ١٣٨٣ وأصبحت مركزا لولاية باسمها حسب التنظيم الجديد للولايات في ١٨٦٨-١٨٦٤. وبعد الحرب البلقانية تنقلت بين صربيا ويوغسلافيا وبلغاريا، وهي الآن في جنوب غرب «جمهورية مكدونيا». وقد تحول المبنى الذي عُقد فيه المؤتمر إلى متحف.

(331) Floresha Dado, A.Z.Çajupi-Jeta dhe vepra, Tiranë (Instituti i gjuhësisë dhe i letërsisë)1983, p. 36.

(332) أثاناس تاشكو ولد في كورتشا بجنوب ألبانيا، وذهب في شبابه إلى مصر حيث استقر في الفيوم

وبرز في مجال الصحافة الألبانية. أصدر في ١٩٠٧ بالاشتراك مع ميلودوتشي أول مجلة ساخرة «شكوبي» Shkopi، التي تحولت في ١٩٠٨ إلى «العاصفة» Rrufeja. بعد إعلان استقلال ألبانيا عاد إلى بلاده في ١٩١٣، ولكنه لم يستطع التكيف مع التطورات الجديدة فعاد إلى الفيوم وبقيَ فيها حتى وفاته.
ومن أولاده كوتشو تاشكو Koço Tashko (١٨٩٩-١٩٨٤) الذي ولد في الفيوم ودرس في بيروت والولايات المتحدة، ثم مال إلى اليسار وذهب إلى الاتحاد السوفيتي ليساهم في ١٩٤١ في تأسيس الحزب الشيوعي الألباني. بعد وصول الحزب إلى الحكم في ١٩٤٥ أصبح سفيرا لألبانيا الشيوعية في موسكو ١٩-١٩٤٧ ونائب وزير الخارجية ١٩٤٧-١٩٥٥، ولكنه اختلف مع رئيس الحزب الجديد أنور خوجا فسُجن ونُفيَ إلى أن توفيَ.

(333) جاء القرار مفاجئا للإدارة العثمانية التي أدركت أن تبني الألبان للأبجدية اللاتينية سيؤدي إلى أوربتهم مما يقود بالضرورة إلى انفصالهم عن الدولة العثمانية؛ ولذلك دعمت إستانبول بقوة تبني الأبجدية العربية للغة الألبانية وتحول الأمر إلى نزاع فكري- سياسي على صفحات الجرائد التركية والألبانية.
للمزيد حول ذلك انظر كتابنا: الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، ص ٦٤-٧٢.

الفصل الثامن

أدب ألبان مصر
ومكانته في الأدب الألباني

في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ازداد بشكل واضح عدد الألبان في مصر نتيجة لتدفق الألبان من الجنوب (ذات الغالبية الأرثوذكسية) للعمل والتجارة. ومع أن هؤلاء الألبان توزعوا على عدة مدن (الإسكندرية والقاهرة والمنصورة والفيوم وبني سويف إلخ) فإن العدد الأكبر منهم استقر في القاهرة والإسكندرية، حيث تشكلت هناك تجمعات ألبانية تتميز بلغتها ومدارسها وصحفها وموسيقاها إلخ. ويصف سبيرو دينه S. Dine (١٨٤٤-١٩٢٢)، وهو أحد كبار الكتّاب الألبان في مصر، هذا الوضع في مقدمة كتابه «أمواج البحر» بالقول: «كانت مخافر القاهرة مليئة بالألبان وكانت الأغاني والرقصات لا تنقطع، وكانت ألحان البزق والطنبورة تُسمع من كل الجهات»[(334)].

في مثل هذا الجو الألباني اشتغل بحماس الشاعر والرائد في الفلكلور الألباني ثيمي ميتكو Th. Mitko (١٨٢٠-١٨٩٠) لأجل جمع التراث الشعبي الألباني من أفواه الألبان في مصر، الذي نشره في الألبانية بالإسكندرية عام ١٨٧٨ تحت عنوان «النحلة الألبانية»، وهو الذي بقيَ يُعتبر أهم كتاب للفلكلور الألباني خلال مرحلة النهضة القومية الألبانية ١٨٧٨-١٩١٢ [(335)]. ونجد في هذا الكتاب تقريبًا كل أنواع الأدب الشعبي: الأغاني المتعلقة بالاغتراب والخدمة العسكرية في المناطق النائية (اليمن وغيرها) والملاحم التاريخية والبطولية والأمثال والقصص الشعبية إلخ. ويلاحظ هنا وجود عدد قليل من الملاحم الأسطورية لأن ميتكو جمع هذه المادة بين ألبان مصر، الذين جاءوا بمعظمهم من الجنوب الذي يعتبر فقيرًا بهذا النوع الأدبي بالمقارنة مع الشمال[(336)]. وتحت تأثير ميتكو جاء الشاعر والباحث سبيرو دينه S.Dine ليتابع عمله في جمع الفلكلور الألباني في مصر لأجل كتابه «أمواج البحر»، الذي يُعتبر أيضًا من أهم الكتب الجامعة للفلكلور الألباني خلال مرحلة النهضة القومية[(337)]. وفي هذا الكتاب أيضًا لدينا عدد كبير من الأغاني الشعبية على أنواعها ومن الأمثال الشعبية والقصص الشعبية إلخ، كما لدينا في نهايته ملحق للجيل الأول من شعراء الألبان في مصر.

في هذا الأدب الشعبي الألباني الذي جمعه ميتكو ودينه من أفواه الألبان في مصر من الطبيعي أن نجد بعض انعكاسات المحيط المصري، وخصوصًا في الأغاني التاريخية التي تمجد دور بعض الشخصيات أو في الأمثال الشعبية. فقد شاهدنا في الفصل الرابع حضور محمد علي مع بعض من الشخصيات الألبانية (رجب آغا وصالح آغا إلخ) التي تنازعت معه[(338)].

كما نجد أغنية تاريخية تمجد بطولات الألباني عبـدول بروشي A.Borshi في

القتال الذي جرى في شبه الجزيرة العربية:

صباح الخميس
جاء المنادي معلنًا:
سقط الشريف في حينه
بقذيفة مدفع.
ما شاء الله،
أحسنت يا عبد الله!
صرخ عبد الله:
تعالَ أيها الشريف مطالب؛
لتواجه الألباني[(339)].

وبالإضافة إلى ذلك لدينا أغنية تتحدث عن بطولة عابدين بك ومحرم جيروكاسترا M.Gipokastra في المعارك التي جرت في مصر[(340)].

وإلى جانب هذا الأدب الشعبي الذي تم جمعه من أفواه الألبان في مصر، فقد نشأ وتطور بين ألبان مصر أدب فني له قيمته في الأدب الألباني بشكل عام[(341)]. ولا شك أن صدور كتاب «النحلة الألبانية» في الإسكندرية كان له أثره بين الجيل الأول من الأدباء الألبان في مصر. فقد كان هذا الكتاب وخصوصًا الأشعار الموجودة فيه، يلهم الشعراء الشباب بالأوزان والثيمات، حتى إن تأثير هذا الكتاب استمر حتى الجيل الثاني من الأدباء الألبان[(342)].

وكان مما ساعد الأدباء الألبان في مصر وجود صحافة ألبانية ومطابع تنشر أعمالهم، سواء في الصفحات الأدبية أو على شكل كتب. وعلى حين أن بعضهم لم يحظَ بشهرة كافية في العالم الألباني نجد أن بعضهم لايزال يقرأ بشغف حتى الآن في عواصم الألبان. ويكفي أن نشير هنا إلى أن أحد أبرز الكتّاب الألبان في النصف الأول للقرن العشرين (أندون زاكو تشابوبي) تعلم في هذا المحيط الأدبي بمصر الكتابة باللغة الألبانية بعد أن كانت كتاباته الأولى بالفرنسية. وفي هذا السياق سنتعرّف هنا على أشهر هؤلاء الأدباء الذين برزوا بين ألبان مصر مع الإشارة إلى مكانتهم في الأدب الألباني بشكل عام.

ثيمي ميتكو (١٨٢٠-١٨٩٠) Thimi Mitko

ولد في كورتشا Korça بجنوب ألبانيا وهاجر إلى مصر في شبابه؛ حيث افتتح مؤسسة تجارية في بني سويف. ومع ازدهار عمله انصرف إلى النشاط القومي وأصبح من الشخصيات الألبانية المعروفة في مصر. وبالإضافة إلى انشغاله بجمع التراث الشعبي الألباني ونشره في كتاب «النحلة الألبانية»، بدأ يبرز بأشعاره التي نشرها منذ بداية سبعينيات القرن التاسع عشر. ويلاحظ في عناوين قصائده أنها تعبّر عن مشاعره تجاه مسقط رأسه وتجييشه للمشاعر في سبيل ألبانيا ابتداء من أول قصيدة نعرفها له «ألباني» (١٨٧٩) و«ألبانيا يا حبيبتي» (١٨٨٠) و«إلى ألبانيا» (١٨٨٥) وغيرها[(343)]. وبشكل عام يقسم شعره

إلى قسمين: قصائد بروح قومية وقصائد ذاتية.

أما بالنسبة إلى القسم الأول فهو ذو أهمية أدبية تاريخية لأنه يعبر عن القصائد الأولى في الشعر الألباني التي استلهمت الحركة القومية الألبانية[344]. ومن هذه القصائد لدينا «أيها الأخوة الألبان» و«ألبانيا» و«ألبانيا يا حبيبتي» وغيرها[345].

أما في القسم الآخر الذي يعبّر عن همومه الذاتية فلدينا قصائد تتمتع بقيمة فنية أكبر. ومن هذا مرثيته «دينو، شوقي العارم» التي تُعتبر من أوائل القصائد من هذا النوع في الشعر الألباني ومن أفضل القصائد التي أبدعها ميتكو[346]. وفي القسم أيضًا لدينا شكواه من الغربة في مصر وحنينه إلى مسقط رأسه، على الرغم من ازدهار أعماله في مصر ومكانته بين ألبان مصر، كما في قصيدة «كيف جلبني القدر» التي يعبّر فيها عن معاناته في الغربة:

كل حياتي غربة.
عملي لا ينقطع
منذ ثلاثين سنة
ولم أشعر بالسعادة في أي يوم[347].

سبيرو دينه Spiro Dine (١٨٤٦-١٩٢٢)

ولد في كورتشا أيضًا، كان مقرّبًا من ثيمي ميتكو إذ كان بمثابة التلميذ والمساعد له في جمع التراث الشعبي الألباني. جاء إلى مصر في العشرين من عمره، وانخرط بسرعة في الحركة القومية الألبانية وساهم بشكل فعال في تنظيم ألبانيي مصر.

ونظرًا إلى انشغاله في جمع التراث الشعبي الألباني في مصر، الذي نشره عام ١٩٠٨ تحت عنوان «أمواج البحر» وضمّنه بعض قصائده، فقد تأخر في نشر شعره[348]. وفي الواقع بدأ بكتابة الشعر منذ ١٨٦٨، تحت تأثير الشعر الشعبي، وركّز في أشعاره الأولى على نقد الحكم العثماني والتغنّي بحرية ألبانيا. وبعبارة أخرى، فقد كانت أشعاره تمثل أيضًا موضوعات النهضة القومية الألبانية.

ثيمي كريجي Thimi Kreji (ت ١٩١٠)

ولد في كروشوفا Kroshova قرب كورتشا. جاء مصر في ستينيات القرن التاسع عشر وسرعان ما انخرط في الحركة القومية الألبانية في مصر، وخصوصًا في الجانب التنظيمي. في ١٨٧٧، كان من المقرّبين إلى ميتكو ودينه، وأنجز آنذاك ترجمة كتاب «إسكندر بك» الذي أصبح البطل القومي للألبان. انتخب أول سكرتير للنادي الألباني في مصر، وكان من أوائل من عملوا في سبيل اللغة والثقافة الألبانية في مصر[349].

ومع أنه عُرف شاعرًا بين ألبان مصر فإنه لم يهتم كثيرًا بنشر أشعاره، التي نشر بعضها سبيرو دينه S.Dine في «أمواج البحر». وفي هذه القصائد التي نشرت تتمثل أيضًا موضوعات النهضة القومية الألبانية مثل «ألبانيا» و«الأخ يقتل

آخاه» وغيرهما، التي كانت تركز على حشد المشاعر القومية الألبانية والدعوة إلى وحدة الأديان إلخ[(350)].

لوني لوغوري Loni Logori (١٨٧١-١٩٢٩)

ولد في كورتشا أيضًا وجاء إلى مصر في شبابه المبكر، وانخرط في الحركة القومية الألبانية حتى أصبح من الشخصيات المعروفة داخل وخارج مصر. ومع ازدهار عمله في التجارة زار ألبانيا عدة مرات قبل إعلان الاستقلال (١٩١٢) وبعده، إلى أن عاد بشكل نهائي قبيل وفاته بسنوات ليستقر في ألبانيا.

بدأ في نشر أشعاره منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر. في البداية كان متأثرًا بميتكو واقتصرت قصائده على موضوعات النهضة القومية الألبانية مثل «لا يعرفنا أحد» (١٨٩٧) و«هجوم على ألبانيا» (١٨٩٨) وغيرهما[(351)].ولكن فيما بعد تميّز بعدة مرثيات تناول فيها بعض الشخصيات الألبانية المعروفة مثل مرثيته «قتلوا بابا كريستو» (١٩٠٥) ومرثيته عن ثيمي ميتكو بعنوان «نجم ألبانيا» وغيرهما[(352)]. وقد أصبحت بعض مراثيه وبعض أناشيده معروفة على نطاق واسع في ألبانيا عشية الاستقلال[(353)].

وبالإضافة إلى ذلك عبّر في أشعاره أيضًا عن همومه الذاتية، وخصوصًا فيما يتعلق بالغربة بعيدًا عن ألبانيا:

أخذتنا الغربة
وقطعنا البحار
ذهبنا إلى بلاد بعيدة
انقطعنا عن الأصحاب
وأصبحنا نعيش مع الأجانب
من بقيَ منا دونما بكاء
ومن منا يعرف يومًا سعيدًا
في سنواته الحزينة[(354)].

ياني فروهو Jani Vruho (١٨٦٣-١٩١٨)

ولد في فاستا Vasta بجنوب ألبانيا وجاء إلى مصر في شبابه. عُرف في مصر باهتمامه بالعمل التنظيمي لألبان مصر، كما نشط في مجال الصحافة الألبانية. فقد بدأ في ١٩٠٩ بنشر أول جريدة ألبانية ساخرة Rrufeja أو «الصاعقة»، التي ها في الفيوم، ثم أصدر خلال ١٩١٠–١٩١١ جريدة Sëpata أو «الفأس»؛ وذلك لأجل الالتفاف على رقابة المطبوعات في إستانبول وإرسال تلك الجرائد إلى ألبانيا[(355)].

وفيما يتعلق بالأدب يبدو أنه ساعد سبيرو دينه S.Dine على جمع التراث الشعبي الألباني لأجل إنجاز كتابه « أمواج البحر»[(356)]، كما أنه كتب الشعر أيضًا. وكغيره من شعراء الألبان في مصر فقد طغت على أشعاره موضوعات النهضة القومية الألبانية، وطبعت بعض أشعاره في كتاب «أمواج البحر[(357)]».

فيليب شيروكا Filip Shiroka (١٨٥٩- ١٩٣٥)

ولد في شكودرا Shkodra بشمال ألبانيا وجاء إلى مصر بعد الحركة المسلحة ضد الحكم العثماني ١٨٧٨-١٨٨١. برز بسرعة في مجال الأدب وأصبح من أشهر الشعراء في الأدب الألباني خلال الثلث الأول من القرن العشرين. بدأ كالآخرين في جمع التراث الشعبي الألباني في مصر[(358)]. ولكن منذ أن نشر قصيدته المشهورة «اذهب أيها السنونو» في ١٨٩٥ تفرغ للشعر أكثر، حتى إنَّ جريدة «ألبانيا» التي كان يصدرها في بروكسل الناقد فائق كونيتسا F.Konica أعلنت في ١٩٠٢ عن قرب إنجاز الشاعر ديوانه «صوت القلب»[(359)]. ومع نشره القصائد في مصر وخارجها التي شهرته أكثر فإن هذا الديوان تأخر صدوره حتى ١٩٣٠، ومن ثم طبع عدة مرات في تيرانا وبريشتينا[(360)].

وبعد صدور هذا الديوان في مسقط رأسه عاد شيروكا إلى مصر وتوقف في طريقه إلى بيروت؛ حيث إن زوجته كانت لبنانية، فأدركه المرض وتوفيَ هناك.

يعتبر شيروكا من الشعراء الذين لا تزال أشعارهم تُنشر من حين إلى آخر ويحتفى بهم في المناسبات المختلفة. ويسيطر على شعره الحنين إلى الوطن وحب الوطن والاعتزاز بالتقاليد الألبانية. ومع أن موضوع الحنين إلى الوطن كان شائعًا في أدب الدياسبورا الألبانية فإن شيروكا عالجه بفنية أكثر معتمدًا على رمز السنونو، أي على الطائر الذي كان يأتي من أوربا إلى مصر في فصل الشتاء:

أهلًا وسهلًا بك
أيها السنونو
طائرًا بجناحيك المفروشين.
أهلًا وسهلًا بك في هذا المكان الدافئ.
مرحبًا بك في مصر
لقضاء فصل الشتاء[(361)].

في هذا الشكل كان السنونو يشكّل بالنسبة إلى شيروكا حلقة الوصل بين ألبانيا ومصر؛ حيث إن حركة السنونو كانت متواصلة كل سنة من الشمال إلى الجنوب وبالعكس:

أيها السنونو
حين انطلقت من هنا أوصيتك
أن تطير فوق ألبانيا،
فأخبرني هل نسيت وصيتي خلال طيرانك،
وهل طرت فوق مدينتي شكودرا،
وهل ألقيت التحية عليها؟[(362)].

ومن ناحية أخرى فإن شيروكا يمثل استثناء من حيث إنه تزوج بعربية، وهو ما جعله ـ حسب رأينا ـ أقرب إلى اللغة والثقافة العربية. ومما يدل على ذلك

قصيدة طويلة له بعنوان «دروس العربي»، التي يقول عنها إنها مأخوذة من قصائد عربية[363]؛ مما يدل على معرفته بالأدب العربي.

ميلودوتشي Milo Duçi (١٨٧٠-١٩٣٣)

ولد في كورتشا أيضًا وذهب إلى مصر في شبابه المبكر مع عمّه الشاعر لوني لوغوري (١٨٧١-١٩٢٩)، وسرعان ما أصبح من أشهر الشخصيات الألبانية في مصر بسبب نشاطه الكبير في الحركة القومية الألبانية وعمله في الصحافة الألبانية بمصر ونتاجه الأدبي المتنوع. فقد انتخب في ١٨٩٧ رئيسًا لجمعية «الأخوة» Vëllazëria التي أصبحت معروفة عند الألبان في مصر وخارجها[364].

اشتهر دوتشي في مجال الصحافة الألبانية بمصر. ففي ١٩٠٠ أصدر أول جريدة ألبانية في مصر «العهد» Besa-bese، ثم أصدر جريدة «توسكا» Toska خلال ١٩٠١-١٩٠٢، وجريدة «العهد» Besa خلال ١٩٠٤-١٩٠٥ بالتعاون مع ث. إفرامي Th. Avrami، وجريدة «ألبانيا» Shqipëria خلال ١٩٠٦-١٩٠٧ وجريدة «البلازجي» Pellasge خلال ١٩٠٧ ثم أصدر أخيرًا جريدة «محادثات» Bisedimet، التي كانت آخر جريدة ألبانية تصدر في مصر[365].

وإلى جانب الصحافة جاءت وبقيت شهرة دوتشي مرتبطة بالأدب، وبالتحديد في الشعر والمسرحية. وإذا كان في الشعر يشترك مع غيره في موضوعات النهضة القومية الألباني إلا أن إسهامه الحقيقي يبدو في هذا الجنس الجديد (المسرحية) في الأدب الألباني آنذاك. فقد كتب دوتشي خمس مسرحيات، بدأها بمسرحية «ما يقال» (١٩٢٢) و«ابن البيك» (١٩٢٣) وغيرهما[366]، كما أنه عمد إلى اقتباس أو ألبنة مسرحيات أخرى[367].

وفيما يتعلق بشعره يلاحظ أن ما هو مشترك مع الآخرين في حب الوطن والتغنّي به لا يوجد فيه أي جديد، بينما نجده أكثر أصالة في شعره الذي يعبر عن ذاته مثل «الأم القلقة» و«افتحي صدرك يا أمي» و«حين رأتك النجوم» وغيرها[368].

أندون زاكو تشابوبي Andon Zako Çajupi (١٨٦٦-١٩٣٠)

يعتبر تشايوبي أهم كاتب ألباني في مصر، وأحد أشهر الأدباء في العالم الألباني، حيث لا تزال أشعاره ومسرحياته تُطبع باستمرار ويحتفى بها في المناسبات المختلفة.

ولد في شيبر Sheper قرب مدينة جيروكاسترا Gjirokastra بجنوب ألبانيا وجاء مصر في سن السادسة عشرة. التحق بالليسيه الفرنسية بالإسكندرية وذهب بعدها لدراسة القانون في سويسرا، ثم عاد واستقر في القاهرة إلى وفاته. ومع أنه افتتح مكتبًا للمحاماة فإنه سرعان ماترك هذه المهنة بعد أن كسب قضية كان فيها الخديوي عباس الثاني الطرف الآخر، وتفرغ للعمل بعد أن ورث ثروة من أبيه (الذي كان يعمل بتجارة الدخان لمصر) في الحركة القومية الألبانية والأدب. وبعد عودته إلى مصر في ١٨٩٥ أتيحت له فرصة لزيارة إستانبول، التي كانت تجمع نخبة من المثقفين العاملين في الحركة القومية الألبانية؛ حيث

التقى هناك بشاعر النهضة القومية الألبانية نعيم فراشري N.Frashëri (١٨٤٦-١٩٠٠) الذي كان له الأثر الكبير عليه.

في بداية إقامته في مصر توجه تشابوبي إلى الشعر؛ حيث كتب أولا بالفرنسية تحت تأثير الثقافة الفرنسية التي كان يعرفها جيدا، ثم أتقن الكتابة بالألبانية وأنجز خلال ١٨٩٨– ١٩٠٢ أشعار مجموعته الأولى «بابا تومور» التي نشرت في القاهرة ١٩٠٢ [(369)]. وقد استقبلت هذه المجموعة بترحيب النقاد في العالم الألباني حتى إن الناقد فائق كونيتسا F.Konica قال بحماس: «لقد ولد لنا شاعر»[(370)]. وفي الواقع حظيت هذه المجموعة بشهرة كبيرة وطبعت أكثر من عشر طبعات حتى الآن[(371)]. وبعد هذه المجموعة توجّه نحو الشعر الساخر النقدي فأنجز قصيدته الطويلة «العهد القديم» التي تأخرت طباعتها بسبب حساسيتها[(372)]. وفي غضون ذلك ترجم وأعدّ في الألبانية حكايات الكاتب الفرنسي لافونتين، التي أصدرها في القاهرة خلال ١٩٢١ بعنوان «حكايات». وعلى الغلاف الخلفي للكتاب نجد ما يفيد بصدور الطبعة الثانية من «بابا تومور» ومجموعة أخرى من الشعر الساخر النقدي «بابا موسى»[(373)]، و«أغانٍ ومعاناة» التي استمدّها من شجون الحرب العالمية الأولى.

يتميز شعر تشايوبي بتنوعه وتجديده بالمقارنة مع سابقيه. فبالإضافة إلى شعره القومي المتأثر بالأحداث الكبرى في تلك الفترة يبدو التجديد لديه في شعره الذاتي وشعره الساخر النقدي أو الاجتماعي. وهنا تبدو الانعطافة المهمة في تاريخ الأدب الألباني، إذ إن الشعر الألباني حتى تشايوبي كانت تسيطر النزعة القومية الرومانسية، بينما بدأ الاتجاه الواقعي في الشعر مع تشايوبي بالذات[(374)].

وحسب الناقد المعروف رجب تسوسيا R.Qosja فإن هذا التطور المهم في تاريخ الأديب الألباني جاء نتيجة للواقع الاجتماعي القاسي في مصر[(375)] الذي عبّر عنه تشايوبي في إحدى قصائده التي جاءت بعنوان «مصر»:

هنا لدينا من الأمراء والباشوات

والبكوات أكثر مما لدينا من الحمير،

الأغنياء لا يعرفون ما يملكون

والغالبية لا يجدون ما يأكلون[(376)].

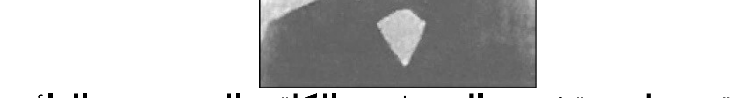
ويلاحظ هنا جرأة تشابوبي وتخلّصه من الرومانسية القومية الألبانية التي تعلي من شأن كل ما هو ألباني، إذ إنه بنقده الحاد للأمراء والباشوات يعرف أن من بينهم ألبانًا من الأسرة الحاكمة، ولكن الواقع الاجتماعي القاسي جعله لا يوفر أحدًا من نقده. وهذا الواقع الاجتماعي جعل أيضًا الشاعر المصري المجايل له (حافظ إبراهيم ١٨٧٠-١٩٣٢) يتأثر به، ويعبّر عنه في بعض قصائده التي تميز فيها عن غيره من الشعراء المصريين.

ومن ناحية أخرى لم يبدع تشايوبي فقط في الشعر وإنما في مجال جديد في الأدب الألباني ألا وهو المسرحية كما يقول ستيوارت مان S.Mann [(377)]. فمن أوائل

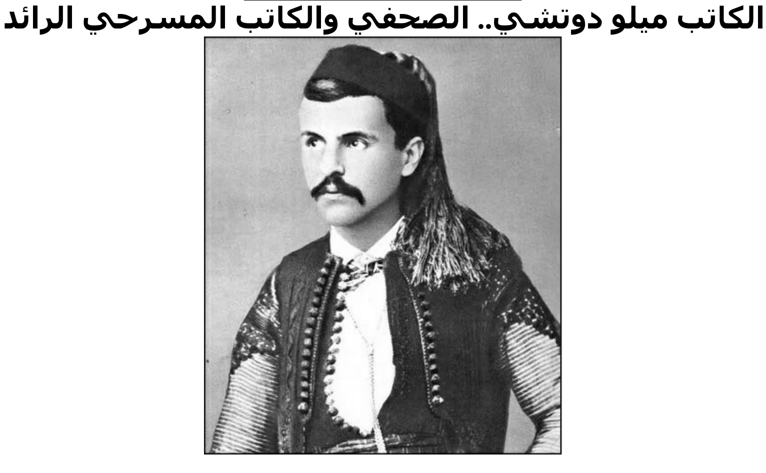
إبداعاته كانت الكوميديا الشعرية الساخرة «صهر في الرابعة عشرة»، التي نشرها عام ١٩٠٢ كملحق لمجموعته الشعرية «بابا تومور»[378]. وبعد هذه كتب خلال ١٩٠٣-١٩١٠ مسرحيته الشعرية المعروفة «رجل الأرض»، ومن ثم مسرحيته الشعرية «بعد الموت» التي ربما يكون قد استلهمها من مصدر غير معروف حتى الآن[379]. ولم تصدر هذه المسرحية إلا بعد وفاته في القاهرة عام ١. أما المشترك بينها فهو تعرّض تشايوبي بشكل نقدي ساخر للواقع السياسي الاجتماعي الجديد عند الألبان.

ومع هذه الإسهامات يبدو تمايز أدب ألبان مصر ومكانته في الأدب الألباني بشكل عام. فقد كانت أهم مراكز هذا الأدب في الأطراف وليس في المركز أو ألبانيا ذاتها التي بقيت تحت الحكم العثماني حتى نهاية ١٩١٢، الذي كان يعرقل التعلّم والنشر في الألبانية[380]. فعلى حين أن الأدب الألباني في الأطراف (إستانبول وبوخارست وإيطاليا) كانت يسيطر عليه الشعر بشكل عام، وبالتحديد الشعر القومي الرومانسي، نجد أنه في مصر برز أدب ألباني جديد يتميز بجنس أدبي جديد (المسرحية) واتجاه جديد في الشعر (الواقعية)[381].

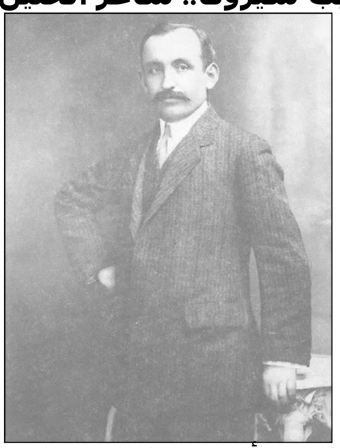
ويبدو لنا هنا أن هذا التطور الجديد في الأدب الألباني إنما هو نتيجة الازدهار الثقافي في مصر (الإسكندرية والقاهرة بالذات) خلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. فمنذ ١٨٦٦ بنيت دار الأوبرا ثم ظهرت عشرات المسارح في القاهرة والإسكندرية اللتين كانتا تقدمان المسرحيات المختلفة سواء الأجنبية في لغتها الأصلية أو المصرية سواء كانتا مقتبسة من الآداب الأجنبية أو مؤلفة. ولذلك يُعتقد أن هذا الازدهار في المسرح قد أثر في توجه دوتشي وتشايوبي نحو كتابة المسرحية.



الكاتب ميلو دوتشي.. الصحفي والكاتب المسرحي الرائد



الشاعر فيليب شيروكا.. شاعر الحنين إلى الوطن



الكاتب أندون زاكو تشايوبي
رائد الأدب المسرحي الساخر والاتجاه الواقعي النقدي

(334 .Mbledhës të hershëm të folklorit shqiptar 1635 - 1912, vol.3, Tiranë (Instituti i folklorit) 1962, sp. 10

(335 .Grup autorësh, Historia e letërsisë shqipe, Prishtinë 1975, p. 242

(336 .Ibid., p. 424

(337 .Ibid., p. 426

(338) للمزيد حول ذلك:

.Muhamed Mufaku, Lidhjet letrare shqiptare-arabe, Tiranë (ACFOS) 2009, pp.105 - 11

(339 .Mbledhës të hershëm, vol.2, p. 148

(340 .Ibid., p. 150 - 152

(341 .Rexhep Qosja, Prej tiplogjisë deri te periodizmi, Prishtinë 1979, p. 161

(342 .Historia e letërsisë shqipe, p. 425

(343 .Poetë të Rilindjes kombëtare, Tiranë 1976, p. 74

(344 .Historia e letërsisë shqipe, p. 423

(345) انظر هذه القصائد في: Poetë të Rilindjes, pp. 76 - 90.

(346 .Ibid., p. 75

(347 .Ibid., p. 95

(348 .S. Mann, Albanian Literature, London 1955, p. 48

(349 .Poetë të Rilindjes, pp. 130 - 131

(350 .Ibid., p. 131

(351 .Ibid., p. 177

(352) انظر هذه القصائد في:

.Poetë të Rilindjes, pp. 189 - 19

(353 .Ibid., pp.177 - 178

(354 .Ibid., p.185

(355 .Mann, Albanian Literature, f. 48

(356 .Ibid., p. 185

(357 .,Mbledhës të hershem

(358) بدأ شيروكا نشر نتاجه في الجريدة الألبانية المعروفة «ألبانيا» Albania التي كان يصدرها الناشر فائق كونيتسا باسم أدبي مستعار: غيغ بوستريبا Geg Postripa.

(359 .Albania, viti VI, gusht 1902

(360 .F. Shiroka, Zani i zemrës, Tiranë 1959

(361 .Filip Shiroka, Zani i zemrës, Prishtinë 1969, p. 17

(362) Ibid., p. 19.

(363) Ibid., pp. 46 - 47.

(364) Poetë të Rilindjes, p.229.

(365) للمزيد عن الصحافة الألبانية في مصر:

Muhamed Mufaku, «Egjipti qendër e shtypit shqiptar», Prishtinë (Rilindja) 29. 08. 1979.

(366) Mann, Albanian Literature, p. 88; Poetë të Rilindjes, p. 230.

(367) Poetë të Rilindjes, p. 230.

(368) Ibid.

(369) A.Z.Çajupi, Baba Tomorri, Kajro 1902.

(370) Albania, Viti VI, nëntor 1902.

(371) في الذكرى العشرين لوفاته (١٩٥٠) عقدت في تيرانا أول ندوة علمية عن أعماله الأدبية، وعلى رأسها «بابا تومور»، بينما نشرت في الذكرى المئوية لولادته (١٩٦٦) مختارات من أعماله الأدبية التي صدرت لاحقا عدة مرات، بينما نشرت في ٢٠٠٨ الأعمال الكاملة له في خمسة مجلدات بعناية الأكاديميّيْن رجب تشوسيا ويورغو بولو.

وخلال العمل في إنجاز هذا الفصل حلّت الذكرى الـ ١٥٠ لولادة الشاعر؛ فعقدت بهذه المناسبة ندوة علمية في متحف التاريخ القومي بتيرانا عاصمة ألبانيا في ٢٧ آذار/ مارس ٢٠١٦ قُدّمت فيها عدة أوراق عن حياته وأعماله، كما أن معرض الكتاب الـ ١٨ في بريشتينا عاصمة كوسوفا الذي افتتح في حزيران/ يونيو ٢٠١٦ احتفى أيضا بهذه المناسبة.

(372) Çajupi, Vepra,Tiranë 1940.

(373) A.Z. (Chajup), Përrala, Heliopolis (Egypte) 1921.

(374) historia e letërsisë shqipe, p. 578.

(375) Qosja, Prej tipologjisë, p. 162.

(376) Çajupi, Vepra, p. 62.

وانظر بشكل خاص قصيدته «فرعون والعرب»، المصدر السابق، ص ٢٤٨-٢٥٠.

(377) Mann, Albanian Literature, p. 49.

(378) Çajupi, Vepra, pp. 73 - 110.

(379) Ibid., pp. 205 - 243.

(380) للمزيد حول سعي الألبان إلى أبجدية موحدة للغتهم وموقف السلطات العثمانية انظر كتابنا: الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، الكويت (عالم المعرفة) ١٩٨٣، ص٦٤-٦٥.

(381) Qosja, Prej tipologjisë, p. 163.

الفصل التاسع

الأمير فؤاد

من مرشّح لعرش ألبانيا إلى ملك مصر

على غير ما يُعتقد في الأدبيات الألبانية فقد برز اسم الأمير فؤاد في وقت مبكر مرشحًا لعرش ألبانيا حين كانت ألبانيا مجرد تعبير جغرافي لم تتضح حدوده بعد، أو مجرد حلم عند بعض الشخصيات الألبانية التي برزت مع «رابطة بريزرن» ١٨٧٨ – ١٨٨١، التي تعتبر رافعة للحركة القومية الألبانية المطالبةبحكم ذاتي ضمن الدولة العثمانية ثم بكيان مستقل عنها[382].

ففي ١٨٩٠ ورد اسم الأمير فؤاد لأول مرة مرشحًا لعرش الدولة الألبانية المستقبلية في رسالة من الشخصية الألبانية المعروفة عبدل فراشري A.Frashëri [383] إلى رئيس الوزراء الإيطالي ذي الأصل الألباني فرانسيسكو كريسبي F.Crispi [384]، التي حملها له شخصيًّا الأمير فؤاد. وفي الحقيقة كان عبدل فراشري قد كتب هذه الرسالة باسم كبار الشخصيات الألبانية الموجودة في إستانبول[385]، وورد فيها أن الألبان «يناسبهم أمير من دمهم يعرف عاداتهم ويمكن أن يقودهم إلى التقدّم». وفي تبريره لأفضلية الأمير فؤاد أضاف فراشري أن الأمير فؤاد قد صمّم على خدمة موطنه الأصلي «نظرا إلى اعتزازه بالبلاد التي أنجبت جدّه وشعوره بسريان الدم الألباني في عروقه». وفي النهاية يختم فراشري بالقول عن الأمير فؤاد: «إن تعليمه الأوربي وكفاءته العسكرية التي اكتسبها في الجيش الإيطالي قد وثقتا كثيرا صلته بالغرب»[386].

ومن ناحية أخرى فقد بدأ اهتمام القوى الأوربية (وخصوصًا النمسا- المجر وإيطاليا) بعرش ألبانيا في وقت مبكر، أي قبل استقلال ألبانيا بسنوات عديدة. فبعد الحرب الروسية- العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨، ومؤتمر برلين ١٨٧٨، واحتلال النمسا- المجر للبوسنة والهرسك وصولا إلى الحرب اليونانية- العثمانية في ١٨٩٧، بدأت تظهر في الأفق مواقف جديدة لبعض القوى الأوربية الكبرى وخصوصًا النمسا- المجر وإيطاليا. وهكذا فقد بلورت فيينا منذ ١٨٩٧ موقفها فيما يتعلق بألبانيا وعرشها: الحفاظ على الوضع القائم بواسطة اتفاقية مع إيطاليا، ولكن «إذا انهارت الإمبراطورية التركية فقد قرّرنا تشكيل ألبانيا بحكم ذاتي، مع إمكانية ترشيح أمير أجنبي، ولكن أن تكون تحت حمايتنا».

وفيما يتعلق بالمرشحين للعرش الألباني، بمن فيهم الأمير فؤاد، فقد بدأ نشاطهم في وقت مبكر للحصول على أوسع تأييد لهم سواء بين الألبان أنفسهم أو بين القوى الأوربية الكبرى، وذلك قبل الإعلان عن استقلال ألبانيا في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٢. وكما هو معروف فقد برز حوالي عشرة مرشحين للعرش الألباني سواء من الألبان أو من أصول ألبانية أو من غير الألبان[387]. ومع ذلك يمكن القول إن الأمير فؤاد كان له أوفر حظ حتى تشرين

الأول/ أكتوبر ١٩١٣، أي حتى الظهور المفاجئ للنبيل الألماني ولهلم فون فيد W.VonWied. فالمؤرخ الألباني الأمريكي المعروف ستافرو سكندي S.Skendi يستنتج من المصادر المختلفة أن الأمير فؤاد كان في ذاك الحين من أبرز المرشحين للعرش الألباني؛ لأنه كان يتمتع بمؤهلات نادرة ترضي الجميع كأصله الألباني ونشأته الشرقية الإسلامية وثقافته الأوروبية[388]. ويشاطره هذا الرأي المؤرخ الألماني المتخصّص في التاريخ الألباني بيتر بارتل P.Bartl الذي ينتهي بعد استعراض كل المرشحين (سبعة أوروبيين وثلاثة مسلمين؛ اثنان منهم من أصول ألبانية) إلى أن «أكثر المرشحين حظًّا كان الأمير المصري فؤاد، حفيد محمد علي باشا ذي الأصل الألباني. فقد تخرج في الأكاديمية العسكرية في تورينو، وكان مناسبا باعتباره محبًّا لإيطاليا ولكن هذا كان يكفي في حد ذاته ليجعل النمسا ترفضه»[389].

وبالاستناد إلى ما لدينا من معطيات يتضح أن نشاط الأمير فؤاد في سبيل الفوز بالعرش الألباني قد بدأ في وقت مبكر، أي قبل الإعلان عن استقلال ألبانيا في ٢٨/١١/١٩١٢، وحظيَ بتأييد متعدد من ألبان مصر ومن بعض الشخصيات والجهات في ألبانيا وبعض الأوساط الأوروبية (وخصوصًا إيطاليا) وحتى من الرأي العام المصري كما عكسته الصحافة آنذاك.

الأمير فؤاد حتى ترشيحه لعرش ألبانيا

ولد الأمير فؤاد للخديوي إسماعيل، حفيد محمد علي باشا، في ٢٦ آذار/مارس ١٨، والتحق فور بلوغه السابعة بمدرسة القصر ولكن بعد عزل والده في حزيران/ يونيو ١٨٧٩ وذهابه إلى إيطاليا للإقامة هناك التحق به فؤاد، حيث تابع دراسته في تورينو بناء على نصيحة ملك إيطاليا إمبرتو الأول (١٨٧٨-١٩٠٠). وبعد إكماله الدراسة في المدرسة الملكية التحق بالأكاديمية العسكرية في تورينو وتخرج فيها ضابطا برتبة ملازم عام ١٨٨٨ وانضمّ إلى الجيش الإيطالي ليخدم فيه عامين ثم انضمّ للخدمة في البلاط الملكي الإيطالي. وبعد انتقال والده للإقامة النهائية في إستانبول في بداية ١٨٩٠ عيّنه السلطان العثماني ياورا له في البلاط السلطاني، ثم انتدب ليكون ملحقًا عسكريًّا في السفارة العثمانية بفيينا. ومن هنا ستكون هذه الصلة المبكرة له مع روما وفيينا، اللتيْن كان لهما الإسهام الأكبر في خلق الدولة الألبانية المستقلة، ذات شأن بالنسبة إلى ترشيحه لعرش ألبانيا فيما بعد.وفي خريف ١٨٩٠ استدعاه الخديوي عباس الثاني إلى مصر حيث منحه رتبة فريق وعيّنه ياورا له ثم كبير الياوران[390].

ولكن الأمير فؤاد، الذي جمع بين الثقافتين الشرقية والغربية، بدأ يبرز في السنوات الأولى للقرن العشرين في مجال جديد (التعليم والثقافة). وفي هذا السياق ارتبط اسمه بأهم حدث في هذا المجال ألا وهو تأسيس الجامعة المصرية الأهلية الأولى التي سُمّيت باسمه لاحقا (جامعة القاهرة اليوم).وكان الفكرة قد تبلورت مع الذكرى المئوية لوصول محمد علي إلى الحكم (١٩٠٥) وبدأ التبرع لها في ذاك العام، على حين أنه تشكلت لجنة تحضيرية في ١٩٠٦

وتمّ في نهاية ١٩٠٧ تعيين الأمير فؤاد رئيسا للجامعة، وهو مالقيَ ارتياحًا عامًّا لما عُرف عنه من اهتمامه بالمشاريع العلمية والثقافية مما كان يضمن نجاح الجامعة الجديدة[391].

وفي هذا السياق قرّر الأمير فؤاد أن تشتمل الجامعة في البداية على تدريس تاريخ المدنية وتاريخ العلوم والفلسفة والتشريح والطب، وتم افتتاحها رسميًّا في ٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٠٨ باعتبارها جامعة وطنية. ومع تزايد الاهتمام بالجامعة قرر الأمير فؤاد في ١٩١٠ إنشاء كلية للآداب وقسم للعلوم الاجتماعية والاقتصادية. وخلال ١٩٠٩-١٩١١ قام الأمير فؤاد بجولة في أوربا التقى فيها بعض رؤساء الوزراء والوزراء لطلب الدعم للمكتبة والمخابر في الجامعة الجديدة. وقد وعده رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو بإهداء الجامعة كل منشورات الحكومة الفرنسية، كما وعده وزير خارجية ألمانيا بإهداء الجامعة مجموعة من الكتب الحديثة وحصل على مجموعات قيمة من الكتب من فيينا ولندن، بينما قدّم ملك إيطاليا عمانوئيل الثالث بعض الآلات الكهربائية كانت النواة لقسم العلوم الطبيعية[392]. ولاشك في أن هذه الجولة الأوربية للأمير فؤاد وثقت علاقاته مع حكام وحكومات أوربا وخدمت ترشيحه خلال ١٩١٢-١٩١٣ لعرش ألبانيا. وكان الأمير قد استقال من رئاسة الجامعة في أيار ١٩١٣ ليتفرغ لموضوع عرش ألبانيا الذي كان من أقوى المرشحين له[393].

ترشيح الأمير فؤاد لعرش ألبانيا

بعد اندلاع حرب البلقان التي شنتها دول التحالف البلقاني (صربيا والجبل الأسود وبلغاريا واليونان) ضد الدولة العثمانية في بداية تشرين الأول ١وتوغل جيوش هذه الدول في الولايات ذات الغالبية الألبانية (أشقودرة ومناستير وقوصوة ويانينا) وظهور المواقف المختلفة للدول البلقانية والأوروبية حول مستقبل المنطقة أخذ الألبان على حين غرة بتطور الأوضاع وظهرت بينهم مبادرات مختلفة لاغتنام هذه الفرصة التاريخية. وفي هذا السياق كانت الدعاية للأمير أحمد فؤاد قد أخذت في الانتشار مبكرا بين الألبان أنفسهم؛ حيث أفادت الصحافة المصرية في ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٢ عن مطالبة «عدد كبير من الألبان الأمير فؤاد أن يتولى مهمة الدفاع عن وطنهم لمنع دول البلقان من اقتسامها مقابل تعيينه أميرا عليها نظرا لانتسابه إلى أسرة محمد علي الألباني الأصل[394].

وإلى جانب الألبان في بلادهم فقد كان لألبان مصر أيضا، الذين كان لهم دورهم المهم في النهضة القومية الألبانية، موقفهم المؤيد له. فبالاستناد إلى تقرير السفير النمساوي في روما الهرسك فون أفارنا V.Avarna إلى وزير الخارجية برشتولد بتاريخ ١٤ كانون الأول ١٩١٢،يرد أن الجالية الألبانية في مصر تود ترشيح الأمير فؤاد ليكون أميرا على ألبانيا لقطع الطريق على ترشيح إسماعيل كماليI.Qemali لذلك[395].وقد وجدنا مؤخرا في الأرشيف المركزي للدولة في تيرانا رسالة موجهة من رئاسة الجمعية الألبانية «الاتحاد» التي كان مقرّها

الإسكندرية إلى الأمير فؤاد في أواخر ١٩١٢، تطالبه فيها بالدفاع عن ألبانيا أمام أطماع الدول المجاورة. ويلاحظ في هذه المذكرة، التي تنشر هنا لأول مرة، أنها تنطلق من كونه حفيد محمد علي باشا الذي لايزال يجري في عروقه «الدم الألباني الصافي»، وتنتهي إلى تفويض الأمير بأن يتحدث باسم مصلحة ألبانيا وأن يدافع عن حدودها أمام أطماع الدول المجاورة[(396)].

ويبدو أن هذا شجّع الأمير على القيام بزيارة لبعض الدول الأوربية المعنية بالبلقان والخريطة الجديدة بعد حرب البلقان، وفي مقدمتها إيطاليا والنمسا؛ حيث نقلت «الجريدة» مايفيد نجاح زيارته بالاستناد إلى صحافة تلك الدول[(397)]. ففي أثناء زيارته لروما نقلت صحيفة «الطان» الفرنسية عن الصحافة الإيطالية أن الأمير فؤاد أصبح في مقدمة المرشحين لكرسي الإمارة الألبانية الجديدة، وأنه ينوي الدخول إليها على رأس قوة من عشرين ألفا من أبنائها الثائرين على حكومتهم لإعلان استقلالها[(398)]. وبعد لقاء الأمير فؤاد وزير خارجية النمسا والمجر نقلت الصحف المصرية عن الصحف النمساوية أن الأمير أعرب عن سروره لمنح ألبانيا الاستقلال الذاتي، كما ذكر خلال لقائه الوزير أنه إذا عرض عليه عرش ألبانيا «فسوف يكون سعيدا بأن يخدم وطنه بأمانة وإخلاص»[(399)].

وبعد زيارة إيطاليا والنمسا، اللتيْن كان لهما موقف إيجابي أكثر من استقلال ألبانيا وترشيحه للعرش، قام الأمير فؤاد بزيارة فرنسا للحصول على دعمها أيضا بشأن ترشيحه لعرش ألبانيا[(400)]. ويبدو أن انتشار الأخبار عن تأييد هذه الدول لترشيح الأمير فؤاد أدى إلى ازدياد التأييد له بين الألبان، بل إن بعض الألبان نادى به أميرا في بعض الجهات[(401)].

وفي هذا السياق فقد بدأت الدعاية للأمير فؤاد من شخصيات ألبانية قادمة من إيطاليا أو لها علاقة بإيطاليا. فقد كتب نائب القنصل النمساوي رودناي Rudnay في دورس Durrës بتاريخ ١١ حزيران/ يونيو ١٩١٣ عن وصول شخصيتين ألبانيتين (غاسبر ياكوفا G.Jakova وشعبان بك غيغا Sh.Gega) مع شخص فرنسي من تريستا للقيام بالدعاية للأمير فؤاد[(402)]. وبعد ذلك لدينا تقرير آخر من نائب القنصل النمساوي في فلورا Vlora بتاريخ ٨ أيلول/ سبتمبر ١٩١٣ يخبر فيه عن لقائه بإسماعيل كمالي الذي أخبره أن الدعاية الجارية في ألبانيا للأمير فؤاد يقوم بها شخص إيطالي اسمه بانديلي Pandeli الذي يتخذمن برنديزي مقرًّا له ويأتي منها إلى فلورا و دورس وشكودرا Shkodra [(403)].

وبالاستناد إلى المصادر النمساوية فقد كانت المعارضة لإسماعيل كمالي تتمثل في شخصيات ألبانية معروفة مثل مهدي بك فراشري M.Frashëri، ومنيب بك ابن وزير الحربية محمد باشا، و جون غودا J.Goda من كورتشا Korça، والناشر المعروف فائق بك كونيتسا F.Konica الموجود آنذاك في شكودرا وأحمد بك جاكوفا A.Gjakova. ومن المثير أنه من بين تلك الشخصيات المعارضة لإسماعيل كمالي يرد اسم الدكتور فويلا Dr.Vojla من ألبان مصر الذي كان آنذاك في تيرانا[(404)].

ومن ناحية أخرى تكشف المصادر النمساوية عن أن الدولة العثمانية أيضا كانت

تؤيد ترشيح الأمير فؤاد لعرش آلبانيا، وآخذت تقوم بدعاية كبيرة في آلبانيا لصالحه. ومن بين الشخصيات الألبانية الناشطة لتأييد ترشيح الأمير فؤاد، حسب المصادر النمساوية نفسها، كان الشيخ قدري خوجا K.Hoxha في عاصمة الشمال شكودرا Shkodra [405].

ويلاحظ هنا أنه مع تغطية الصحافة المصرية لهذا الموضوع ظهرت هناك مواقف مصرية أيضا. فقد ذهبت جريدة «المؤيد» إلى أنه أفضل المرشحين لعرش ألبانيا لأنه حفيد محمد علي الذي ينتمي إلى العنصر الألباني، ولذلك فهو أقرب إلى العرش من جميع المرشحين الأوروبيين الذين لاتجمعهم جامعة نسب أو دين مع الألبان[406]. أما «الجريدة» فقد ذهبت إلى أن ترشيح الأمير فؤاد يُعدّ مجدًا للمصريين لأن أوروبا وضعت العائلة الخديوية المصرية بهذا التعيين في مصاف العائلات الملكية في الدول الأوروبية، كما أنه سيؤدي إلى توطيد علاقات مصر بألبانيا[407].

ولكن الصحافة المصرية كشفت في مطلع ١٩١٣ عن معارضة روسيا لمنح ألبانيا الاستقلال وتعيين الأمير فؤاد عليه، وهو ما أدى ـ حسب رأيها ـ إلى فشل مساعي الأمير في الوصول إلى عرش ألبانيا[408]. إلا أن الحقيقة لم تكن كذلك لأنّ ترشيح الأمير فؤاد لم تعارضه روسيا فقط، كما أن حظوظه بقيت قوية حتى تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٣. ومن ناحية أخرى فقد ذهب ألبان مصر خطوة أخرى في ١٩١٣ عندما وجهوا بالألبانية مناشدة للأمير فؤاد لكي يتولى أمر ألبانيا ويضع حدًّا لمآسيها[409].

ولكن إسماعيل كمالي I.Qemali رئيس الحكومة الألبانية المؤقتة التي لم تحظَ باعتراف دولي، بقيَ يعارض الشخصيات الألبانية المعروفة التي تميل إلى ترشيح الأمير فؤاد. فقد كتب في مذكراته عن أن الخيار لم يكن حول نوع الشخص المرشح بل حول انتمائه:أمير مسلم، أم أمير أوروبي؟ ويعترف كمالي أنه كان يؤيد بشكل علني الخيار الأول (أميرًا أوربيًّا) ولكنه كان يبالغ بالقول إن موقفه هذا «كان يحظى بتأييد كل الألبان وكل الأوساط السياسية التي تؤخذ بعين الاعتبار»؛ لأنه «يمكن فقط للأمير الأوربي أن يقودنا إلى الأسرة الأوروبية الكبيرة»[410]. ويضيف كمالي في مذكراته أنه بعد عودته من جولته الأوروبية، التي كان لها علاقة بموضوع العرش الألباني، في حزيران ١٩١٣، رأى أن مستقبل ألبانيا سيبقى مظلما إذا لم يحسم موضوع ترشيح الأمير المناسب للعرش الألباني، ولذلك كتب في مطلع تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٣ إلى الدول الأوروبية صاحبة الولاية على ألبانيا يطالبها بتسريع اختيار أمير لعرش ألبانيا «الذي يكفي بوجوده أن يوحّد طبقات الشعب في عمله لتقوية ألبانيا وتنظيم الإدارة»[411]. ويعلّق هنا كمالي أنه بمجرد أن أرسل هذا الكتاب إلى الدول الأوروبية بدأت التسريبات في الصحف حول اسم النبيل الألماني فلهلم فون فيد.

ولكن مايقوله رئيس الحكومة الألبانية المؤقتة إسماعيل كمالي في مذكـراته

لايعبّر عن الواقع بدليل ما نشرته جريدة «ترابوشي» Traboshi المعروفة التي تصدر في شكودرا على كلّ صفحتها الأولى مع صورة كبيرة للأمير فؤاد في عددها الصادر في ١٣ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٣، وهو ماله دلالته.فالمقال المطوّل يعبّر منذ السطور الأولى عن تأييد حاسم للأمير فؤاد باعتباره يرمز إلى «الاتحاد والأخوة وتقدم الأمة»، ويؤكد أنه من الأحسن للألبان أن يبادروا ويختاروا بأنفسهم «من أن ننتظر أوربا أن تقوم باختيار من تريده». وبالاستناد إلى ذلك يرى المقال أن الأمير فؤاد يمكن أن ينقذ ألبانيا للأسباب التالية:

١ ـ ألبانيا تحتاج إلى شخص يتمتع بيد حديدية ولايكفي أن يكون لألبانيا أمير بروتستانتي أو نبيل أوروبي؛ لأنه لايمكن للبروتستانتي أو الأصل الأوربي أن ينقذ أيٌّ منهما ألبانيا من «الظلام الذي نحن فيه منذ خمسة قرون».

٢ ـ إذا كان من الصحيح أن ثلثي الشعب الألباني من المسلمين وجبَ أن يؤخذ بعين الاعتبار موقف الأغلبية.

٣ ـ إن كون الأمير فؤاد مسلم تربى على الأفكار والمدنية الأوربية يمكن أن يجعله مقبولا من الألبان وخصوصا من المسيحيين.

ومن ناحية أخرى، يتوجّه المقال بنوع من التحدي إلى النبيل الألماني فون فيد،الذي يبدو أن اسمه كما قال إسماعيل كمالي أخذ في البروز، مطالبا إياه أن يكشف عن القيم التي تميزه عن الأمير فؤاد أو تجعله مساويا له[(412)].

وفي هذا السياق لدينا في مذكرات عبد الرحمن عزام (١٨٩٣-١٩٧٦)،الذي زار ألبانيا في صيف ١٩١٣، رواية مثيرة عن دوره في ترشيح الأمير فؤاد تؤخذ بتحفظ. وكان عزام قد ذهب إلى لندن في ١٩١٢ لدراسة الطب في كلية سان توماس، وخلال وجوده في السنة الأولى اندلعت حرب البلقان في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٢ التي حظيت بتغطية واسعة في الصحف البريطانية شملت المجازر التي ترتكب ضد المسلمين هناك[(413)]، وهو ما حرّضه بعد انتهاء الامتحانات على الذهاب إلى البلقان في حزيران/ يونيو ١٩١٣ للتطوع في الجيش العثماني والدفاع عن المسلمين هناك كما يقول، مع أن رسالته إلى الأمير فؤاد المنشورة في الملحق توحي بأنه كان هناك لغرض آخر. ومع انتقاله من تسيتينه Cetinje عاصمة الجبل الأسود إلى شكودرا Shkodra عاصمة ألبانيا الشمالية الذي تصادف في شهر رمضان، انغمس بسرعة في عالم الألبان الذين رحبوا به كثيرا باعتباره عربيًّا من مصر التي تربطها علاقة خاصة مع ألبانيا مع وجود أسرة محمد علي في الحكم هناك[(414)]. وفي شكودرا أسَرَه الشيخ الحافظ عبد الله بحديثه في العربية عن حبّه لمصر والأسرة الملكية في مصر، وكشف له أن الألبان ينحدرون من أصل عربي يعود إلى الغساسنة[(415)].

ومن شكودرا انتقل عزام إلى تيرانا التي كانت تحت سيطرة قوات أسعد توبتاني E.Toptani النائب السابق في البرلمان العثماني ووزير الداخلية في الحكومة الألبانية المؤقتة التي أعقبت إعلان الاستقلال في ٢٨/١١/١٩١٢. وقد فتح له اللقاء مع توبتاني ومفتي تيرانا أبواب أعيان المدينة وهو لم يتجاوز

العشرين من عمره. وكما يورد في مذكراته فقد «جاءت مناسبات كثيرة في مجلس أعيان المدينة ذُكر فيها مرشحون لعرش ألبانيا، وذُكر فيها اسم البرنس فؤاد من بينهم فأطرب للفرصة التي قد تتاح لأمير مصري أن يتولى عرش هذه المملكة الجديدة، فصرتُ داعيا إليها من دون أن يكون لي سابقة علم عند دخولي بلاد البلقان»[416].

ومع عودته إلى لندن لمتابعة دراسته حمل معه «أمانة في عنقه» من «زعماء» ألبانيا حيث «كانت رغبة هؤلاء الزعماء كما سمعتها منهم وكما طلبوا مني إبلاغها إلى العالم الإسلامي هي أن يكون لهم أمير مسلم يجلس على عرش البلاد، وقالوا لي إنها أمانة في عنقي»[417]. ومع أنه تعرّف أولا على اللورد هيدليHeadley الذي أعلن إسلامه في ١٩١٣ وعرف اهتمامه بعرش ألبانيا فتبادل «مع زعماء الألبان في الجبال» يعرض عليهم اسمه كمرشح للعرش،إلا أن «الأمانة» التي حمّلها له «زعماء» ألبانيا سيطرت عليه بعدما سمع أن الأمير فؤاد جاء في زيارة إلى لندن فطلب مقابلته فورا. ولكن عندما ذهب لمقابلته وجد أحد رجال الحاشية ينتظره ليسمع منه ما يريده فحدّثه بحماس عن زيارته لألبانيا وعن «أن الشعب الألباني يرحب بأن يتولى عرش ألبانيا ملك من أسرة محمد علي»، واقترح «أن يذهب الأمير إلى ألبانيا مباشرة وهناك يمكن تجميع الشعب الألباني حوله والمناداة به ملكا على ألبانيا». وبعد أن أوصل أحد رجال الحاشية مضمون هذا الحديث إلى الأمير فؤاد شكره على إخلاصه وحدد له موعدا آخرَ للقائه، ولكن فوجئ عزام عندما ذهب في الموعد المحدد أن الأمير فؤاد قد غادر لندن فجأة[418]. ويبدو أن زيارة الأمير فؤاد إلى لندن كانت للحصول على تأييد بريطانيا له للفوز بترشيحه للعرش الألباني، نظرا إلى أن بريطانيا لم تكن قد «اتخذت أي قرار في أمر هذا الترشيح» كما يقول عزام في مذكراته[419].

وعلى الرغم من التأييد الذي حظيَ به الأمير فؤاد في ألبانيا وأوربا فقد قررت الدول الأوربية صاحبة الولاية على ألبانيا في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٣ تنصيب النبيل الألماني فون فيد أميرا على ألبانيا في الوقت الذي كان المجتمع الألباني مهيئا لاستقبال أمير مسلم[420]. وقد وصل الأمير فيد في ٧ آذار/مارس ١ إلى ميناء دورس الذي قرّر اتخاذه عاصمة لألبانيا وشكّل حكومة ألبانية في ١٧ آذار/مارس برئاسة طُرخان باشا السفير العثماني السابق في بطرسبرغ. ولكن وصول الأمير فيد إلى دورس واتخاذها عاصمة للبلاد أجّج الحركة المطالبة بأمير مسلم وحوّلها إلى حركة مسلحة بقيادة مفتي تيرانا الشيخ موسى كاظمي M.Qazimi والحاج كامل[421]Haxhi Qamili.

وقد تمكّنت قوات هذه الحركة المسلحة من السيطرة على معظم ألبانيا خـلال صيف ١٩١٤ وحاصرت دورس نفسها التي اتخذها الأمير فيد عاصمة لألبانيا. وفي هذه الظروف طالب الأمير فيد الدول الأوربية صاحبة الولاية على ألبانيا أن ترسل له قوة عسكرية للمساعدة، ولكن الحرب العالمية الأولى كانت قد اندلعت؛ مما اضطر الأمير فيد في ٣ أيلول/ سبتمبر ١٩١٤ للعودة إلى بلاده دون رجعة[422].

أما فيما يتعلق بالأمير فؤاد فقد خدمته ظروف الحرب ليصبح سلطانا على مصر تحت الحماية البريطانية في ١٩١٧ وملكا عليها بعد إعلان الاستقلال في ١٩٢٢.

فمع دخول بريطانيا الحرب ضد ألمانيا في ٤ آب ١٩١٤ تغيّر الوضع في مصر التي كانت شكليًّا تحت السيادة العثمانية، وفعليًّا تحت السيطرة البريطانية منذ ١٨٨١. فقد منعت لندن الخديوي عباس، الذي كان في زيارة إلى إستانبول، من العودة إلى مصر بسبب ميوله العثمانية، وتعهدت لإستانبول بالحفاظ على الوضع القائم إذا بقيت الدولة العثمانية على الحياد. ولكن مع دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤ أعلن الجنرال ماكسويل القائد العام للقوات البريطانية في مصر عن اندلاع الحرب مع الدولة العثمانية وبيّن أن بريطانيا تحارب لأجل «الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التي كسبها محمد علي في ميدان القتال»[(423)].

ولكن المشكلة كانت من يتولى الآن الحكم في مصر من أسرة محمد علي بعد منع الخديوي الأخير عباس من العودة إلى مصر. وبعد مشاورات رأت لندن أن تعرض العرش على الأمير حسين كامل لما كان يتمتع به من شعبية بين المصريين. ولكن الأمير حسين كامل اشترط أن يكون الحكم بلقب سلطان وأن يكون وراثيًّا في أسرة محمد علي وأن تتمتع مصر باستقلال ذاتي كتعويض عن فصلها عن الدولة العثمانية. وهكذا أصدرت لندن في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١ قرارا بإعلان الحماية البريطانية على مصر، وأصدرت في اليوم التالي (١٩ كانون الأول/ ديسمبر) قرارا بخلع الخديوي عباس وتنصيب الأمير حسين كامل سلطانا على مصر[(424)].

ولم تمضِ عدة شهور حتى أصيب السلطان حسين كامل بالمرض، وأثار ذلك مشكلة بسبب اعتذار ابنه كمال الدين حسين عن قبول عرش مصر بسبب علاقة حب ربطته مع فرنسية[(425)]، ولذلك اتخذ القرار في لندن باختيار الأمير فؤاد وريثا للعرش على الرغم من اعتراض السلطان المريض.وهكذا بعد وفاة السلطان حسين كامل في ٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٧ أعلن في اليوم التالي (١٠ تشرين الأول/ أكتوبر) الأمير فؤاد سلطانا على مصر الذي تغيّر معه نظام الوراثة ليكون في أولاده وأحفاده من بعده[(426)].

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى نشطت الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال التي شارك فيها أمراء الأسرة العلوية مثل عمر طوسون وغيره، التي وصلت إلى ذروتها في ثورة ١٩١٩ التي أرغمت بريطانيا على التفاوض مع زعماء الحركة الوطنية ثم إعلان استقلال مصر المشروط في تصريح ٢٨ شباط ١٩٢٢ [(427)]. وبالاستناد إلى ذلك أعلن السلطان فؤاد استقلال مصر في ١٥ آذار/ مارس ١ واتخذ لقب «ملك مصر»، بينما وضعت لجنة وطنية الدستور الجديد لمصر الذي أعلن في ١٩ نيسان ١٩٢٣ وجرت بالاستناد إلى ذلك أول انتخابات برلمانية في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٢٣ تمخّضت عن فوز حزب الوفد وتأليف أول حكومة وطنية برئاسة زعيم الحزب سعد زغلول التي واجهت أوتوقراطية الملك

الجديد[428].



الأمير فؤاد في شبابه



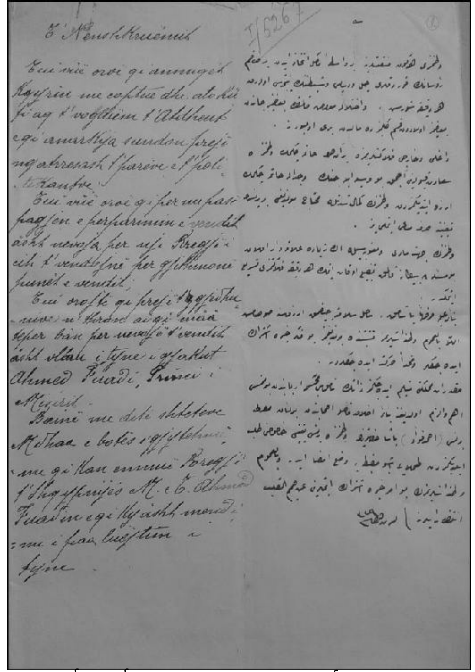
Tarabosh

FLETORE E PERDITËSHME - QUOTIDIANO POLITICO

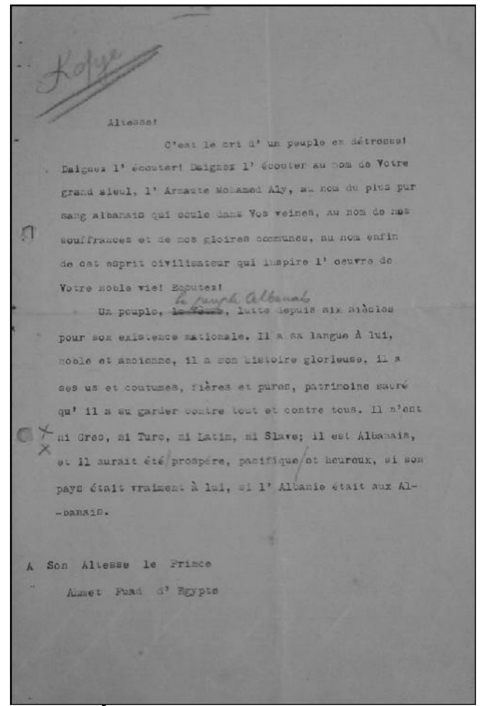
1 Met. copa

Princi Fuad - Il Principe Fuad

الأمير فؤاد مرشح قوي للعرش الألباني في الصحافة الألبانية
(جريدة» تارابوشي»، شكودرا ١٣/١٠/١٩١٣)



مناشدة ألبان مصر للأمير فؤاد لتولي أمر ألبانيا في ١٩١٣



Kopje

Altesse!

C'est le cri d' un peuple en détresse! Daignez l' écouter! Daignez l' écouter au nom de Votre grand aieul, l' Arnaute Mohamed Aly, au nom du plus pur sang albanais qui coule dans Vos veines, au nom de nos souffrances et de nos gloires communes, au nom enfin de cet esprit civilisateur qui inspire l' oeuvre de Votre noble vie! Ecoutez!

Un peuple, ~~le~~ le peuple Albanais, lutte depuis six siècles pour son existence nationale. Il a sa langue à lui, noble et ancienne, il a son histoire glorieuse, il a ses us et coutumes, fières et pures, patrimoine sacré qu' il a su garder contre tout et contre tous. Il n'est ni Grec, ni Turc, ni Latin, ni Slave; il est Albanais, et il aurait été prospère, pacifique et heureux, si son pays était vraiment à lui, si l' Albanie était aux Al-banais.

A Son Altesse le Prince
Ahmet Fuad d' Egypte

الصفحة الأولى من مسودة النداء الموجه من الجمعية الألبانية «الاتحاد» إلى الأمير فؤاد في ١٩١٢ لحماية ألبانيا من مطامع جيرانها الأعداء

(382) للمزيد عن رابطة بريزرن ودورها في التاريخ الألباني انظر:
أنتوني سوريال عبد السيد، الرابطة القومية الألبانية أو «رابطة بريزرن الألبانية» ١٨٧٨-١٨٨١، القاهرة (دار الثقافة) ١٩٨٦.

(383) عبدل فراشري (١٨٣٩-١٨٩٢)؛ أحد ثلاثة إخوة لعبوا دورًا مهمًّا في النهضة القومية الألبانية ١٨-١٩١٢. كان عضوا في أول برلمان عثماني ١٨٧٦-١٨٧٧، وانتخب في نهاية ١٨٧٧ رئيسا «للجنة المركزية للدفاع عن الحقوق الألبانية» (لجنة إستانبول)، التي تعتبر الملهمة والمنظمة لـ«رابطة بريزرن» ١٨٧-١٨٨١ والتي تحولت إلى حركة مسلحة تطالب بالحكم الذاتي للألبان ضمن الدولة العثمانية. وقد حكم عليه بالإعدام ولكن بعد عدة سنوات من السجن أطلق سراحه في ١٨٨٦ بسبب وضعه الصحي.

(384) فرانسيـسكو كريـسبي (١٨١٨-١٩٠١)؛ كان رئيسا للوزراء خلال ١٨٨٧-١٨٩١ و١٨٩٣-١٨٩٦. وكان أول رئيس وزراء من جنوب إيطاليا حيث يتمركز الألبان الذين غادروا بلادهم نتيجة للفتح العثماني في القرن الخامس عشر ولا يزالون يمثلون أقلية متماسكة بثقافتها.

(385) كانت إستانبول باعتبارها عاصمة الدولة العثمانية تجمع نخبة من المثقفين الألبانيين (حسن تحسين رئيس أول جامعة في إستانبول، و باشكو فاسا متصرف جبل لبنان، وشمس الدين سامي صاحب موسوعة «الأعلام» وغيرهم) الذين بادروا في نهاية ١٨٧٧ إلى تأسيس «الجمعية المركزية للدفاع عن الحقوق الألبانية» التي كانت تنشر الكتب وترسل المذكرات إلى السفارات للمطالبة بالحكم الذاتي للألبان أسوة بالشعوب الأخرى في البلقان.

(386) Stavro Skendi, The Albanian National Awakening, 1878 - 1912, New Jersey (Princeton) 1967, pp. 317 - 318.

(387) Ibid.

(388) انظر سير هؤلاء لدى:

Peter Bartl, Shqipëria nga mesjeta deri sot, përktheu Shkumbin Brestovci, Tiranë (Drita) 1999, p. 131 - 134.

بالإضافة إلى هؤلاء ينفرد عبد الرحمن عزام في مذكراته بذكر مرشح آخر ألا وهو اللورد هيردلي Heardley الذي اعتنق الإسلام؛ حيث قابله في لندن في خريف ١٩١٣ بعد عودته من ألبانيا بناء على توصية من سيدة إنجليزية قالت له: «إن تربّع اللورد الإنجليزي على عرش ألبانيا هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق أمنية شعب ألبانيا في تحقيق استقلاله وأن يصبح له ملك مسلم»:

جميل عارف، صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام، الجزء الأول، القاهرة (المكتب المصري الحديث) ١٩٧٧، ص ٦٦.

(389) Skendi, The Albanian National Awakening, pp. 317 - 318.

(390) Bartl, Shqiëria, p. 134.

(391) زكي فهمي، صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال العصر، القاهرة ١٩٢٦، ص١٤-١٥؛ إسماعيل صدقي باشا، مذكراتي، تقديم عبد الخالق لاشين، القاهرة (دار الكتب والوثائق القومية) ٢٠١٢، ص ١٥.

(392) عباس حلمي الثاني، عهدي – مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير ١٨٩٢-١٩١٤، ترجمة جلال يحيى، القاهرة (دار الشروق) ١٩٩٣، ص ١٥٣-١٦٢ ;رؤوف عباس حامد، تاريخ جامعة القاهرة، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٤، ص ٤٩-٥٠; رزق، فؤاد الأول، ص ٢١.

Donald Malcolm Reid, Cairo University and the Making of Modern Egypt, Cambridge (Cambridge University Press 2002, pp. 61 - 62

(393) ينقل د. رزق ذلك عن تقرير للمندوب السامي البريطاني لشخصية الأمير فؤاد: رزق، فؤاد الأول، ص ٢٨-٢٩.

وفيما يتعلق بترشيح الأمير فؤاد لعرش ألبانيا يكتفي د. رزق في كتابه المهم «فؤاد الأول المعلوم والمجهول» بالقول: «إننا لم نعثر في الوثائق على ما يشير بصحة هذه الحادثة»، واكتفى بذكر ما أورده عبد الرحمن عزام في مذكراته عن ذاك: رزق، فؤاد الأول، ص ٢٥.

(394) الجريدة، القاهرة ١٣ نوفمبر ١٩١٢.

(395) Eqrem Zenelaj, Diplomacia e Ismail Kemal bej Vlorës, rivalitetiet e brendshme në Shqipëri dhe rruga e Pavarësisë 1912 - 1913, Prishtinë (Vatra) 2013, f. 488.

(396 **.Arkivi Qendror i Shtetit, Fondi «Shoqëritë shqiptare në Egjipt», dosja 42**
رزق، فؤاد الأول، ص ٢٠ ـ ٢١.
(397) الجريدة، القاهرة ٢٦ نوفمبر ١٩١٢; المقتبس، القاهرة ١ ديسمبر ١٩١٢.
(398) أحمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن،ج ٢ القسم الثاني، القاهرة ١٩٣٦، ص٢٩١.
(399) الوطن، القاهرة ١٢ ديسمبر ١٩١٢.
(400) الوطن، القاهرة ١٣ ديسمبر ١٩١٢.
(401) الجريدة، القاهرة ١ديسمبر ١٩١٢.
(402 **.Zenelaj, poaty, f. 488**
(403 **.Ibid., p. 489**
(404 **.Ibid**
(405 **.Ibid**
(406) المؤيد، القاهرة، ١٣ مايو١٩١٣.
(407) الجريدة، القاهرة ٣ ديسمبر ١٩١٣.
(408) الأهالي، القاهرة ٣ يناير ١٩١٣.
(409 **.Arkivi Qendror i Shtetit, Fondi “Shoqëritë shqiptare në Egjipt”, dosja 47**
(410 **.Ismail Qemal Vlora, Kujtimet, përktheu Reshad Agai, Toronto 1968, p. 264**
(411 **.Ibid, P. 268**
(412 **.Princi Fuad-Il Principe Fuad, Taraboshi, Shkoder 13.10.1913, p.1**
(413) وفي مصر حظيت حرب البلقان باهتمام كبير سواء في الصحف المصرية أو في الكتب التي صدرت خلال الحرب:
توفيق طنوس، تاريخ الحرب البلقانية ١٩١٢-١٩١٣ (طبعة خاصة بمناسبة الذكرى المئوية)، بيروت (جداول) ٢٠١٣.
(414) رالف خوري، عزام باشا مصري اعتنق القومية العربية- سنوات التكوين المبكرة ١٨٩٣-١٩٣٦، ترجمة معين الإمام، دمشق (دار المدى) ٢٠٠٦، ص ٨٠-٩٠.
وتجدر الإشارة إلى أن د. خوري اعتمد على النسخة الإنكليزية من مذكرات عزام التي قدمها له شخصيًّا في بيروت مع النسخة العربية التي تختلف عن الأولى. ولذلك جرى هنا الاعتماد مرة على النسخة الإنكليزية ومرة على النسخة العربية.
(415) خوري، عزام باشا، ص ٩٠.
(416) المرجع السابق، ٩١.
(417) عارف، صفحات من المذكرات السرية، ص ٦٤.
(418) المصدر السابق، ص ٦٧-٦٩.
(419) المصدر السابق، ص ٦٧.
(420 **.Grup autorësh, Historia e popullit shqiptar, vol.2, Prishtinë 1979, p. 398**
(421) خلال الحكم الشيوعي ١٩٤٥-١٩٩٠ كانت هذه الحركة المسلحة التي استمرت حتى ١٩١٥تُعتبر «انتفاضة فلاحية» ضد كبار ملاك الأراضي نظرا إلى أن أحد قادتها كان والد الشخص الثاني في السلطة محمد شيخو، ولكن مذكرات زعماء البلاد في ذلك الحين ومؤلفات ما بعد ١٩٩٠ كانت تعتبرها «متمردة» على السلطة أو «رجعية» لكونها طالبت بإعادة الصلة مع السلطنة العثمانية:
GazmendShpuza, Kryengritjafshatare e Shqipërisë së mesme 1914 - 1915, Tiranë 1986; Eqrembej Vlora, Kujtime, .vol.2,Tiranë (Shtëpia e librit) 2001, p. 101
(422 **.Myzyri, Historia e Shqipërisë, pp. 181 - 184**
(423) المؤيد، القاهرة ٨ نوفمبر ١٩١٤.
(424) أمل محمد فهمي، أمراء الأسرة المالكة ودورهم في الحياة المصرية ١٨٨٢-١٩٢٨،القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٠٠٦، ص ٥٨.
(425) بقيَ هذا السبب سرًّا إلى عام ١٩٣٢ حين كشف عن زواجه بفرنسية وإنجاب ولد منها، ولذلك حين شعر بالمرض أصرّ على السفر إلى فرنسا حيث توفيَ هناك: www.archivegypt.com.
(426) كان الأمير فؤاد قد اشترط لقبول العرش تعديل صيغة الخطاب الموجه إليه من المندوب السامي

بحيث ينصّ على أن العرش عُرض عليه بحكم الوراثة وليس كما جاء في الأصل نتيجة لوقوع اختيار الحكومة البريطانية عليه، كما أبدى رغبته في أن يشتمل الأمر الصادر منه إلى رئيس الوزراء على عبارة تدل على رغبته في توسيع الحكم الذاتي. وقد سلّمت له السلطات البريطانية بالمطلب الأول وأبت عليه الثاني:

رزق، فؤاد الأول، ص٣٤.

(427) المقطم، القاهرة ١٠ أكتوبر ١٩١٧ ; لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص٦٥-٧٠.

(428) للمزيد عن عهد الأمير فؤاد ١٩٢٣-١٩٣٦ انظر: رزق، فؤاد الأول، ص ٧٨-٨٧.

الفصل العاشر

التكية البكتاشية في القاهرة
كرمز للحضور الألباني الجديد في مصر

مع أن للطريقة البكتاشية جذورًا في مصر تعود إلى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، أي إلى بدايات هذه الطريقة التي يرتبط وصولها إلى مصر بالشخصية شبه الأسطورية قيغوسز سلطان الذي عُرف هنا باسم عبد الله المغاوري، إلا أن هذه الطريقة عرفت انبعاثًا جديدًا بطابع ألباني نتيجة للظروف الجديدة (وجود سلالة محمد علي ووجود جالية ألبانية متنامية الحجم والدور). وقد تمثل هذا الانبعاث في بناء تكية جديدة في سفح جبل المقطم (تكية عبد الله المغاوري) لعبت دورًا مهمًّا في الربط ما بين السلالة الحاكمة/ الجالية الألبانية الجديدة والمجتمع المحلي، وكذلك فيما يتعلق بدورها في الربط ما بين مصر والعالم البكتاشي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن البكتاشية هي طريقة تجمع بين التصوف القائم على وحدة الوجود مع الانفتاح على الديانات الأخرى والتشيّع اللاحق الذي أصبح يميّزها. وتُنسب هذه الطريقة إلى الولي بكتاش الذي عاش في القرن الثالث عشر، وكان من تلاميذ الشيخ أحمد اليسوي (مؤسس الطريقة اليسوية)، وأصبح لاحقًا من شيوخ الطريقة الحيدرية التي فرّخت بدورها الطريقة البكتاشية بهويتها الأولية البسيطة، بينما أخذت ملامحها وهيكليتها المعروفة بعد حوالي قرنين من الزمن على يد «المعلم الثاني» بالم سلطان الذي توفيَ ١٥١٦م[429].

ولدينا بين هذين المعلمين/ المؤسّسين حلقة وصل تتمثل في أبدال موسى سلطان، شيخ أو مرشد قيغوسز سلطان الذي جاء بالبكتاشية إلى مصر في مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وكان أبدال موسى قد دخل أراضي الإمارة العثمانية في عهد أورخان ١٣٢٦-١٣٥٠م مع بعض مريديه للمشاركة في الغزو/ الجهاد ضد البيزنطيين. وبالاستناد إلى ذلك نُسجت لاحقًا العلاقة الوثيقة/ الأسطورية بين الإنكشارية والبكتاشية، التي استمرت بقوة حتى إلغاء الإنكشارية وإلغاء تكايا البكتاشية في ١٨٢٦م خلال عهد السلطان محمود الثاني[430].

وفيما يتعلق بمصر فإن الروايات البكتاشية، التي تضخّم في العادة دور الرواد حتى يصبح من الصعب تمييز ما هو تاريخي بما هو أسطوري، تَنسب وصول البكتاشية إلى مصر إلى قيغوسز سلطان أو عبد الله المغاوري كما اشتهر في مصر. وحسب هذه الروايات فقد كان قيغوسز سلطان ابن أحد الأمراء بالأناضول والتحق بتكية أبدال موسى سلطان، الذي طلب منه السياحة في البلاد حتى وصل إلى مصر مع بعض الدراويش. وتضيف هذه الروايات أن قيغوسز سلطان

تمكّن من شفاء حاكم القاهرة من مرض ألمّ به، ولذلك فقد بنى قبة لقيغوسز سلطان ودراويشه على ساحل النيل في ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م. وقد اشتهرت هذه القبة لاحقًا «بتكية قصر العيني» نسبة إلى الأمير أحمد بن العيني الذي بنى قصره هناك في ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م[431].

وقد وثق له لنا هذه التكية كما كانت عليه آنذاك الرحالة أوليا جلبي الذي زار القاهرة سنة ١٠٨٢هـ/١٦٧٢م. فقد ذكر جلبي، بما عرف عنه من مبالغات، أن التكية تحاكي «إرم ذات العماد»، و«تحفّ بها البساتين النضرة والمباني الفخمة وبها قبة عظيمة مفروشة بالسجاجيد الثمينة، ويجلس في محراب القبة شيخها محمد دده مع كبار رجال الطريقة»، و«يحضر مجالسهم العلماء والكبراء... ويستمعون إلى القصائد والأشعار الصوفية». ويذكر لنا أيضًا أنه في الحديقة المحيطة بالتكية كانت هناك قبور بعض مشايخ الطريقة البكتاشية[432].

ويبدو أن هذه التكية قد تعرضت للخراب لأسباب لا نعرفها إلى أن تجددت مرة أخرى بعد حوالي مئة سنة من رؤية جلبي لها على تلك الصورة. ولدينا هنا رؤية أكثر دقة لدى الجبرتي الذي كان يعرفها جيدًا. وهكذا يذكر الجبرتي كيف أن هذه «التكية المجاورة لقصر العيني المعروفة بتكية البكتاشية» قد «تلاشى أمرها وآلت إلى الخراب وصارت في غاية القذارة»، بعد أن «مات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بك وغلام يدعي أنه من ذرية مشايخها». ويضيف الجبرتي أن ذلك الرجل تمكّن من الغلام وتقرّب إلى الوالي حسن باشا الذي جاء مصر آنذاك «لكونه من أهل عقيدته» و«صار من أخصائه وصار له ذكر وشهرة». وبفضل هذه الصلة تمكن «الدرويش صالح» من تعمير هذه التكية حتى اكتملت في منتصف شوال ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م؛ حيث دعا كبار الأمراء إلى وليمة كبيرة بهذه المناسبة»[433].

ولكن هذه «التكية البكتاشية» لم تعمر طويلًا نظرًا إلى أن السلطان العثماني محمود الثاني قام بشكل مفاجئ في ١٨٢٦م بإلغاء الإنكشارية وإقفال تكايا الطريقة البكتاشية في آن واحد؛ نظرًا إلى الارتباط الوثيق المعروف بينهما. وقد تقرر آنذاك تحويل التكايا البكتاشية في أرجاء الدولة العثمانية إلى الطريقة القادرية للتصرف بها[434]. وقد شمل هذا الأمر مصر أيضًا، وذلك قبل أن يجاهر محمد علي بمشروعه ويخوض حرب الشام ضد الدولة العثمانية. وهكذا فقد تسلّمت الطريقة القادرية التكية البكتاشية في القاهرة وتولاها آنذاك الشيخ يوسف أفندي حتى ١٨٣٢م ثم أخوه الشيخ عبد القادر[435].

ويذكر الشيخ أحمد سري في كتابه المرجعي عن هذه التكية أن دراويش البكتاشية (وكان عددهم ٢٦ درويشًا) [436] غادروا تكية قصر العيني إثر قرار ١٨٢ والتجئوا إلى قصر إسماعيل باشا المناسترلي؛ حيث نقلوا إليه مكتبة التكية الثمينة وبقوا هناك حوالي تسعة شهور قبل أن يتفرقوا إلى عدة بلدان[437]. ولم يبقَ من هؤلاء في القاهرة إلا بابا إسماعيل الذي توفيَ لاحقًا في القاهرة، والدرويش صادق الذي ذهب إلى تكية الولي بكتاش في الأناضول التي افتتحت

من جديد بعد تولي السلطان عبد الحميد للسلطنة في ١٨٣٩م. وبعد أن حصل على لقب «بابا» عاد إلى القاهرة حيث اشترى دارًا في باب اللوق وأقام فيها حلقات الذكر إلى أن توفيَ في ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م[438].

وقد بقيت لدينا من تكية قصر العيني لوحة للفنان الفرنسي المعروف جان ليون جيروم J.Leon Gerome (١٨٢٤-١٩٠٤) الذي زار القاهرة عدة مرات خلال ١٨٦٩-، واشتهر بلوحاته التي تعرض ما لفت نظره في منشآت وشوارع القاهرة، ومن ذلك جنود الألبان بلباسهم المميز[439]. ويلاحظ في لوحة «تكية قصر العيني»، التي يكون قد شاهدها في زيارته المطوّلة عام ١٨٥٦، أن التكية لاتزال عامرة ويبدو فيها الدرويش في الوسط بالزي الألباني التقليدي الذي يسيطر على أعمال كثيرة للفنان جيروم[440]،أي قبل أن تخرب هذه التكية مرة أخرى[441].

وفي ذلك العام الذي توفيَ فيه آخر بابا بكتاشي ممن بقوا من تكية قصر العيني (١٢٧٦هـ/١٨٥٩م) أو بعده بسنوات (١٨٦٧م) حدث تطور مهم في تاريخ هذه الطريقة ألا وهو تخصيص الحكومة المصرية تكية قيغوسز سلطان أو عبد الله المغاوري (كما عُرف هنا) في سفح جبل المقطم المطل على القاهرة آنذاك لتكون تكية للطريقة البكتاشية. ولم يكن اختيار هذا الموقع بالصدفة لأن البكتاشيين كانوا يدفنون موتاهم هناك منذ القرن الخامس عشر.وكانت هذه التكية عبارة عن مغارة كبيرة تسمى «كهف السودان» ودفن فيها حسب وصيته قيغوسز سلطان، كما تقول الروايات البكتاشية، ثم تحولت إلى زاوية باسم الشريف نعمة الله الحسيني الوليّ في ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م حسب النقش الذي كان موجودًا في مدخل المغارة[442]. ويبدو أن التكية في بدايتها بقيت متواضعة حتى ١٨٧٣، أي خلال عهد الشيخين بابا عبد الرحمن وبابا عباس، حتى قام بابا عباس بتجديد مباني التكية كلها في ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م «حتى غدت تحفة للناظرين[443]».

ولكن الانعطاف الجديد المهم بالنسبة لموضوعنا في تاريخ هذه التكية حدث في ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م حين تولاها بابا حيدر محمود، الذي كان من دراويش هذه التكية منذ ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م على الأقل. فقد كان بابا حيدر ألبانيًّا من مدينة ليسكوفيك Leskovik [444] وجاء تعيينه على رأس هذه التكية في وقت كانت تنمو فيه الجالية الألبانية في مصر وتتعزّز صلتها بسلالة محمد علي؛ مما أدى إلى «ألبنة» هذه التكية؛ حيث تعاقب عليها شيوخ ألبان فقط حتى أيامها الأخيرة وتحول دورها ليخدم أيضا الجالية الألبانية في مصر[445]. ويلاحظ هنا أنه في عهد بابا حيدر توطدت صلة التكية مع سلالة محمد علي مما عاد عليها بدعم مادي ومعنوي. فقد انتسبت الأميرة برلنتي زوجة الخديوي توفيق إلى البكتاشية على يده وخصّصت للتكية منحة شهرية قدرها خمسون جنيهًا[446]. ولكن التطور الأهم في عهده حصولـه على حكم شرعي بتحويل المبنى والأرض المجاورة له إلى وقف حسب الأصول[447].

وقد اتضح هذا التحول (بروز الطابع الألباني للتكية) أكثر في عهد خلفه بابا لطفي الذي امتد خلال ١٩٠٢-١٩٣٥م. وكان بابا لطفي كسلفه من جنوب ألبانيا؛ حيث ولد سنة ١٨٤٩ في قرية دونافات Dunavat قرب مدينة جيروكاستـرا، وانتسب لاحقًا إلى تكية إسكجه. وقد قام بعدها بجولة في الأماكن المقدسة للطريقة في العراق (النجف وكربلاء)، ثم أقام فترة في تكية الوليّ بكتاش إلى أن عُيّن في ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م شيخًا على تكية القاهرة وبقيَ على رأسها ٤٣ سنة[448].قد تصادف في بداية عهده (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) أن حدث انفجار كبير في مخزن البارود (الجبه خانه) المجاور للتكية فتهدمت مباني التكية وتخريب معالمها، فتولي بابا لطفي تجديد مبنى التكية بكامله حتى انتهى منه في ١٩٠٣م. ويبدو أن حادث الانفجار كان من الأسباب التي زادت في الدعم الموجه للتكية من الشخصيات المهمة، وخاصة من أمراء وأميرات العائلة العلوية وعلى رأسهم الأمير مصطفى فاضل باشا (ابن إبراهيم باشا) الذي انتسب على يده إلى البكتاشية الأمير كمال الدين حسين (ابن السلطان حسين كامل) الذي أوقف بعض أملاكه لصالح التكية وأعد ضريحًا له في حديقة التكية. وقد أوصى الأمير كمال الدين أسرته أن تواصل رعايته للتكية. وهكذا فقد استمرت زوجته الأميرة نعمت في تخصيص نفقة شهرية للتكية قدرها ١٦ جنيهًا مصريًّا وكبشين في كل عيد والتكفل بنفقات عاشوراء من كل سنة[449]. وخلال تلك الفترة اغتنت التكية بفضل عائد الأراضي والبيوت التي أوقفت عليها في القاهرة وبور سعيد والسويس[450].

وقد تزامن عهد بابا لطفي مع نمو الجالية الألبانية في مصر وتزايد دورها في النهضة القومية الألبانية حتى إن مصر كانت أحد المراكز الرئيسية لهذه النهضة، التي كانت تسعى لإحياء اللغة الألبانية ووضع أبجدية واحدة لها لاستخدامها في نشر الصحف والمجلات والكتب والتعليم؛ لخلق هوية قومية ألبانية واحدة تجمع بين المسلمين والمسيحيين. ويكفي القول هنا إن مصر تحولت آنذاك إلى مركز للصحافة الألبانية (كانت تصدر آنذاك عدة صحف في القاهرة والإسكندرية) ونشر الكتب باللغة الألبانية التي كانت لبعضها قيمة رائدة في تاريخ الأدب الألباني. وفي هذا الإطار قامت التكية البكتاشية بدورها بعد رابطة بريزرن ١٨٧-١٨٨١، التي تعتبر بداية النهضة القومية في المناطق الألبانية[451]، وأرسلت أحد الدراويش (الدرويش ملك Meleq) إلى المناطق الألبانية؛ حيث عمل على نشر الكتب الألبانية هناك بتكليف من ألبان مصر[452].

ومن ناحية أخرى فقد اندلعت في تلك الفترة الحرب البلقانية ١٩١٢- ١٩١٣ بين دول التحالف البلقاني (اليونان وصربيا والجبل الأسود وبلغاريا) والدولة العثمانية، التي أنهت الحكم العثماني في معظم البلقان. وفي هذا الإطار فقد تميزت القوات اليونانية التي اندفعت نحو الشمال لـ «تحرير» المناطق الباقية تحت الحكم العثماني بممارسة العنف الجائر ضد المسلمين في جنوب ألبانيا (حيث تتمركز البكتاشية)، بما في ذلك تدمير التكايا البكتاشية ودفع السكان للهجرة من أراضيهم. وفي هذا الإطار فقد حظيت تكية القاهرة بحصة من هؤلاء

المهاجرين من شيوخ ودراويش البكتاشية التي أحرقت تكاياهم؛ حيث جاءها عدد من هؤلاء، وقد كان من أشهر هؤلاء بابا شعبان، شيخ تكية بريشتا Prishta، الذي جاء القاهرة عن طريق إيطاليا في مطلع ١٩١٤ وبقيَ فيها إلى أن توفيَ في محرم ١٣٣٩هـ/ تشرين الثاني ١٩١٤م[453].

وفي غضون ذلك كان الاستقلال الألباني الذي أعلن في ٢٨/١١/١٩١٢ قد بقيَ معلقًا إلى أن بتّت الدول الكبرى خلال صيف ١٩١٣ في حدود ألبانيا مع الدول المجاورة وعينت أحد النبلاء الألمان (ولهلم فون فيد) أميرًا عليها، مع أن الأمير فؤاد كان من أقوى المرشحين كما رأينا في الفصل السابق. ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م جعل ألبانيا الوليدة ميدانًا للاحتلال بين الدول المتحاربة، ولم تستعد استقلالها وحدودها إلا في ١٩٢٠ بعد قبولها في عصبة الأمم. ومع هذا التطور (وجود دولة قومية للألبان)، الذي كان يعني فيما يعنيه، إنجاز حلم النهضة القومية الألبانية، نجد أن السنوات التالية حفلت بهجرتين متعاكستين فيما يتعلق بالألبان في مصر. فقد كان رموز الجالية الألبانية في مصر يتابعون التطورات في بلادهم (الحرب البلقانية، إعلان الاستقلال... إلخ) ويشاركون فيها سواء بواسطة المقالات المنشورة في الصحافة الألبانية الصادرة في مصر أو بواسطة المذكرات إلى الحكومة الألبانية المؤقتة والجهات الدولية المختلفة. ومع تحقق الحلم بدولة قومية للألبان فقد سارع بعض أفراد الجالية إلى السفر إلى ألبانيا للاستقرار هناك[454]. وفي المقابل كانت ألبانيا قد بدأت سنواتها الأولى بصعوبات اقتصادية واجتماعية وسياسية كبيرة؛ مما أدى إلى هجرة كبيرة من الجنوب (حيث تتمركز البكتاشية) إلى الخارج. وفي هذا الإطار فقد اجتذبت الولايات المتحدة نسبة كبيرة من هذه الهجرة، كما أن النسبة الأخيرة ذهبت إلى مصر حيث عزّزت هناك الجالية الألبانية في ثلاثينيات القرن العشرين حتى أصبحت الخامسة في البلاد من حيث العدد والنشاط الاقتصادي. وهكذا فقد أدى تدفق آلاف الألبان إلى مصر في فترة ما بين الحربين إلى تعزيز التكية البكتاشية بمزيد من المريدين والمحبين[455]. وقد تتوجت هذه الموجة الجديدة من الهجرة بقدوم الملك أحمد زوغو وحاشيته الكبيرة إلى مصر بعد أن قامت إيطاليا باحتلال ألبانيا في نيسان ١٩٣٩م، وأصبحت له صلة وثيقة بالتكية البكتاشية في القاهرة كما سنرى في الفصل الأخير.

ومن ناحية أخرى فقد ساعدت الظروف الجديدة التي سادت بعد إلغاء السلطنة/ الخلافة العثمانية على بروز متزايد للطابع الألباني للبكتاشية في العالم وللتكية البكتاشية في القاهرة بطبيعة الحال. فقد قام مصطفى كمال أتاتورك بعد إلغاء السلطنة في ١٩٢٢ والخلافة في ١٩٢٤ بإصلاحات جذرية هدفت إلى تخليص تركيا (وريثة الدولة العثمانية) من التركة العثمانية. وفي هذا الإطار فقد تقرر في ١٩٢٥ إلغاء الطرق الصوفية وإقفال التكايا الموجودة في تركيا؛ حيث كانت تكية الوليّ بكتاش بالأناضول تعتبر التكية الأم أو مقر الرئيس الأعلى (دده بابا) للطريقة البكتاشية في العالم. ومع هذا الإجراء فقد لجأ شيخ هذه التكية صالح نيازي دده بابا (الذي كان ألبانيًّا) إلى ألبانيا، التي كانت

تشتمل على أعلى نسبة بكتاشية بين السكان بعد تركيا؛ حيث أصبحت تكية تيرانا منذ ١٩٣٠م هي التكية الأم أو مركز رئاسة الطريقة البكتاشية في العالم. ومن الطبيعي أن يؤدي هذا التطور إلى تعزيز الصلة بين تكية القاهرة والتكية الأم في تيرانا، وبالتحديد تعزيز الطابع الألباني لهذه التكية في تلك الفترة[(456)].

وفي غضون ذلك كانت مشيخة التكية في القاهرة قد آلت إلى بابا أحمد سري الألباني، الذي وصلت التكية في عهده الطويل إلى ذروتها من حيث التطور والصلات التي كانت لها مع الجالية الألبانية والعائلة المالكة والمكانة التي أصبحت لها سواء في مصر أو في العالم. وكان بابا سري، المولود في قرية غلينا Glina بجنوب ألبانيا، قد التحق بتكية لسكوفيك القريبة ثم بتكية بريشتا، ولكن عندما أحرقت القوات اليونانية هذه التكية هاجر مع شيخها بابا شعبان إلى القاهرة. وقد زار بعد ١٩٢٠ التكية الأم في الأناضول حيث أقام بها حوالي سنتين، وفي ١٩٢٣ عين شيخًا للتكية البكتاشية في طرسوس إلى أن ألغيت الطرق الصوفية وأقفلت التكايا في تركيا، فغادرها إلى اليونان حيث عين شيخًا للتكية البكتاشية في كاتاريني. وبعد عامين قضاها هناك رغب في العودة إلى التكية البكتاشية في القاهرة؛ حيث تنازل له بابا لطفي عن مشيختها في ١٩٣٥م[(457)].

وقد تزامن تولي بابا سري مشيخة التكية مع تولي الملك فاروق العرش، الذي كان على صلة وثيقة بالتكية منذ أن كان وليًّا للعهد، وقدوم الملك أحمد زوغو مع حاشيته إلى مصر والذي كانت لأسرته في ألبانيا صلة وثيقة بالبكتاشية وأصبحت له صلة وثيقة الآن بالملك فاروق. وقد أدت الظروف التي نتجت عن احتلال إيطاليا لألبانيا في نيسان ١٩٣٩، بما في ذلك إغلاق السفارات الألبانية في العالم بعد أن أصبحت ألبانيا جزءًا من الإمبراطورية الإيطالية، أن تحولت التكية البكتاشية في القاهرة إلى ما يشبه «السفارة» حيث كانت تجمع على الدوام الألبانيين من مسلمين ومسيحيين. وكان بابا سري نفسه قد نظم اجتماعًا حاشدًا بهذه المناسبة وطاف على رأس وفد من الجالية الألبانية على سفارات الدول الأوربية للاحتجاج على الاحتلال الإيطالي لألبانيا[(458)].

وقد تعززت مكانة تكية القاهرة سواء في وسط الألبان أو في العالم نتيجة للتطورات الجديدة خلال الحرب العالمية الثانية. ففي تشرين الثاني ١٩٤٢ جرى اغتيال صالح نيازي دده بابا في التكية الأم بتيرانا، فخلفه آنذاك بابا عباس حلمي. وبذلك بدأ هناك نوع من الانشقاق في وسط الطريقة البكتاشية بين تيارين؛ الأول يدعم حركة المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي بقيادة الحزب الشيوعي الألباني؛ والثاني يتحفظ على التعاون مع هذا الحزب. وبعد وصول الحزب الشيوعي إلى السلطة في نهاية ١٩٤٤م أراد أن يفرض مرشّحه لمشيخة التكية الأم في تيرانا؛ مما أدى إلى انتحار عباس حلمي دده بابا في ١٩٤٥م. وبعد أن قام النظام الجديد في ألبانيا بتأطير الجماعات الدينية (ومنها البكتاشية) بقانون جديد يحدّ من صلاتها بالخارج، تتابعت الدعوات إلى عقد مؤتمر عام للطريقة البكتاشية خارج «العالم الشيوعي»؛ حيث كان هناك وجود

مهم للبكتاشية في يوغسلافيا وبلغاريا أيضا. وقد أثمرت هذه الدعوات عن عقد مؤتمر عام للطريقة البكتاشية في تكية القاهرة في نهاية كانون الثاني/ يناير ١٩٤٩م؛ حيث أصدر المشاركون بيانًا في ٣٠/١/١٩٤٩م أوضحوا فيه أنه لم يعد من الممكن للطريقة البكتاشية ممارسة نشاطها بحرية في ألبانيا تحت حكم الحزب الشيوعي، ولذلك اختاروا بابا سري شيخًا لمشايخ الطريقة البكتاشية (دده بابا) في العالم[(459)].

ومع هذا التطور الذي جعل تكية القاهرة مركزًا للطريقة البكتاشية في العالم، قام سري دده بابا في نهاية ١٩٥١ بجولة طويلة في تركيا لبعث الصلات مع البكتاشية هناك. ولكن عندما عاد في خريف ١٩٥٣م، وجد عالمًا آخرَ في انتظاره. فبعد ثورة تموز/ يوليو ١٩٥٢م وإقصاء الملك فاروق وإبعاد الملك زوغو (الذي دفنت أختاه الأميرة روحية والأميرة نافية في التكية) تتالت الإجراءات ضد أفراد الأسرة الملكية من مصادرة وحراسة؛ مما أدى إلى فقدان التكية – أهم مصادر الدعم المادي والمعنوي لها. ومع هذه الإجراءات وغيرها (التأميمات) بدأت الهجرة المعاكسة للجالية الألبانية إلى الخارج، وخاصة إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا؛ مما أدى إلى انخفاض سريع لأفراد الجالية الألبانية من الآلاف إلى المئات فقط، مع ما يعنيه ذلك بطبيعة الحال بالنسبة إلى التكية البكتاشية. ومن ناحية أخرى فقد أدى إلغاء النظام الملكي في ١٩٥٣ والعداء المتزايد لأفراد الأسرة الملكية إلى انكماش الاهتمام والاقتراب من التكية البكتاشية التي أصبحت «مشبوهة» بسبب صلاتها الوثيقة المعروفة سواء مع الملك السابق فاروق أو مع أفراد الأسرة المالكة[(460)].

ومن ناحية أخرى فقد جاء القانون الجديد للأوقاف في مصر (قانون ٢٤٧ لعام ١٩٥٣) ليزيد الضغوط على هذه التكية. فقد نصّ آنذاك القانون الجديد، الذي أتاح للدولة السيطرة على مؤسسة الوقف وتوجيهها لخدمة مصالحها السياسية، على وضع جميع الأوقاف الخيرية تحت «نظارة» وزارة الأوقاف لتتولى هي إدارتها وتحصيل ريعها وإنفاقه على وجوه الخيرات، وتخويل وزير الأوقاف سلطة تغيير مصارف تلك الأوقاف وجعلها على جهات برّ «أَولى» دون تقيّد بشروط الواقف[(461)].وبعبارة أخرى لم تعد الوزارة ملزمة بتحويل العائد الكبير للتكية الذي كان يأتي من الأصول الموقوفة باسمها، بل ترك لها أن تحولها إلى وجوه بر أخرى «أولى» بذلك.

ولكن الضربة القاضية للتكية جاءت بعد ثلاث سنوات في أعقاب حرب السويس وما صاحبها من توسيع الصلاحيات العسكرية. ففي مطلع ١٩٥٧ جاء ضابط كبير في الجيش ليبلغ سري دده بابا أن المنطقة التي تقع فيها التكية ذات أهمية عسكرية ويتوجب عليه بالتالي إخلاء هذه التكية التي كانت تشغل مساحة كبيرة بعد أن صدر قرار بمصادرتها. وفي مقابل ذلك فقد منحته السلطات فيلا في المعادي مؤلفة من عشر غرف (وهي من الأملاك المصادرة للأسرة الملكية) مع تعويض قدره ألف جنيه فقط لإجراء تعديلات عليها حتى تناسب استخدامها كتكية. وبالإضافة إلى ذلك فقد خصصت للتكية نفقة شهرية من

وزارة الأوقاف (التي وضعت يدها على أصول التكية التي كانت تدر عليها دخلًا كبيرًا) قدرها خمسون جنيهًا فقط. ولكن بعد سنتين انخفضت هذه النفقة إلى عشرة جنيهات فقط لم تعد كافية لسد رمق الدراويش الخمسة الذين بقوا في التكية بعد الهجرة الواسعة لأفراد الجالية الألبانية خارج مصر. وقد أدى هذا الوضع الصعب إلى توجه سري دده بابا بكتب إلى المسئولين يشكو فيها الوضع الصعب للتكية، بمن فيهم وزير الأوقاف ورئيس الجمهورية جمال عبد الناصر، ولكن دون جدوى[462].وفي هذا الوضع توفيَ ثلاثة من الدراويش حتى ١٩٦٥م، حين توفيَ أيضًا سري دده بابا، ثم هاجر الدرويشان الباقيان على قيد الحياة للالتحاق بالآخرين في الولايات المتحدة وبالتكية البكتاشية في ديترويت التي أسّسها أحد دراويش التكية البكتاشية في القاهرة، ألا وهو بابا رجب الذي أصبح له شأن هناك سواء بين الألبانيين أو الأمريكيين[463].

ومع وفاة دده بابا سري في ١٩٦٥ حلّت نهاية التكية البكتاشية في القاهرة، التي تحولت سواء في تطورها أو في ذبولها إلى رمز للحضور الألباني الجديد في مصر خلال قرن من الزمن تقريبًا.



تكية قصر العيني المندثرة، كما تبدو في لوحة للفنان الفرنسي ليون جيروم



بابا أحمد سري وإلى يساره عبدل سيلا القائم بأعمال السفارة الملكية الألبانية في احتفال بعيد الاستقلال الألباني



بابا أحمد سري في المبنى الجديد للتكية (المعادي) مع أحد الزوار الألبان في ١٩٥٨

---

(429) للمزيد حول الطريقة البكتاشية، انظر مقالة الطبعة الجديدة لـ «الموسوعة الإسلامية» وما فيها من مصادر والدراسات الجديدة التي صدرت بعدها سواء التي تركز على البكتاشية الأولى أو البدائية للمؤسس الأول، والثانية المختلفة للمؤسس الثاني، أو على الارتباط بين البكتاشية والحركة القومية الألبانية:

R. Tas chudi, «Bektashiya", The Encyclopedia of Islam, New edition, Leiden (E. J. Brill) 1986, pp. 1161-1163; Nathalie Clayer, L'Albanie-Pays de derviches: Les orders mistiqyes muslumans en Albanie, Berlin-Wisebaden Otto ;Harrossowitz 1990

Harry T. Norris, Islam in the Balkans: Religion and Society between Europe and the Arab World, London (Hurst) 1993; Roberto Morocco Della Rocco, Kombësia dhe feja në Shqipëri, Tiranë (Elena Gjika) 1994; Rajwwantee Lakshman-Lepain, Shqiptarët dhe mistiscizmi bektashian, Prishtinë-Tiranë (Dukagjini) 1997; Metin Izeti, Tarikati .Bektashian, Tetovë 2001 etc

وانظر في العربية آخر ما نُشر عنها: محمد زاهد جول، الطريقة البكطاشية مسارات التشكل التاريخي في التحولات الفكرية في العالم الإسلامي (أعلام وكتب وحركات وأفكار) من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري، تحرير عليان الجالودي، عمان (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) ٢٠١٤، ص ٣٧٧-٣٨٨.

(430) الرواية البكتاشية حول قيغوسز سلطان تكاد تكون متطابقة في الألبانية والعربية:
أحمد سري دده بابا، الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٥٩، ص ٥٩.

.Baba Rexhepi, New York 1970, pp. 183 - 18'

وحول قصر العيني والتكية انظر أيضا علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، بولاق ١٣٠٥، ج ٦، ص ٥٦-٥٧; أمين سامي، تقويم النيل، القاهرة ج ١، ص ٢٢٥.

(431) أحمد سري، الرسالة الأحمدية، ص ٥٩.

(432) أوليا جلبي، سياحت نامة مصر، ترجمة محمد علي عوني ومراجعة أحمد فؤاد متولي، القاهرة (دار الكتب والوثائق القومية) ٢٠٠٩، ص ٣٢٩-٣٣١.

(433) عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، بيروت (دار الكتب العلمية) ١٩٩٧، ج ٢، ص١٩-٢٠.

(434) فريد دي يونج، تاريخ الطرق الصوفية في مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٥، ص٨٠.
وللمزيد حول دوافع ونتائج هذا الانقلاب على صعيد الدولة العثمانية، انظر التحليلات القيّمة التي يقدّمها بطرس أبو منة:

Butrus Abu-Manneh, Studies on Islam and Ottoman Empire in the 19th Century 1826 - 1876, Istanbul (The Issis Press) .2001, pp. 66 - 71

(435) أحمد سري، الرسالة الأحمدية، ص ٤١-٤٢.

(436) المرجع السابق، ص ٤٢.

(437) المرجع السابق، ص ٤٢.

(438) المرجع السابق، ص٤٤.

(439) للمزيد حول ذلك انظر مقالتنا: «ألبان مصر» الذين خلّدهم الفنان الفرنسي ليون جيروم، ضفة ثالثة ١١/١٢/٢٠١٦.
(440) نشرت هذه اللوحة في: آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، إستانبول (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية) ٢٠٠٣، ص ٤٣٦.
(441) بقيت التكية والقبة الكبيرة الظاهرة في لوحة جيروم في حالة من الإهمال على الرغم من وجود أوقاف لها حتى ١٩٣٥، كما تدل على ذلك آخر صورة فوتوغرافية، ثم أزيلت وأصبح مكانها جزء من شارع كورنيش النيل وجزء من كلية الصيدلية:
المرجع السابق، ص ٤٣٦.
(442) يرد لدى أحمد سري أن هذا التطور حدث في ١٨٥٩ وينسبه إلى «الحكومة المصرية»، بينما يوضّح دي يونغ أن ذلك حدث في ١٨٦٧ بـ «إرادة سنية» من الخديوي إسماعيل:
أحمد سري، الرسالة الأحمدية، ص ٤٣-٤٤.
F. De Jong, «The Takiya of Abd Allah al-Maghawri (Qayghusus Sultan) in Cairo», Turcica, vol.XIII, Louvain-Paris-Strasbourg 1981, p. 242.
ولكن من المثير للانتباه هنا ـ كما يلاحظ دي يونج ـ أن ضريح عبد الله المغاوري نفسه ظلّ تحت إشراف شيخ من سلالة المغاوري ليست له علاقة بالطريقة البكتاشية:
د. يونج، تاريخ الطرق الصوفية، ص ٨٠.
(443) أحمد سري، الرسالة الأحمدية، ص ٤٦.
(444) لدينا هنا انقطاع يوضّحه الشيخ أحمد سري، إذ إن بابا عباس توفيَ عام ١٨٨١ وسمَّى خلفا له محمد شهاب الدين شيخا على الطريقة، ولكن جو مصر لم يناسبه فغادر إلى الحجاز وتوفيَ هناك؛ ولذلك شغل بابا حيدر هذا المنصب منذ ١٨٨٥:
أحمد سري، الرسالة الأحمدية، ص ٥٥-٥٦.
(445) Qemaj lMorina, «Një fole e shquar e kulturës shqiptare”, Rilindja (Prishtinë) 09.06.1979.
(446) Baba Rexhebi, Misticizma islame dhe Bektashizma, New York 1970, pp.188 - 189.
(447) أحمد سري، الرسالة الأحمدية، ص ١٣٧.
(448) Baba Rexhebi, Misticizma islame, p.188.
(449) Ibid., pp.188 - 189.
(450) Jong, The Takiya of Abd Allah al-Maghawri, p..
(451) للمزيد حول هذه الرابطة ودورها، انظر في العربية:
أنتوني سوريال عبد السيد، الرابطة القومية العربية أو «رابطة بريزرن الألبانية» ١٨٧٨- ١٨٨١، القاهرة (دار الثقافة) ١٩٨٦.
(452) Baba Rexhebi, Misticizma islame, pp.188, 345 - 346.
(453) كان الباحث دي يونغ قد وجد خلال زيارته إلى القاهرة عام ١٩٧٢ مجموعة أوراق خاصة بهذه التكية عند أحد باعة الكتب القديمة وأودعها مكتبة جامعة ليدن، ومن بينها لدينا صورة نادرة لبابا شعبان نشرها ضمن بحثه القيّم عن التكية البكتاشية في القاهرة:
F.De Jong, «The Iconography of Bektashiism – A Survey of themes and symbolism in clerical costumes, lituriigical objects and pictoral art”, Manuscript of Middle East, vol.4, Leiden 1989, p.19.
(454) من هذه الشخصيات المهمة التي عادت إلى ألبانيا وساهمت في تطور الحياة السياسية والعلمية والثقافية نذكر على سبيل المثال ألكسندر جوفاني(١٨٨٠-١٩٦١) الذي جاء مصر في ١٩١٠، وشارك في تأسيس الجمعيات وإصدار الصحافة الألبانية، وعاد إلى ألبانيا في ١٩٢٠ ليعمل في وزارة التعليم وينشر في تيرانا عام ١٩٢١ كتاب «محمد علي باشا مصر». والطبيب غاتش أظاميظ فراشري (١٨٥٩-١٩٣٩) الذي درس الطب في لوزان وجاء مصر في ١٩٠٠ ليساهم في أنشطة الجالية الألبانية، وعاد بعد الاستقلال إلى ألبانيا ليفتح عيادته الخاصة في مدينة جيروكاسترا. وغاتشو تاشكو (١٩٠٥-١٩٦٧) الذي ولد في الفيوم وعاد إلى ألبانيا بعد الاستقلال لينضم إلى الحزب الشيوعي ويصبح أول وزير للزراعة في الحكومة الشيوعية الأولى في ١٩٤٤ ثم وزير الغابات خلال ١٩٥٠-١٩٥٤، وعضوا في مجلس الشعب لعدة دورات (١٩٤٦-١٩٦٧) وغيرهم.
(455) هناك من يقدّر عدد الألبان الذين هاجروا إلى مصر خلال الحربيْن العالميتيْن بعشرة آلاف:

F.Desart, «L’Ethnie Albanese dans le monde-Essaihistorique e culturel sur les communautes albanais de l’etranger”, Ethno-Psychologie XXXI, pp. 3 - 4; De Jong, The Takiya of Abd Allah al-Maghawri, p.274.

وقد وجدنا مؤخرا في الأرشيف المركزي للدولة في تيرانا تقريرا بالفرنسية تحت عنوان «مركز الجالية الألبانية في مصر وصلته بالمشاكل الراهنة» يعود إلى ١٩٣٦ ويرد فيه أن عدد الألبان يصل إلى ثمانية آلاف يتمركز معظمهم في القاهرة والإسكندرية، وهم يعدون الجالية الخامسة بعد الإيطالية والفرنسية واليونانية والإنكليزية، ويتوزع أفرادها بين التجارة والمهن الحرة، بينما تمّ تقدير رأسمال هذه الجالية بخمسة ملايين جنيه إسترليني:

Arkivi Qendror i Shtetit, Fondi «Shoqëritë shqiptare në Egjipt”, dosja 76, pp. 1 - 4.

(456) كان لبابا سري دور مهم في تعزيز العلاقة الجديدة بين تكية القاهرة وألبانيا بعد أن انتقل إليها مركز الطريقة البكتاشية في العالم. فقد سافر إلى تيرانا في ١٩٣٠ لتهنئة دده بابا صالح نيازي على انتخابه رئيسا للطريقة البكتاشية في العالم، كما سافر إلى تيرانا عام ١٩٣٧ بمناسبة الاحتفالات بمرور ربع قرن على استقلال ألبانيا، وأخذ الإجازة
بالمشيخة من دده بابا صالح نيازي:

Baba bRexhebi, Misticizma islame, p. 19.

(457) أحمد سري، الرسالة الأحمدية، ص ٣٠.

(458) من ذكريات عميد الجالية الألبانية في القاهرة كريم حاجيو، حديث في بيته بتاريخ ١/٨/١٩٧٩.

(459) انظر نصّ البيان لدى: أحمد سري، الرسالة الأحمدية، ص ٣١-٣٢.

(460) بدأ هذا بوضوح بعد إبعاد اللواء محمد نجيب عن الحكم، إذ إن الصحافة المصرية بقيت حتى صيف ١٩٥٣ تشيد بهذه التكية وماتوفره لزوارها. انظر مثلا: محمد المويلحي، مصيف القاهرة الجبلي.

(461) للمزيد عن ذلك انظر: إبراهيم البيومي غانم، الأوقاف والسياسة في مصر، القاهرة (دار الشروق ١٩٩٨، ص ٤٦٥.

(462) De Jong, The Takiya of Abd Allah al-Maghawri, pp. 251 - 252.

(463) Vehbi Bajrami, «Post morum: Baba Rexhepi 1901 - 1995- Njeriu që nuk la të shuhej drita e bektashiymit”, Illyria 14 - 16. 08. 1995, p.14.

وقد صدرت مؤخرا سيرة لمسيرته الروحية في الإنكليزية للباحثة الأمريكية فرانسيس تريكس:

Frances Trix, The Sufi Journey of Baba Rexhepi, Philadelphia (University of Pennsylvania-Musuem of Archaelogy and Anthropology) 2009.

الفصل الحادي عشر

سنوات الملك أحمد زوغو في مصر ١٩٤٦-١٩٥٥

على الرغم من الصورة السلبية عن الملك أحمد زوغو Ahmet Zogu (١٨٩٥-١٩٦١) التي كرّستها سنوات الحكم الشيوعي في ألبانيا ١٩٤٥-١٩٩٠ [(464)]، فإن المؤرخ الأمريكي برنارد فيشر B.Fischer يقول عنه بمناسبة الاحتلال الإيطالي لألبانيا في ٧ نيسان/ إبريل ١٩٣٩ إن «مقاومته المستمرة للمحاولات الإيطالية لانتهاك السيادة السياسية لألبانيا ووحدتها» لم تُبقِ أمام روما سوى وسيلة واحدة لتحقيق ما تصبو إليه للسيطرة على ألبانيا: الاحتلال العسكري[(465)].

ومن ناحية أخرى ينتهي المؤرخ الألباني محرّم دجغيو M.Dezhgiu إلى أن «ماحدث في ألبانيا في ٧ نيسان/ إبريل ١٩٣٩ إنما هو نتاج سياسة عامة كانت تنتهجها القوى الكبرى الأوربية»، وهو ما يثبته صمت عصبة الأمم على الاحتلال الإيطالي لألبانيا التي كانت عضوة في العصبة منذ ١٩٢٠ [(466)].ولذلك فإنّ الملك زوغو حين قرّر اللجوء إلى لندن لتشكيل حكومة منفى هناك والاستمرار في المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي لبلاده لم تسمح الحكومة البريطانية بذلك لحرصها على علاقاتها مع إيطاليا، وإنما وافقت على أن يأتي إلى لندن ويقيم فيها بشكل شخصي بشرط ألا يمارس أي نشاط سياسي للحفاظ على مصالح حليفتها اليونان[(467)].

خلال إقامته في لندن (١٩٤٠-١٩٤٥) كان الملك يتابع المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي التي كان يقودها الضابط السابق في الجيش الملكي الألباني عباس كوبي A.Kupi، كما كان على صلة بالحزب المؤيد له (الشرعية) و «الجبهة القومية»، وهما القوتان اللتان مثلتا سياسيًّا اليمين في ألبانيا ودخلتا في صراع مسلح مع اليسار (الحزب الشيوعي الألباني) خلال الحرب الأهلية ١٩٤٣-١٩٤٤، أي بعد استسلام إيطاليا وانسحاب قواتها من ألبانيا. وقد انتهت هذه الحرب الأهلية في أواخر ١٩٤٤ بدخول القوات التابعة للحزب الشيوعي الألباني إلى العاصمة تيرانا ولجوء آلاف السياسيين والعسكريين إلى الدول المجاورة كإيطاليا واليونان[(468)]. ومع هذه التطورات جرت انتخابات «غير حرة وغير ديموقراطية» لجمعية تأسيسية في ٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٥، وتمخض عن ذلك التئام جمعية تأسيسية قامت بإلغاء الملكية وإعلان ألبانيا «جمهورية شعبية» في ١١ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٦ [(469)].

وفي تلك الفترة الصعبة، حين كانت معسكرات اللاجئين في إيطاليا واليونان تعجّ بالوزراء والضباط والنواب الألبان وغيرهم في ظروف بائسة، قرّر الملك زوغو أن يترك لندن ويذهب إلى مكان مناسب (القاهرة) لكي يخدم بلاده بشكل

أفضل طالما أن الحكومة البريطانية كانت تحظر عليه أي نشاط سياسي. وكما توضح زوجته الملكة جيرالدين في مذكراتها فقد كان هناك سببان وراء قرار الملك زوغو بالانتقال من لندن إلى القاهرة. أما الأول فهو الوضع المالي للملك الذي لم يعد بقادر على أن يلبي متطلبات آلاف اللاجئين السياسيين الذين غادروا ألبانيا مع وصول الحزب الشيوعي إلى الحكم. وأما السبب الآخر فهو فكرة جديدة ركبت رأس الملك حول تشكيل قوة مسلحة بمساعدة بعض الدول العربية لتحرير ألبانيا من الحكم الشيوعي[470].

بدأت هذه الفكرة بالتحقّق خلال كانون الثاني/ يناير ١٩٤٦ مع توسط السفير المصري في لندن، وسرعان ماوصلته دعوة الملك فاروق للقدوم إلى مصر بصفته «ملك ألبانيا»؛ لأن مصر الملكية لم تكن قد اعترفت بـ «جمهورية ألبانيا الشعبية» التي كانت قد أعلنت لتوها في ١١/١/١٩٤٦. وهكذا وصل الملك زوغو إلى ميناء بور سعيد في ٢٣ شباط/ فبراير ١٩٤٦ حيث حظيَ باستقبال رسمي، ومن ثم انتقل مع الأسرة (الملكة جيرالدين وابنه الأمير ليكا وأخواته الخمسة:الأميرة روحية والأميرة نافية والأميرة سنية والأميرة مجيدة والأميرة مؤذنة) والحاشية إلى القاهرة؛ حيث افتتحت هناك المفوضية الملكية الألبانية التي أدارها عبدل سيلا A.Syla [471]. ومع هذا التطور ستصبح القاهرة مركزًا مهمًّا للمعارضة الألبانية ضد الحكم الشيوعي في ألبانيا خلال السنوات التي قضاها الملك زوغو في مصر.

وفي الحقيقة كانت السنوات الأولى لإقامة الملك زوغو في مصر تتميز بثلاث عمليات مهمة استفادت من الحرب الباردة التي بدأت لتوها، والتي جعلت الغرب (الولايات المتحدة وبريطانيا) يتخذ موقفا مختلفا من الملك زوغو:

١ ـ إنقاذ اللاجئين السياسيين الألبانيين من المعسكرات التي وُضعوا فيها بإيطاليا واليونان؛ حيث كانت ظروفهم بائسة، ونقلهم للإقامة في دول الشرق الأوسط (مصر والأردن وسوريا ولبنان وتركيا).

٢ ـ التواصل مع الأحزاب والمنظمات السياسية الألبانية في المنفى؛ لأجل تشكيل حكومة منفى أو لجنة سياسية تعمل لأجل ألبانيا ديموقراطية بمساعدة الغرب.

٣ ـ تشكيل قوة مسلحة من اللاجئين الألبانيين بمساعدة مملكة عربية (مصر أو السعودية)؛ للقيام بعملية عسكرية لـ «تحرير ألبانيا من الحكم الشيوعي».

وفيما يتعلق بالعملية الأولى، التي كانت لها الأولوية بسبب الظروف الصعبة التي كانت تسود في المعسكرات الموجودة في إيطاليا واليونان، يذكر المرافق الشخصي للملك زوغو العقيد حسين سلماني H.Selmani في مذكراته أن الملك زوغو كانت تصله كل يوم برقيات من اللاجئين السياسيين الألبانيين الموجودين في تلك المعسكرات تطلب منه المساعدة. وقد بادر الملك زوغو أولا إلى اللقاء مع الملك فاروق، الذي قدّم مساعدة شخصية وطلب من الحكومة أن تطلق حملة لجمع المساعدات للاجئين الألبانيين في معسكرات إيطاليا واليونان.وقد

قامت الحكومة المصرية بالفعل بإرسال ممثلين عنها لتوزيع تلك المساعدات: الأمير عمر إبراهيم[472] لتوزيع المساعدات على اللاجئين في معسكرات إيطاليا، وتيودور باشا لتوزيع المساعدات على اللاجئين في معسكرات اليونان[473].

في غضون ذلك كانت الحكومة الشيوعية الجديدة في تيرانا قدّمت طلبا إلى السلطات الإيطالية لتسلميها ٢٠٠ من اللاجئين السياسيين الموجودين في المعسكرات، وعلى رأسهم مدحت فراشري M.Frashëri [474] لكي تقدّمهم للمحاكمة باعتبارهم من «أعداء الشعب». ولكن الملك زوغو تواصل بسرعة مع الحلفاء لكي يتم تسهيل انتقال هؤلاء إلى مصر. وفي الوقت نفسه تواصل مع بعض قادة الدول العربية (الملك فاروق والملك عبد الله بن الحسين و الرئيس شكري القوتلي والرئيس كميل شمعون) لمساعدة هؤلاء اللاجئين على القدوم إلى بلادهم والاستقرار فيها. وقد استجاب الجميع لذلك وخاصة الملك فاروق، الذي أرسل على حسابه الخاص عدة سفن لنقل هؤلاء اللاجئين السياسيين إلى مصر ولبنان وسوريا والأردن[475].

ومع هذه العملية الكبيرة جاء إلى مصر وسوريا مئات من نخبة اللاجئين السياسيين الألبانيين (رؤساء وزراء ووزراء ونواب وسياسيين وضباط ومثقفين). فقد جاء إلى مصر مصطفى كرويا M.Kruja، وعلي كلتسيرا A.Kelcyra، وحكمت دلفينا H.Delvina وموسى يوكا M.Juka، وصالح المفتي S.Myftija، وإرنست كوليتشي E.Koliqi وغيرهم[476]، بينما جاء إلى سوريا نخبة من السياسيين والعسكريين مثل جعفر ديفا XH.Deva، وآدم دوشيِ A.Dushi، والعقيد مول بايرأكتاري M.Bajraktari، والنقيب حمزة دريني H.Drini، والنقيب نشأت كولونيا N.Kolonja، والمحامي جلال متروفيتسا Xh.Mitrovica، والطبيب علي كومبارا A.Kumbara، وغيرهم[477].

ولكن في الوقت الذي بدأ فيه تدفق اللاجئين السياسيين الألبانيين إلى دول الشرق الأوسط بدأت الأوضاع هنا في التوتر نتيجة للنزاع بين العرب واليهود في فلسطين خلال ١٩٤٧-١٩٤٨، وأخذ اللاجئون الفلسطينيون في التوجه إلى الدول العربية المجاورة (لبنان وسوريا والأردن ومصر). ولذلك فقد أرسل الملك زوغو وفدا يضم كبار الشخصيات مثل صالح المفتي وعلي كلتسيرا وإرنست كوليتشي وغيرهم للاطلاع على أوضاع اللاجئين السياسيين الألبانيين في سوريا، والطلب من الحكومة السورية أن تقدّم لهم ماوعدت به من مساعدات. وعلى الرغم من الوعود الجديدة فإن ممثل الملك زوغو في دمشق شوكت غاوجي يورد في ذكرياته أنّ الحكومة السورية نقلت إليه أنها لم تعد قادرة على تقديم المساعدات للاجئين السياسيين الألبانيين بسبب تدفق اللاجئين الفلسطينيين إلى سوريا[478].

وفي هذه الحالة المتوترة في المنطقة عشية اندلاع حرب ١٩٤٨، رأى الملك زوغو أن المنطقة لن تنعم بالاستقرار مع هكذا حرب ولن تعود مناسبة لاستقدام المزيد من اللاجئين السياسيين الألبانيين؛ ولذلك بدأ التفكير في عملية

معاكسة لنقل هؤلاء الذين استقروا في المنطقة إلى بلاد آخرى (الولايات المتحدة وكندا ونيوزيلندا إلخ) بالتعاون مع المنظمة الدولية للاجئين IRO. ولأجل ذلك استضاف في البلاط الملكي بالإسكندرية المدير العام لهذه المنظمة، وبدأ العمل بالفعل على نقل هؤلاء اللاجئين السياسيين الألبانيين من دول الشرق الأوسط إلى الدول الغربية التي رحبت بهم[479].

أما فيما يتعلق بالعملية الثانية لأجل تشكيل حكومة منفى أو لجنة سياسية تمثل المعارضة الألبانية للحكم الشيوعي، فقد كانت الانقسامات بين الأحزاب والمنظمات السياسية الألبانية (الجبهة القومية وحزب الشرعية إلخ) التي بدأت خلال ١٩٤٣-١٩٤٤ قد استمرت مع انتقال هذه المعارضة إلى الدول المجاورة (إيطاليا واليونان وتركيا). ولكن بعد وصول الحزب الشيوعي إلى السلطة في ١٩٤ وإعلان «جمهورية ألبانيا الشعبية» في مطلع ١٩٤٦؛ حيث لم يعد أي مجال للمعارضة في الداخل، تزايدت القناعة بضرورة إطلاق مبادرة للحوار بين المعارضة الديموقراطية لأجل تشكيل حكومة منفى أو لجنة سياسية تحظى باعتراف دولي.

وقد تولى المبادرة لأجل ذلك الملك زوغو في أواخر ١٩٤٦ لسببين. أما السبب الأول فيكمن في أن الحرب الباردة قد بدأت بين حلفاء الأمس، التي شملت اليونان خلال ١٩٤٧-١٩٤٩؛ ولذلك أصبحت ألبانيا في أجندة الغرب. ومع هذا التحول في العلاقات الدولية رأى الملك زوغو أملا جديدا في إسقاط الحكم الشيوعي في ألبانيا بمساعدة الغرب. وأما السبب الثاني فيكمن في أنه خلال الحرب الأهلية في اليونان بين اليمين واليسار ١٩٤٧-١٩٤٩ برزت من جديد مطامع اليونان في جنوب ألبانيا، وهو الأمر الذي لم تخفهِ الوفود اليونانية التي كانت تزور الملك زوغو في مصر آنذاك[480]. ونظرا إلى خبرته السابقة مع بريطانيا خلال ١٩٤٠-١٩٤٥، حين أعطت لندن الأولوية لمصالحها مع اليونان، فقد وجّه الملك زوغو في مطلع ١٩٤٧ مذكرة إلى الولايات المتحدة وبريطانيا يطالب فيها باعترافها بحكومة ألبانية في المنفى لأجل الحفاظ على الوحدة الترابية لألبانيا. وبعد شهرين جاء الجواب من الولايات المتحدة وبريطانيا بأن اللحظة الحالية غير مناسبة لأجل تشكيل حكومة منفى، ولكن يمكن تشكيل لجنة سياسية. ولأجل ذلك جاء إلى القاهرة وفد أمريكي برئاسة مدير العلاقات الخارجية في وزارة الخارجية؛ حيث استمرت المباحثات أسبوعين وتتوجت بالتوصل إلى مسودة اتفاقية.

وبالاستناد إلى ذلك أرسل الملك زوغو المرافق الشخصي العقيد سلماني للاجتماع مع قادة اللاجئين السياسيين الألبانيين في معسكرات إيطاليا خلال شهر آب/ أغسطس ١٩٤٧. وقد حرص العقيد سلماني على اللقاء مع قادة الأحزاب السياسية («الجبهة القومية» و «الشرعية» و «التجمع القومي المستقل») مثل مدحت فراشري ومهدي فراشري M.Frasheri (١٨٧٤-١٩٦٣)[481] وجعفر ديفا وغيرهم. وخلال هذه اللقاءات مع قادة القوى السياسية الرئيسية تمركزت المباحثات حول موضوعين اثنين:نقل اللاجئين السياسيين الألبانيين

من معسكرات إيطاليا إلى دول الشرق الأوسط (مصر وسوريا إلخ)، وتشكيل لجنة سياسية تمثل المعارضة الديمقراطية الألبانية التي تهدف إلى حماية الوحدة الترابية لألبانيا وإسقاط الحكم الشيوعي فيها[(482)].

وفيما يتعلق بالموضوع الأول فقد تمّ الاتفاق على أن تُشكّل لجنة لأمور اللاجئين السياسيين، وبالتحديد لأجل نقل هؤلاء إلى دول الشرق الأوسط (مصر وسوريا إلخ)، ومتابعة أوضاعهم هناك. وقد انتخب رئيسا للجنة رئيس الوزراء الأسبق مهدي فراشري وأمينا للسر فاسيل أندوني V.Andoni، وضمّت في عضويتها ممثلين للأحزاب الألبانية. أما فيما يتعلق بالموضوع الثاني (تشكيل لجنة سياسية) فقد تم الاتفاق على المبادئ الأساسية بينما تركت مناقشة التفاصيل إلى ما بعد بسبب الخلافات بين «الجبهة القومية» التي تميل إلى النظام الجمهوري و حزب «الشرعية» الذي يصرّ على النظام الملكي، على أن يشارك في ذلك وسطاء من الولايات المتحدة وبريطانيا[(483)].

وفي غضون ذلك كانت الحرب الباردة قد أخذت تتصاعد منذ بداية ١٩٤٨ مع قيام الاتحاد السوفيتي بإحكام قبضته على تشيكوسلوفاكيا في شباط/فبراير ١٩٤٨ وتقديم المزيد من الدعم للحزب الشيوعي في الحرب الأهلية الدائرة في اليونان، ثم حصار برلين في حزيران/يونيو ١٩٤٨ وردّ الغرب بإقامة جسر جوي يتحدى الحصار. وفي هذا السياق شكّلت بريطانيا خلية عمل سياسية- أمنية- عسكرية باسم «لجنة روسيا» للقيام بعمليات اختراق داخل المعسكر الشيوعي لردع الاتحاد السوفيتي، وتم اختيار ألبانيا بحكم موقعها الإستراتيجي المطل على البحر الأدرياتيكي لتكون الخطوة الأولى، وهو ما أخذ موافقة وزير الخارجية إرنست بيفن في نهاية ١٩٤٨. ونظرا إلى أوضاع بريطانيا الصعبة بعد الحرب فقد رؤيَ أن تكون «العملية الألبانية» The Albanian Operation بالتنسيق مع الولايات المتحدة. ولذلك ذهب وفد من «لجنة روسيا» ودائرة المخابرات الخاصة SIS إلى واشنطن في آذار/مارس ١٩٤٩ للقاء المسئولين العسكريين والأمنيين في وكالة المخابرات المركزية CIA؛ حيث تم إدراج «العملية الألبانية» ضمن النشاط المشترك للطرفين. وخشية افتضاح العملية فقد فضّل الطرفان أن يكون تنفيذها بواسطة متطوعين من المقاتلين الألبانيين الذين لجئوا بعد نهاية الحرب الأهلية الألبانية إلى إيطاليا واليونان، وأن يكون هؤلاء تابعين من حيث الشكل لحكومة منفى تشكلها الولايات المتحدة وبريطانيا من زعماء الألبان الذين غادروا البلاد بعد وصول الحزب الشيوعي إلى الحكم[(484)].

ولأجل ذلك كان مهمًّا إشراك الملك زوغو في هذه العملية (التي كان الغرب يعوّل عليها باعتبارها الأولى ضد المعسكر الشيوعي)، وبالتحديد فيما يتعلق بحكومة المنفى المقترحة . وفي هذا السياق جاء أول فريق من وكالة المخابرات المركزية CIA إلى الإسكندرية في أيار/مايو ١٩٤٩ للقاء الملك . كان الوفد يتشكل من مسئولين (روبرت لو R.Low وروبرت ماينور R.Minor)، ويبدو أن اللقاء كان مشجعا مما جعل الملك يكتب بذلك إلى صديقه السفير الأمريكي في القاهرة جيفرسون كافري J.Caffery . وفي غضون ذلك كان موفد المخابرات

البريطانية MI6 جوليان إمري J.Emery يسعى في آثينا لتقريب الإخوة الأعداء (حزب «الجبهة القومية» ذي النزعة الجمهورية وحزب «الشرعية» الذي يريد عودة زوغو ملكا على ألبانيا). وتمكن إمري أخيرا من التوصل إلى حل وسط بحيث تكون الحكومة المؤقتة أو اللجنة السياسية برئاسة مدحت فراشري رئيس«الجبهة القومية»، وأن تكون اللجنة العسكرية التابعة لها برئاسة العقيد عباس كوبي A.Kupi مؤسس حزب «الشرعية» الموالي للملك زوغو[(485)].

وبعد هذا الإنجاز طار وفد المخابرات البريطانية- الأمريكية (روبرت لو وجوليان إمري و بيلي ماكلاين B.Mclean وهارولد بريكنز H.Prikens) إلى الإسكندرية للحصول على موافقة أو مباركة الملك زوغو على تشكيل الحكومة المؤقتة كما اتفق عليه في أثينا .كان اللقاء في ٨ تموز/يوليو ١٩٤٩، الذي شاركت فيه الملكة جيرالدين كمترجمة، عاصفا حتى إن الملك نهض عن كرسيه وطلب منهم مغادرة القصر.فقد شعر الملك بالإهانة وهو الذي كان يطالب بريطانيا بعد احتلال بلاده ولجوئه إلى لندن في ١٩٤٠ بتشكيل حكومة منفى، ثم تُعرض عليه الآن حكومة منفى برئاسة مدحت فراشري الذي يريد نظامًا جمهوريًّا لألبانيا (بعد تحريرها من الشيوعية). ولكن في اليوم التالي عاد الوفد بعرض أفضل قدّمه جوليان إمري ابن صديقه القديم ليوبولد إمري[(486)] L.Emery، بعد اعتذاره عن «الالتباس» الذي حصل في اليوم السابق، وقال إن الأمر لايتعلق بحكومة منفى تأخذ حقوقه الملكية بل بلجنة سياسية، وإنه بعد نجاح «العملية الألبانية» يمكن إجراء استفتاء في البلاد على نظام الحكم، وإنه من مصلحة ألبانيا ومصلحة الملك التعاون مع اللجنة لأجل إنجاح العملية . وبعد موافقة الملك زوغو، بعد أن أصبح رجله الموثوق عباس كوبي رئيسا للجنة العسكرية وسكرتيره الشخصي غاتشي غوغا G.Goga سكرتير اللجنة السياسية وسكرتير اللجنة العسكرية، وافق الطرفان على إصدار بيان وعلى اتفاقية في ١٤ تموز/ يوليو ١٩٤٩ [(487)].

وهكذا فقد طلب الملك زوغو من المفوضية الملكية الألبانية في القاهرة إصدار بيان إلى الشعب الألباني. ومع أن هذا البيان يؤكد على حاجة الألبان إلى الاتحاد للدفاع عن الوحدة الترابية لألبانيا التي يجب أن يكون لها مكانها «بين الشعوب الحرة والديمقراطية»، يلاحظ هنا استعداد الملك زوغو للقبول بانتخابات تحت إشراف دولي تؤدي إلى حكومة تؤمن الحرية للشعب الألباني[(488)].

ومع تأسيس هذه اللجنة السياسية (الجبهة القومية- ألبانيا الحرة) وتدريب المتطوعين الألبانيين في قاعدة بريطانية بمالطا وقاعدة أمريكية في ألمانيا الغربية بدأت عمليات الإنزال في ألبانيا سواء عن طريق البحر أو عن طريق الجو، وتعددت زيارات ضباط المخابرات الغربية إلى البلاط الملكي بالإسكندرية لأجل تنسيق الخطط ضد النظام الشيوعي الألباني. ففي كانون الثاني/ يناير ١٩٥٠ جاء في زيارة سرية إلى البلاط الملكي الألباني الملحق العسكري في السفارة الفرنسية بتيرانا. وخلال هذه الزيارة التي استمرت أربعة أيام تم تبادل الرأي حول تنظيم «انتفاضة محلية» في ألبانيا تحظى بمساعدة فورية من الخارج

لإسقاط النظام الشيوعي. إلا أن الملك زوغو كان حذرا من هذه الخطة؛ لأنه كان يخشى دائما من التدخل اليوناني في جنوب ألبانيا. ولذلك وجّه بعد عودة الملحق العسكري الفرنسي بيانا إلى الشعب الألباني لتحذيره من التورط في هكذا «انتفاضة» متسرعة في ألبانيا؛ لأن «كل انتفاضة قبل أوانها لن تكون في مصلحة ألبانيا، واليونانيين يتحينون فرصة كهذه لتحقيق أطماعهم في جنوب ألبانيا». وفي هذا البيان اشترط الملك زوغو لمثل هذه «الانتفاضة» أن تقدم الدول الكبرى (الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا) ضمانات لأجل تأمين وحدة التراب الوطني لألبانيا[(489)].

أما فيما يتعلق بدور مصر، أي تنظيم عملية عسكرية بمساعدة من مملكة عربية لأجل إسقاط النظام الشيوعي في ألبانيا، فتجدر الملاحظة أن مصر تحولت قبيل قدوم الملك زوغو إلى حاضنة لجامعة الدول العربية، التي عكست آنذاك طموح العرب إلى نوع من الاتحاد، وهو ماكان يحظى آنذاك بدعم الملك فاروق ضمن طموحاته للزعامة في العالم العربي[(490)]. وقد أيّد الملك زوغو بدوره هذا التوجه العروبي وربطته صداقة شخصية بأول أمين عام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام، الذي كانت له مغامرة مبكرة في ألبانيا خلال شبابه كما رأينا. وكما تروي الملكة جيرالدين في مذكراتها، فقد كان الملك فاروق يأتي عند الملك زوغو ويقضي ساعات معه في أحاديث سياسية[(491)]. وفي الحقيقة كان الملك فاروق يسعى في الوقت نفسه إلى زعامة عربية وخلافة في العالم الإسلامي[(492)]، وهو ماكان أيضا بدعم من عبد الرحمن عزام[(493)]. أما الملك زوغو فقد كان يؤيد الملك فاروق في طموحه الجديد لأنه كان يرى بذلك فرصة لألبانيا، أي في أن يحشد تأييدًا عربيًّا/ إسلاميًّا لأجل إسقاط الحكم الشيوعي في ألبانيا.وحسب ماترويه الملكة جيرالدين في مذكراتها فإنّ «السلطات المصرية قد أدركت جيدا رغبة الملك زوغو في أن يشجع مصر نحو تشكيل عالم عربي موحد يضم حوله كل الشعوب الإسلامية بما فيها ألبانيا»[(494)].

إلا أن الملك فاروق أُحبط بعد هزيمة الجيش المصري في حرب ١٩٤٨ حتى إنه أصبح يتهرب من الحديث في السياسة مع الملك زوغو[(495)]. وفي غضون ذلك كان الملك زوغو قد أصبحت له علاقة مع المملكة العربية المجاورة (السعودية) التي بدأت تتحول إلى قوة إقليمية بعد اكتشاف النفط وتحالفها مع الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥. وهكذا، حسب ما أوردته الملكة جيرالدين في مذكراتها، فإن قائدي السعودية (الملك عبد العزيز والملك سعود) قد عبَّرا عن اهتمام كبير بخطط الملك زوغو لتشكيل قوة عسكرية من الدول الإسلامية لأجل القيام بعملية عسكرية في اللحظة المناسبة لتحرير ألبانيا من حكم «أنور خوجا». فقد كان هؤلاء القادة يستقبلون الوفود الألبانية ويردّون على الرسائل بمنح مالية قيّمة. وقد أيدت الولايات المتحدة بدورها هذه الخطة، وخاصة فيما يتعلق بتشكيل القوة العسكرية، إذ إنهم كانوا يرغبون في إقامة معسكر لتدريب الألبان في ليبيا[(496)].

ولكن الملك زوغو فقد حماسه لمثل هذه العملية بعد اضطراب المنطقة خلال

١٩-١٩٥١ نتيجة لحرب ١٩٤٨. فمع هذه الأوضاع أدرك الملك زوغو أن مصير ألبانيا أصبح يرتبط بالغرب؛ ولذلك قرر مغادرة مصر والانتقال للاستقرار في الولايات المتحدة. ولأجل ذلك فقد عقد في الإسكندرية بتاريخ ٧ كانون الأول/ ديسمبر ١ اجتماعا لـ «المجلس الملكي»، الذي كان يضم كبار الشخصيات الألبانية مثل مهدي فراشري ومصطفى كرويا وحكمت دلفينا (من رؤساء الوزراء السابقين) وغيرهم. وفي هذا الاجتماع قال الملك زوغو بصراحة إن «الجامعة العربية لم يعد لديها أي تأثير بالمقارنة مع البلدان الغربية، وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا؛ لأن مصالحنا أصبحت مرتبطة بهذه البلدان»[497]. وبالاستناد إلى هذا التوجه الجديد ذهب الملك زوغو في زيارة طويلة إلى الولايات المتحدة في صيف ؛ حيث التقى هناك بشخصيات سياسية وأمنية في الإدارة الأمريكية كما التقى قيادات المعارضة الألبانية التي استقرت في الولايات المتحدة، كما اشترى قصرا يضم ٤٥ غرفة في لونغ أيلاند قرب نيويورك ليكون مقرًّا لإقامته[498].

ومع عودته إلى مصر أخذ الملك زوغو في الاستعداد للانتقال إلى الولايات المتحدة. ولأجل ذلك فقد باع قصره في الإسكندرية للأمير السعودي طلال بن عبد العزيز، الذي دفع عربونا ووعد بدفع كامل المبلغ في أقرب وقت. ومع هذا الوعد أخلى الملك زوغو القصر له وانتقل مع حاشيته إلى أحد فنادق الإسكندرية. إلا أن الأمير طلال اختفى وبقيَ الملك زوغو في انتظاره بالفندق حوالي سنة. وفي غضون ذلك توتر الوضع في مصر وقام الجيش المصري بانقلابه في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٢ وأرغم الملك فاروق على التنازل عن العرش لابنه الأمير أحمد فؤاد ومغادرة مصر، على حين أنه في حزيران/ يونيو ١٩٥٣ أُلغيَ النظام الملكي واختير اللواء محمد نجيب رئيسا للجمهورية. ومع هذه التطورات العاصفة بدأت بعض الصحف المصرية، بتوجيه مباشر أو غير مباشر،بشن الحملات الصحفية على الملك زوغو وصلت إلى حدّ اتهامه ببيع السلاح إلى إسرائيل. وزاد وضع الملك حرجا في نهاية ١٩٥٣ عندما أعلنت الحكومة الشيوعية في تيرانا اعتقال آخر مجموعة أنزلت في شمال ألبانيا، وضمت بعض الضباط الذين كانوا مع الملك في الإسكندرية، وعن إعدامهم وإعدام المئات من أقاربهم الذين التقوهم أو بكل من له علاقة بالنظام الملكي السابق في ألبانيا؛ مما دفع الولايات المتحدة وبريطانيا إلى التخلي عن «العملية الألبانية» والتنصل منها[499].

ومع هذه التطورات بدأ يتغير سلوك السلطات المصرية تجاه الملك زوغو وتجاه الألبان بشكل عام. وفي هذا السياق قامت وزارة الخارجية المصرية بإعلام القائم بأعمال المفوضية الملكية الألبانية في القاهرة في ٥ آب/أغسطس ١٩٥ بـ«توقّف عمل المفوضية الملكية الألبانية ابتداء من اليوم استنادا إلى قرار رئيس الجمهورية»[500]. ومع هذا القرار مُنح الملك زوغو وحاشيته أسبوعين فقط للاحتفاظ بجوازاتهم الدبلوماسية (التي أصدرتها المفوضية في القاهرة)، على حين أنه بعد مرور أسبوعين «سيفقدون كل حقوقهم الدبلوماسية». إلا أن الملك زوغو كتب إلى رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب ليشرح ظروفه ويطلب

فيه تمديد الفترة حتى شهر؛ لكي يتمكن هو وحاشيته (التي تضم ٤٣ شخصا) من مغادرة البلاد.

وعلى الرغم من موافقة رئيس الجمهورية على طلبه فإن السلطات المصرية صعّدت من ضغوطها على الملك زوغو؛ مما اضطره إلى الكتابة من جديد إلى رئيس الجمهورية، ولكنه لم يتلقَّ أي رد. ويلاحظ هنا أن بعض الصحف المصرية أخذت تشن حملة ضد الملك زوغو تقوم على افتراءات واضحة، ولم تقبل بنشر ردوده أو توضيحاته لتلك الافتراءات، وهو ماتزامن مع النزاع بين أركان الحكم الجديد وتنحية اللواء محمد نجيب عن رئاسة الجمهورية في أيار/ مايو ١٩٥٤ وبروز جمال عبد الناصر[501]. وفي غضون ذلك ساء وضع الأسرة الملكية الألبانية حيث مرض الملك زوغو وتوفيت أخته الأميرة نافية في آذار/ مارس ١٩٥٥ ودفنت بجوار أختها في حديقة التكية البكتاشية بالقاهرة. وفي هذه الظروف الصعبة بقيَ الملك زوغو ينتظر ظهور الأمير طلال ليأخذ منه ثمن القصر الذي باعه في الإسكندرية، بينما زادت ضغوط السلطات المصرية عليه حتى وصلت إلى مداهمة مقر إقامته بحجة التفتيش. ولم ينقذ الوضع سوى تدخل صديقه الرئيس السوري المقيم آنذاك في الإسكندرية شكري القوتلي، الذي تحدث بشأنه مع جمال عبد الناصر، الذي كان قد أصبح رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس الوزراء، فأمر بتسهيل سفر الملك زوغو.

وهكذا، بعد أن يأس الملك زوغو من ظهور الأمير طلال، جمع الملك قوته وغادر الإسكندرية مع حاشيته المؤلفة من أربعين شخصا في ٢٨ تموز/ يوليو ١٩٥٥ باتجاه باريس؛ حيث نزل هناك في بيت مستأجر بعد أن ساءت حالته الصحية إلى أن توفيَ هناك في ١٩٦١. ولاشك في أن مغادرة الملك زوغو وحاشيته قد سرّعت أيضا من مغادرة من بقيَ من ألبان مصر باستثناء بعض العائلات التي بقيت لارتباطها بمصر. ومن هذه العائلات كانت عائلة أخيه الأمير جلال زوغو (١٨٨١-١٩٤٤) حيث بقيت زوجة أخيه الأميرة حورية وبناتها الثلاث. وبعد وفاتها في الإسكندرية عام١٩٩٣ توفيت ابنتها الأميرة إلفيرا Elvera (زوجة) في ١، وبقيت هناك ابنتها الثانية الأميرة ميليتا Melita (التي تزوجت الكابتن عبد العزيز خضر)، وابنتها الثالثة الأميرة فيرا Vera (التي تزوجت رجل الأعمال عيساوي خضر).



الملك أحمد زوغو مع الملك فاروق في أحد جوامع القاهرة



الملك أحمد زوغو مع أخواته الأميرات، وإلى يساره الشيخ صالح مفتيا



الملك أحمد زوغو مع ملك إيطاليا عمانوئيل الثالث في الغداء الذي أقامه الملك فاروق بمناسبة المصالحة بين الملكين في الإسكندرية



الملك أحمد زوغو والملك فاروق في رحلة صيد



الملك أحمد زوغو وزوجته الملكة جيرالدين في جولة بين آثار الأقصر



قصر الملك أحمد زوغو أو «البلاط الملكي الألباني» في الإسكندرية، الذي اشتراه الأمير طلال بن عبد العزيز في ١٩٥١، ثم هدم بعد ذلك



الملكة جيرالدين في زيارة لأحد مستشفيات القاهرة

---

(464) للمزيد عن أحمد زوغو وتجربته في الحكم في ألبانيا خلال ١٩٢٠-١٩٣٩ انظر مقدمة كتاب: من مذكرات ملك ألبانيا أحمد زوغو في مصر ١٩٤٦-١٩٥٥،ترجمة وتقديم محمد م. الأرناؤوط، بيروت (جداول) ٢٠١٥، ص ١٥-٣٦.

(465) **B. J. Fischer, Mbreti Zog dhe përpjekja për stabilitet në Shqipëri, përktheu Krenar Hajdari, Tiranë (Çabaj) 1996, p. 322.**

.Muharrem Dezhgiu, Shqipëria nën pushtimin italian 1939 - 1943, Tiranë (Eneas) 2015, f. 91 - 97 (466

(467) كانت المشكلة في الضمانات التي طلبها أحمد زوغو لمستقبل ألبانيا، وبالتحديد ضمان حدودها كما كانت تعترف بها عصبة الأمم منذ ١٩٢٠، ولكن بريطانيا رفضت ذلك بسبب حرصها على علاقتها مع اليونان. وتكشف الوثائق البريطانية كيف أنه طُلب من الملك زوغو ألا يعطي أي مقابلة مع وسائل الإعلام دون إذن مسبق من وزارة الخارجية. ولذلك احتجت اليونان على مقابلة للملك زغو مع جريدة «مانشستر غارديان» لمجرد أنه قال إن «ميثاق الأطلسي» يضمن لألبانيا «سيادة كاملة ضمن حدودها»:

Neil Ress, Mërgimi mbretëror, përktheu Xhevat Lloshi, Tiranë 2012, pp. 41 - 49; Blend Fevziu, Presidenti që u bë . mbret: Ahmet Zogu, Tiranë (Uetpress) 2014, pp. 175 - 189

.Beqir Meta, “Emigracioni politik shqiptar pas Luftës II Botërore”, Univers 2, Tiranë 2002, p. 203 (468

وقد صدر خلال كتابة هذا الفصل كتاب مرجعي عن الحرب الأهلية في ألبانيا بين اليمين (الملكي والجمهوري) واليسار (الحزب الشيوعي) وانتهت بوصول الحزب الشيوعي إلى الحكم بدعم من الحلفاء (الاتحاد السوفيتي عبر يوغسلافيا وبريطانيا)، ولجوء قادة اليمين وأنصارهم إلى الدول المجاورة:

Uran Butka, Lufta civile në Shqipëri 1943 - 1945, Tiranë (Instituti i Studimit të Krimeve dhe Pasojeve të Komunizmit) .2015

.Hysni Myzeri (redaktor), Historia e Shqipërisë dhe e shqiptarëve, Prizren 2001, p.325 (469

.Gwen Robyns, Gardiana e shqiptarëve- Biografi e autorizuar, Përktheu Zhilda Dervishi, Tirana (Uet) 2012, p. 151 (470

(471) سفير ومؤرخ، درس في إستانبول وعمل في المفوضية الملكية الألبانية في إستانبول حتى ١٩٤٦، ثم تولى المفوضية الملكية في القاهرة حتى ١٩٥٥. وبعد إغلاق هذه المفوضية غادر إلى الولايات المتحدة واستقر في شيكاغو حتى وفاته. في ١٩٦٧ نشر بالإنكليزية كتابا عن تاريخ ألبانيا حتى الاستقلال:

.Abdul Syla, Albanian’s Struggle for Independence, New York 1967

(472) الأمير عمر إبراهيم (١٩٠٣-١٩٧٧) حفيد محمد علي باشا عُرف بثقافته وحبه للفنون والعمل الخيري، ويقال إن اللواء محمد نجيب بعد نجاح الانقلاب قال له: «لو كنت ملكا ما كنا هنا اليوم».

.Husein Selmani, Nga notimet e Zogut I Mbretit të shqiptarëve, Tiranë 2008, p. 602 (2)(473

(474) مدحت فراشري (١٨٨٠-١٩٤٩)؛ ابن أحد رموز النهضة القومية الألبانية (عبدل فراشري)، درس الصيدلة في جامعة إستانبول وانضم إلى الحركة القومية الألبانية في وقت مبكر؛ حيث شارك في مؤتمر توحيد الأبجدية في مناستير ١٩٠٨، وفي إعلان استقلال ألبانيا في ٢٨/١١/١٩١٢، وأصبح وزيرًا للأشغال العامة في أول حكومة ألبانية. توفيَ في نيويورك بعيد اختياره رئيسا للجنة المذكورة.

.Selami, Nga notimet, p. 602 (475

(476) كان جهاز المخابرات في النظام الشيوعي الجديد في يوغسلافيا المجاورة مهتمًّا جدًّا بنشاط هؤلاء اللاجئين الألبانيين الذين جاءوا إلى مصر أو بلاد الشام بعد توتّر العلاقات بينه وبين النظام الشيوعي في ألبانيا منذ صيف ١٩٤٨؛ وذلك تحسّبا لامتداد نشاطهم إلى يوغسلافيا ذاتها أو سعيا إلى تجنيد بعضهم لأجل تغيير القيادة الحاكمة في ألبانيا التي انحازت إلى الاتحاد السوفيتي ضد القيادة التيتوية. ولذلك تحفل وثائق جهاز المخابرات اليوغسلافية التي نشرت مؤخرا بتفاصيل كثيرة عن هذه الشخصيات واجتماعاتها وتوجهاتها وما كان يدور في اجتماعاتها؛ وهو ما يدل على وجود عناصر متعاونة معهم من بين هذه الشخصيات:

Dosja sekrete e UDB-së: Emigracioni shqiptar 1944 - 1953, Pishtinë (koha) 2004, pp. 564 - 576

(477) المصدر السابق، ص ٥٦٤-٥٧٣.

(478) شوكت غاوجي، ذكرياتي عن ألبانيا ومصر وبلاد الشام في القرن العشرين، بيروت (جداول) ٢٠١١، ص ٤٠-٤١.

.Selami, Nga notimet, pp. 646 - 645 (479

.Ibid., pp. 651 - 655 (480

(481) مفكر وسياسي ودبلوماسي عثماني/ ألباني معروف. كان حاكما لمتصرفية القدس في ١٩١٢ وشارك بعدها في الحركة القومية الألبانية التي قادت إلى الاستقلال، وأصبح نائبا في أول برلمان منتخب (١٩٢١-١٩٢٣) ورئيسا للوزراء في ١٩٣٥-١٩٣٦، ورئيسا لمجلس الدولة في ١٩٤٣، وتفرغ في أواخر حياته للتأليف في التاريخ والأدب.

(482 Ibid., pp. 604 - 613.

(483 Ibid.

(484 Nicholas Bethell, The Great Betrayed - The Untold Story of Kim Philby's Biggest Coup, London (Hodder and Stoughter)1984, pp. 35 - 37,39,58.

(485)(1) Selmani, Nga notimet, pp. 622 - 625

(486) المقصود هنا السياسي البريطاني المعروف ليوبولد إمري (١٨٧٣-١٩٥٥)، الذي أصبح نائبا في البرلمان في ١٩١١، ثم وزيرا عدة مرات في الحكومات المتعاقبة منذ الحرب العالمية الأولى حتى الحرب العالمية الثانية.

(487 Robyns, Geraldina e shqiptarëve, pp. 195.

ولدينا تفاصيل مثيرة عن هذا اللقاء العاصف في مذكرات المرافق الخاص للملك زوغو:

Selmani, Nga notimet, pp. 622 - 62.

(488) انظر نصّ البيان كاملا في مذكرات المرافق الخاص للملك زوغو:

سلماني، من مذكرات ملك ألبانيا، ص ١٢٦-١٢٧.

(489 Selmani, Nga notimet, pp. 639 - 640.

(490) للمزيد حول طموحات الملك فاروق للزعامة العربية انظر:

لطيفة محمد سالم، فاروق من الميلاد إلى الرحيل، الطبعة الثالثة، القاهرة (دار الشروق) ٢٠١٠، ص٦٣٤-٦٧٩.

(491 Robyns, Geraldina e shqiptarëve, p. 156.

(492) للمزيد حول طموح الملك فاروق للخلافة انظر:

سالم، فاروق من الميلاد إلى الرحيل، ص ٥٩٩-٦٣٤؛ أمل فهمي، الملك فاروق والخلافة الإسلامية، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٠١٣.

(493) مع تحفظ بعض العلماء والساسة على طموح الملك فاروق للخلافة بسبب أصله الألباني؛ حيث إن من شروط الخلافة النسب العربي الأصيل، بادر عبد الرحمن عزام في نيسان/ إبريل ١٩٣٩ إلى نشر مقالة عن ألبانيا والألبان ركّز فيها على أن الألبان من أصل عربي وأنهم ينحدرون من جبلة بن الأيهم:

ذكريات عبد الرحمن عزام عن بلاد الأرنؤوط : أحفاد جبلة بن الأيهم/ قبائل الألبان من أصل عربي، جريدة «الجزيرة»، دمشق ١٩٣٩/٤/١٠ .

ومن هنا ليس بالصدفة أن يكون عبد الرحمن عزام أول أمين عام لجامعة الدول العربية، وأن يستمر في خدمة المشروع الجديد(العروبي) للملك فاروق.

(494 Robyns, Geraldina e shqiptarëve, p. 156..

(495 Robyns, Geraldina e shqiptarëve, p. 165.

(496 Ibid.

(497) في مذكرات الملك لاتوجد أسماء محددة ولكن أصبح من المعروف الآن أن الملك التقى في وزارة الخارجية نائب مساعد وزير الخارجية فقط، بينما كان اللقاء الأهم مع المسئول عن «العملية الألبانية» في وكالة الاستخبارات المركزية غريتان ياتسفيتش:

Jason Tomes, King Zog Self-made Monarch of Albania, London (Sutton) 2007, p. 276.

(498 Robyns, Geraldina e shqiptarëve, p. 276.

(499)(١) ساهم فرار الجاسوس البريطاني المزدوج كيم فيلبي إلى موسكو في ١٩٦٣ في إعادة فتح ملف «العملية الألبانية»؛ حيث إنه كان يتولى التنسيق في واشنطن بين المخابرات البريطانية والمخابرات الأمريكية حول العملية ويزود موسكو بمواعيد الإنزال التي كانت تصل فورا إلى تيرانا، إلى أن صدر في ١٩٨٤ كتاب نيكولاس بيثل «الخيانة الكبرى» في ١٩٨٤ معتمدا على شهادات المشاركين الأمريكيين والبريطانيين والألبانيين في هذه العملية . وقد صدر خلال كتابة هذا الفصل كتاب مهم يضم شهادات كل المسئولين والمشاركين في هذه العملية ممن بقوا على قبد الحياة :

Nicholas Bethell, The Albanian Operation of the CIA and MI6 1949 - 1953, edited by R. Elsie and B. Destani, Jefferson (McFarlan) 2016.

(500) لدينا قرار رئيس الجمهورية ورد الملك زوغو عليه في مذكرات المرافق الخاص للملك:

Selmani, Nga notimet, pp. 668 - 66.

(501) نشأت مشاكل الملك زوغو مع حملة الاتهامات له بمساعدة الملك فاروق على تهريب ثروته وقيامه بتهريب العملة الصعبة والذهب، ومطالبته بالكشف عن مصادر ثروته الموجودة وبدفع مستحقاته الضريبية؛ حيث حجزت ثروته المودعة في بنك مصر كما حجزت جوازات سفر الأسرة الملكية، ولم يعد يستطيع سحب أي مبلغ لدفع ديونه المترتبة على الإقامة في الفندق والمصاريف والضرائب على البيت الذي اشتراه في نيويورك. وعلى الرغم من تدخل الرئيس شكري القوتلي وأمر الرئيس عبد الناصر بفك الحجز عن أمواله وجوازات السفر فإن المشكلة الأخيرة كانت في كيفية سحب الأموال المودعة في البنك. فقد كان الملك زوغو قد أودع مابقيَ من ثروته بالذهب بالدولار الأمريكي؛ حيث كان كل دولار ذهبي أمريكي يعادل ٢٨ جنيهًا، ولكن الحكومة قررت يومئذ أن سعر الصرف ١١ جنيهًا مصريًّا؛ مما ترتّب على ذلك خسارة الملك ١٧٤ ألف جنيه إسترليني، وكان في حد ذاته ثروة كبيرة في ذلك الوقت:
سلماني، من مذكرات ملك ألبانيا، ص١٩٧-١٩٨.

خاتمة

يكشف هذا الكتاب عن «الجالية المخفية» (الألبانية) في الدراسات المصرية الحديثة عن الجاليات الأجنبية العديدة التي كانت موجودة في مصر، وهي التي كانت في منتصف القرن العشرين تعتبر الخامسة في مصر من حيث العدد والوضع الاقتصادي قبل أن تنحسر بالتدريج ولا يبقى منها سوى الأفراد والآثار والذكريات هنا وهناك .

وبالمقارنة مع الجاليات الأخرى، كما يظهر في هذا الكتاب، فقد تميّز الوجود الألباني في مصر بالاستمرارية في الدول الأخيرة التي حكمت مصر (المملوكية والعثمانية وأسرة محمد علي)، مع ما يميز ذلك الوجود من وجود سلاطين وولاة وحكّام ألبان ترك بعضهم بصمته في تاريخ مصر مثل محمد علي باشا، وهو ما برز في الاحتفال بالذكرى المئوية الثانية لوصوله إلى الحكم طيلة ٢٠٠٥.

وعلى الرغم من الاستمرارية في توافد الألبان على مصر، الذي ازداد بشكل واضح في القرن التاسع عشر بعد وصول محمد علي باشا للحكم، فإن الموجات الأولى كانت تتكون غالبيتها من المتطوعين للخدمة العسكرية ومن المسلمين، ولذلك غابت في ساحات القتال في مصر والجزيرة العربية وبلاد الشام واختلطت بالزواج مع المجتمع المحلي . أما الموجات اللاحقة فقد جاءت مصر في النصف الثاني للقرن التاسع عشر من ألبانيا الجنوبية ذات الغالبية الأرثوذكسية، في الفترة التي كانت فيها النهضة القومية الألبانية تتجلى في الأفكار والجمعيات والصحافة المطالبة باستقلال ذاتي أو كامل للألبان عن الحكم العثماني .

ومن هنا فقد تحولت مصر إلى مركز مهم من مراكز النهضة القومية الألبانية التي تتوجت باستقلال ألبانيا في ١٩١٢؛ حيث برزت فيها الأفكار الداعية إلى التوحّد بين الألبان على أساس اللغة والثقافة وليس على أساس الدين، وإلى التحرر من الحكم العثماني الذي استمر حوالي ذلك وصدرت فيها الكتب الرائدة في اللغة الألبانية، كما برزت فيها مجموعة من الأدباء الذين حظيَ بعضهم بمكانة مهمة على صعيد الأدب الألباني ككل (مثل ميلودوتشي وفيليب شيروكا وأندون زاكو تشايوبي) ولا تزال أعمالهم تطبع وتلهم الأجيال الشابة.

وعلى الرغم من أن «النهضة القومية الألبانية»، التي ساهم فيها ألبان مصر بشكل فعّال، تتوجت بإعلان استقلال ألبانيا عن الدولة العثمانية في أواخر ١٩١٢ ومشاركة شخصيات ألبانية من مصر في الحكومة الألبانية الأولى وفي مؤسسات الدولة الجديدة، فإن استمرار الحرب البلقانية ١٩١٢-١٩١٣ واندلاع الحرب العالمية الأولى جعلا ألبانيا ميدانا للقتال بين الجيوش ومجالا لأطماع الدول المجاورة التي تمثلت في معاهدة لندن السرية ١٩١٥؛ وهو ما أخّر استقرار الدولة الوليدة . وبسبب ذلك فقد أصبحت الحركة بين مصر وألبانيا في اتجاهين؛ حيث عادت شخصيات معروفة إلى ألبانيا بعد الاستقلال بينما استمرت أعداد من الألبان في الوفود إلى مصر والاستقرار فيها في فترة مابين

الحربين، التي وصلت الجالية إلى ذروتها من حيث العدد والنشاط الاقتصادي.

وفي هذا السياق برز هناك تنافس على ترشيح أمير لعرش ألبانيا خلال ١٩١٢-١٩١٣، التي أضحت مع مؤتمر لندن ١٩١٢-١٩١٣ دولة تحت انتداب الدول الأوروبية الكبرى التي أخذت على عاتقها اختيار حاكم لها ووضع دستور وتنظيم أمورها المالية. وعلى الرغم من أن الأمير فؤاد كان من أهم المرشحين لهذا العرش وحظيَ بدعم واضح في ألبانيا وتأييد من قبل ألبان مصر، وهو ما كان مناسبة لاستعراض ما يعنيه أن يكون أمير من سلالة محمد علي باشا على رأس الدولة الألبانية المستقلة، فإن معارضة فيينا له بسبب علاقته بإيطاليا التي درس فيها أدّت إلى اختيار نبيل ألماني (ولهلم فون فيد) على الرغم من معارضة قريبه الإمبراطور ولهلم الثاني (١٨٨٨-١٩١٨) الذي كان يراه غير مناسب لهذا العرش . وعلى حين أن إفشال وصول الأمير فؤاد إلى عرش ألبانيا أدى إلى بروز معارضة مسلحة في وسط البلاد لـ«الأمير الأجنبي» الذي لم يبقَ في ألبانيا سوى ثلاثة أشهر، فقد أدت الظروف المستجدة في مصر بالأمير فؤاد إلى أن يصبح سلطانا على مصر في ١٩١٧ وملكا على مصر بعد استقلالها في ١؛ حيث شهدت فترة حكمه حتى ١٩٣٦ توطيد العلاقات بين مصر وألبانيا ووصول الجالية الألبانية في مصر إلى ذروتها في ذلك العام.

ومن ناحية أخرى فقد تميّز عهد ابنه الملك فاروق ١٩٣٦-١٩٥٢ باستمرار الصلة الخاصة مع ألبان مصر، خصوصًا مع دعوته ملك ألبانيا أحمد زوغو للإقامة في مصر بعد أن احتلت إيطاليا ألبانيا في ١٩٣٩ وتمكن الحزب الشيوعي من الوصول إلى الحكم في ١٩٤٥ وإعلان ألبانيا «جمهورية شعبية» في ١٩٤٦ . وتمثل سنوات إقامة الملك زوغو في مصر ١٩٤٦-١٩٥٥؛ حيث تمّ الترحيب به ملكًا واستقر فيها مع نخبة عسكرية وسياسية تعمل على استعادة ألبانيا من الحكم الشيوعي، فصلا مثيرا من العلاقات الألبانية المصرية لأن وجود الملك زوغو في مصر ترافق مع انطلاق الحرب الباردة وبدء «العمليات الخاصة» بتنسيق من الملك زوغو وأجهزة غربية لإسقاط النظام الشيوعي في ألبانيا .

وعلى الرغم من العلاقة الشخصية التي ربطت بين الملكين فاروق وزوغو والنقاشات السياسية بينهما، وخاصة قبل وبعد حرب ١٩٤٨، فإن الملك زوغو لم يكن يوفر أي فرصة سواء للتعبير عن عدم ارتياحه لحكم الملك فاروق أو لتوجيه أنظاره إلى بعض المشاكل وتقديم بعض النصائح له وحتى تحذيره من قيام الجيش ضده . ولكن كل هذا لم يفد بشيء وقام الجيش بـ «الحركة المباركة»، كما سماها آنذاك، في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٢ التي طالت الملكين معا . ومن ناحية أخرى فقد طالت الجمهورية الجديدة التي أعلنت في ١٩٥٣ الجاليات الأجنبية في مصر، وخاصة الجالية الألبانية التي ارتبطت أكثر بالملك فاروق، التي بدأت تتقلص بسرعة في خمسينيات وستينيات القرن الماضي نتيجة للتمصير والتأميم والتوجه الاشتراكي للنظام الجديد في مصر .

ومن هنا يكشف هذا الكتاب عن فصول من العلاقات التاريخية بين ألبانيا ومصر،

وبالتحديد عن الظروف التي آدت إلى توافد آو تدفق الألبان إلى مصر وعن الدور المتزايد لألبان مصر، التي أصبحت لها مكانتها في العالم الألباني بحكم إسهام هؤلاء في الحياة السياسية والثقافية الألبانية ودورهم في إنشاء ألبانيا المستقلة خلال ١٩١٢-١٩١٣ . ومن الواضح هنا أن عنوان الكتاب يشير إلى وجود فصول أخرى تستحق أن تضم إلى الكتاب في طبعة قادمة تكشف عن جوانب أخرى من تاريخ «ألبان مصر»، الذين كانوا بمثابة الجسر الحي الذي ربط بين البلدين والشعبين، وخاصة فيما يتعلق بدورهم السياسي والاقتصادي والثقافي في مصر.

الملاحق

ملحق ١:

(الفصل الخامس)

رسالة السفير العثماني في لندن محمد نامق
إلى حكومته في ٣/٥/١٨٣٥ حول موقف فيينا ولندن
من تدخل محمد علي في البلقان

«لقد دعاني السفير النمساوي في لندن الأمير استراخن وقرأ عليَّ بالحرف بعض الأمور التي تتعلق بالدولة العثمانية الخالدة؛ نظرا لأنه جاءته توصية بذلك من الأمير مترنيخ، وهي الأمور التي أعرضها هنا:

«إن الدولة النمساوية، شأنها شأن كل الأوروبيين، ترغب في الحفاظ على الأمن والنظام والهدوء في الإمبراطورية العثمانية. ولكن نظرا لأن محمد علي تدخل في أرجاء الإمبراطورية العثمانية وخلق لها المتاعب، فإن هذا الهدف لايمكن أن يتحقق بالشكل الذي يرجوه الجميع. إن السبب في هذه الحالة هو الباشا المذكور. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يهدف إلى أن يثير القلاقل في ألبانيا بواسطة مصطفى باشا حاكم كريت. وفي هذه المرة فقد حرّض وخدع طفيل بوزي. ومع أن الدولة العثمانية كانت حريصة على إخماد هذه القلاقل الواحدة بعد الأخرى إلا أن الوضع لم يستتبّ في تلك الأرجاء. ليس هناك من شك في صدقية الأخبار حول تلك الأوضاع المضطربة. ولإثبات ذلك هناك مراسلات لمصطفى باشا المذكور مع بعض الزعماء الموجودين في ألبانيا. إن الأمير مترنيخ. وبطلب من الأمير فإن السفير (النمساوي - م. الأرنؤوط) سيعرض هذه الأمور على وزير الخارجية الإنكليزي بهدف أن تقوم الدولة بتوجيه قناصلها في أشقودرة وكريت وألبانيا والسفير المفوّض لدى الحكومة اليونانية لكي ينتبهوا ويعرقلوا أي نشاط سيئ لمحمد علي.

«هذا ماورد في النص المذكور: وقد وعدني السفير المذكور أن يثير هذه الأمور مع رئيس الحكومة الإنكليزية، وسيتقل لي الجواب الذي سيحصل عليه بعد عدة أيام، وسأقوم بإرساله فور وصوله إليَّ».

المصدر:

.Kryengritjet popullore ne vitet 30 te shekullit XIX- Dokumente osmane, Tirane (Instistuti i historise) 1978, pp.192 - 193

ملحق ٢:
(الفصل الخامس)
رسالة الصدر الأعظم إلى مشير البلاط في أيلول ١٨٣٥ حول تحذير روسيا لمحمد علي

«لقد زار البارحة تلماك Telmak **وزير الخارجية وأخبره أنه بعد انتشار الخبر قام السفير الروسي – م. الأرناؤوط) بالكتابة إلى دوهامل القنصل الروسي في الإسكندرية بأنه لو ثبت أن والي مصر له يد في هذه الانتفاضة فسيلحق به الضرر من جرّاء ذلك، ولذا فإن عليه أن يقطع أية صلة بها.**

وفي الجواب الذي جاءه الآن من دوهامل ورد أن المذكور (محمد علي) قال له: «لقد قابلت طفيل بوزي مرة واحدة في حياتي. وبعد صلح كوتاهية لم تعد لي مراسلات مع أي رجل آخر باستثناء ممثلي في العاصمة وصرّافي هناك. وحتى طفيل بوزي المذكور فقد زكّاه لي مصطفى باشا سر عسكر كريت، وخصّصت له راتبا شهريا مقداره ٥٠٠٠ قرش بسبب ظروفه المادية الصعبة... وفيما يتعلق بالانتفاضة في ألبانيا فهي ليست بالأمر العظيم بالنسبة لي. ان هذا (ضعف الانتفاضة - م. الأرنؤوط) يثبت أنه ليس لي يد فيها؛ لأنه لو كان لي يد فيها ما كانت كذلك».

المصدر :

-Kryengritjet popullore ne vitet 30 te shekullit XIX

Dokumente osmane, Tirane (Instituti i historise) 178, pp. 269 - 270

ملحق ٣:
(الفصل الخامس)
رسالة إلى الأمير مترنيخ من رئيس مكتب زادار بتاريخ ٣/١١/١٨٣٦ بالاستناد إلى تقرير نائب القنصل النمساوي في أشقودرة بتاريخ ١٨٣٦

إن مبعوثي محمد علي لم يصلوا إلى هذه الباشوية (أشقودرة - م. الأرنؤوط) ولن يصلوا بالتأكيد للأسباب التالية:

(أ) إن باشوية أشقودرة في حالة حرب مستمرة مع سلطة السلطان، سواء بالسلام أو بالأفكار أو برفض الأومار لتقديم مجندين أو حول تخفيض العملة أو حول ضريبة العشور إلخ.

إن هذا الموقف العدائي معروف لحكومة السلطان، ولذلك فهي تحرص بوعي على مراقبة الأشخاص الأجانب بدقة يمكن أن يُحسد عليها من قبل الدول الأوروبية. ولذلك فإنّ مبعوثي محمد علي يمكن أن يتمّ اكتشافهم بسرعة.

(ب) إن حاكم مصر يعرف أن لديه أنصارا بين الألبان في باشوية أشقودرة. فهو كان يستقبل ويكرّم ويغدق الأموال لكل أولئك المتمردين الذين كانوا يغادرون ألبانيا. وقد أمّن لهم وثائق للعودة إلى بلادهم، حيث إنهم مع وصولهم إلى أشقودرة كانوا يتحدثون عن استقباله لهم، مما كان يزيد في نفوذه هناك.

(جـ) إن حاكم مصر يعرف أنه له مؤيدين علنيين له في كل ألبانيا وليس فقط بين الألبان الذين عادوا من مصر. وكل أولئك يفرحون لهرب قائد الأسطول (العثماني إلى مصر - م. الأرنؤوط)، ويعتقدون أن محمد علي شخص غير عادي، محمي من السماء، حمل مسئولية حماية الإسلام.

(د) أن محمد علي يعرف حقّ المعرفة أنه لايمكن أن يشعل انتفاضة في أشقودرة بواسطة الوعود الفارغة لمبعوثيه، حيث إن القلعة ههناك مليئة بالأسلاح والعتاد ويمكن أن تحوّل المدينة إلى ركام. ولكن الانتفاضة يمكن أن تشتعل هناك حين تأتي سفينة واحدة تحمل العمل المصري وترسي المرساة في ميناء القديس جوفاني أو ميناء أولتشين أو ميناء تيفار؛ حيث يمكن أن تنزل عددا قليلا من الرجال والأهم من ذلك العتاد والمال.

المصدر:

,Bedrush Shehu, Ceshtja shqiptare ne vitet 30 te shek XIX

Prishtine (Instituti i historise) 1990, pp. 212 - 214.

ملحق ٤:

(الفصل السادس)
الأغاني التاريخية عن محمد علي
في «النحلة الألبانية»

ـ أ ـ

في عصر يوم الخميس
اندلع النزاع في مصر(*)(502)
ليعرف محمد علي
أنه قد حوصر في القلعة.
في مصر وبولاق(**)(503)
كانت الجمال تحمل الذخيرة
وكان هناك الكثير من الألبان الموالين للأتراك(***)(504)
والأكثر من الغيغ والتوسك(****)(505)
أنا رجب تشولاكو.(*****)(506)
قولوا للوزير ذاته:
لن أخرج من مصر حيًّا
إذا لم يدفع لي حقي.(******)(507)
أرسل الوزير مع المدعو كرجالي(*)(508)
رسالة سريعة:
سارعوا لأخذ الجامع(**)(509)
لأنهم سيفضحونا بذلك.
في قلب مصر
اندلع النزاع هناك،
قال رجب للوزير:
سيصل الدم إلى الركب!
أرهبوه بعمر بك(***)(510)
حتى تُخرجوا رجب تشولاكو
وتدفعوا له علوفته.(****)(511)
لتمجّدك الأغاني يا رجب السيف،
يا بطل ألبانيا،
وليجعلك الله باشا في أرجاء الدولة.

ـ ب ـ

في عصر يوم الخميس
اندلع النزاع في مصر

وليعلم محمد علي
أنه قد حاصره رجب آغا.(*****)(512)
بعض الغيغ وبعض التوسك
ذهبوا واستحكموا في بولاق:
من أراد أن يموت بشرف
فعليه أن يحارب الألبان المستتركين(*)(513)
أيها الأتراك والألبان المستتركون
اخرجوا إلى الميدان لنتواجه،
لنمسك واحدنا بالآخر.
وليسمع واحدنا الآخر.
قال رجب آغا أولًا:
لنحب بعضنا بعضًا
لكي نفوز في الحرب
حيث لديَّ الأمل في النصر.
ليجعلك اللّٰه باشا يا رجب آغا
بدعوات الفقراء.
أما رستم ديبرا البطل
الذي يستمد بطولته من عشيرته
فقد سارع وسيطر على الجامع(**)(514)
وهو يطلق القنابل.
أما علي تشريزي البريزريني(***)(515)
فقد اختبأ كامرأة في القلعة:
اضربوا يا شباب واهجموا،
لأنني لست بقادر على البندقية!

- ج -

رستم ديبرا رجل السيف
سارع وسيطر على المسجد،
أثبت بطولته
ودلل على انحداره من قبيلة ألبانية.
في مصر نادى تشولاكو:
أين أنتم أيها الألبان؟
لقد وصل الدم إلى الركب
ولن نترك علوفتنا دون أن نأخذها.
ألا يعرف الباشا، ألا يعرف الوزير؟
إنهم يدعونني تشولاكو المسكين،
ولن أخرج قدمي من مصر

قبل أن آخذ علوفتي بحد السيف.
رستم ديبرا البطل
حوصر في باب اللوق
وفعل كما قال:
اليوم هو يوم الصمود!

ـ د ـ

كل الملوك يعرفون
مكانة محمد علي
وابنه الأسد إبراهيم باشا
الذي أرسله للحرب ضد الدولة العلية.
قال إبراهيم جملة واحدة:
لقد أمرنا الله
أن نحمل السلاح.
هبّ وذهب إلى قونية،
حيث رتب الجيش هناك
فرنك باشا والمنكلي(*)(516)
وأرسلا الفرسان.
وأمسكوا بالصدر الأعظم كفأر(**)(517)

ملحق ٥:
(الفصل التاسع)
رسالة عبد الرحمن عزام إلى الأمير فؤاد حول ترشيحه لعرش ألبانيا

«أبعث إلى سموكم بهذه الرسالة لأنني أعرف أن أمورها (ألبانيا) تهم سيادتكم. سافرتُ إلى ألبانيا محاولا ملاحظة الاتجاهات والميول الفكرية ومعرفة رغبات الأحزاب.. وقابلت العديد من الزعماء والأعيان. ووجدتهم متفقين على أمر واحد: «برنس» من العرب يتصل بالقرابة بالأسرة الخديوية. الفكرة يعتنقها الناس إلى حد أن الكثيرين ممن لا يعرفون مصر قد أعلموني بأنهم لايريدون أحدا سوى سموكم. وإذا أتيحت لي الفرصة، أستطيع أن أعدّد أفراد جماعة الشيوخ والأعيان الذين أكدوا بأن بلادهم ستضيع إذا لم يكن شاه الألبان مسلما من مصر أو إستانبول، وكلهم يرغبون بأمير عربي. وقد ظهرت جريدة، وعقدت اجتماعات في الداخل لتحقيق أهداف المسلمين الألبان، ولربما عرفت ذلك يا صاحب السمو.

أطلب منكم عدم رفض العرش الألباني يا سيدي. لأنه عند تتويج أي ملك في أوربا يراودني الأمل بأن يتيح لي الله أن أرى التاج يوضع على رأس أمير من بلادي المحبوبة. فإذا قلتم يا صاحب السمو «من هم الألبان، ولماذا أهتم بهم؟»، ورفضتم هذه المملكة، فاسمح لي أن أقول إن الوطن والدين يفرضان عليكم القبول وبذل الجهود الحثيثة. لأنه إذا رفضتم يا صاحب السمو، وجلس أمير مسيحي من أوربا على العرش وورثه خلفاؤه في حكم بلاد ٩٠٪ من سكانها من المسلمين، فسوف تصبح مسيحية الطابع. الإسلام والوطنية يفرضان واجبا عليكم يا صاحب السمو.. فمشاعر القلق التي سيعاني منها الألبان حول استقلالهم إذا خضعوا لأمير أوروبي تظهر بجلاء لمن التقى بمختلف طبقات الشعب الألباني. يكفيني أن أذكر لسيدي أنه في إحدى الليالي قابلت زعماء ست من القبائل الألبانية، وتعهّدوا بأن لايغمدوا سيوفهم حتى تصبح ألبانيا دولة تحت حكم شاه من العرب، واحتفظت ببيان منهم في حرز أمين. هذا مجرد مثال من أمثلة عديدة. الإسلام والوطن يطلبان من سموكم قبول دعوة الألبان، وأنا كمصري أحب وطني وديني أبعث لكم بهذه الرسالة، وليس لي غرض منها سوى ماذكرته آنفا»(*)(518)

ملحق ٦
(الفصل التاسع)
مذكرة رئاسة الجمعية الألبانية «الاتحاد» بالإسكندرية إلى الأمير فؤاد لمطالبته بالدفاع عن مصالح ألبانيا

سموّ الأمير

هذه صرخة شعب في كابوس!

نرجو منكم العطف لتسمعونا باسم جدّكم الأكبر محمد علي باشا الأرنؤوطي، باسم الدم الألباني الصافي الذي يجري في عروقكم، وباسم المعاناة ومجدنا المشترك، وأخيرا باسم الأمم المتحضرة التي تلهم الأعمال النبيلة لكم، نرجو أن تستمعوا لنا.

هناك شعب، الشعب الألباني، الذي ناضل ٦٠٠ سنة لأجل أن يُبقي على وجوده القومي. إنّ لهذا الشعب لغته النبيلة والقديمة، له تاريخه المجيد، وله عاداته وتقاليده الخاصة التي يفتخر بها، وله تراثه المقدس الذي عرف كيف يحافظ عليه أمام الجميع.

إن هذا الشعب ليس من اليونان ولا من الأتراك ولا من اللاتين ولا من السلاف، إنه شعب ألباني وهو يرغب في العيش في وضع جيد وسلام وسعادة كما لو أن بلاده هي فعلا بلاده وكما لو أن ألبانيا تخصّ الألبان.

إن الشعوب الأخرى في البلقان، الإخوة الذين عشنا معهم في بؤس منذ قرون، يريدون الآن أن يحتلوا بلادنا لكي ينهوا بذلك خلافاتهم مع الباب العالي.

في البلاد الأخرى يتم استقبالهم كمحررين، ولكن في بلادنا يتصرفون كأنهم أصحاب الأرض ويهدمون بذلك الأسس المقدسة للشعوب، وحتى إنهم يخططون لتقسيم بلادنا إلى أربعة أقسام.

ولكن، أيها الأمير، لن نسمح لهم بأن تكون بلادنا مسرحا لأطماعهم. لا ولن يعاني هكذا وطن الألبان، أيها الأمير، ولن يتحمّل أحد وجودهم ولن يسمح لهم بتقسيم الوطن.
إن كل الألبان، مسلمين ومسيحيين، قد أقسموا اليمين: الوطن أو الموت. هذه هي قضيتنا للجميع: الحرب انتهت، الحرب ستبدأ من جديد ! فلتعرف أوربا، أيها الأمير، بواسطة نفوذك وبواسطة سلطتك التي تجعلهم يستمعون إليك في المجالس المعروفة والاجتماعات التي تشارك فيها مع العلماء من ذوي الكلمة المسموعة.
إننا ممثلو مليونين من الألبان، نرجو منكم بتواضع أن تتقبلوا هذه المذكرة.
الإسكندرية ١٩١٢

المصادر والمراجع

١-وثائق غير منشورة
- الأرشيف المركزي للدولة في تيرانا، صندوق «الجمعيات الألبانية في مصر»، ملف٢١، ملف ٤٢، ملف ٤٣، وملف ٤٨، وملف ٥٠ .
- دار الوثائق القومية بالقاهرة، محكمة إسكندرية الشرعية، سجل ٢٨، سجل ٣٠، سجل ١٠١، سجل ١٠٧.

٢- وثائق منشورة
١ ـ عبدالرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي١٢٣٤-١٢٥٦هـ/ ١٨١٩-١٨٤٠ الدوحة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

Alfabeti i gjuhës shqipe dhe Kongresi i Manastirit-Studime, materiale e dokumente, Tiranë . 1972.

.Dosja sekrete e UDB-së: Emigracioni shqiptar 1944 -1953, Pishtinë (koha) 2004 .

Kryengritjetpopullore nëvitet 30 tëshekullit XIX- Dokumenteosmane, përgatitur për .botimngaPatrikaThengjilli, Tiranë (Instituti i historisë) 1987

Statuti i Bashkësisë shqiptare në Egjipt, e themelluar më 1929, Kajro, Establissment Phacos .

٣ - صحف ومجلات
- الأهالي، القاهرة ١٩١٣
- الجريدة، القاهرة ١٩١٢
- المقتبس، القاهرة ١٩١٢.
- المقطم، القاهرة ١٩١٧.
- المؤيد، القاهرة ١٩١٣-١٩١٤.
- الوطن ١٩١٢.

Albania, Bruxelle 1902

Taraboshi, Shkodër 1913

٤- مقابلات
- مقابلة مع كريم حاجيو بمنزله في القاهرة في ٢٠/٨/١٩٧٩.

٥ - مصادر ومراجع مختارة
ـ إبراهيم البيومي غانم، الأوقاف والسياسة في مصر، القاهرة (دار الشروق)١٩٨٨ .
ـ إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢-١٥١٧، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٦٠.
ـ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١-١٠، تحقيق محمود الأرنؤوط، دمشق (دار ابن كثير) ١٩٩٩.

ـ ابن زنبل الرمال، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب – الألف كتاب الثاني) ١٩٩٨.
ـ آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، إستانبول (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية) ٢٠٠٣.
ـ أحمد بن زيني دحلان، أمراء البيت الحرام، بيروت، ١٩٨٧م.
ـ أحمد جلبي عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن وليَ مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق فؤاد محمد الماوي، القاهرة (دار الأنصار) ١٩٧٧.
ـ أحمد سري دده بابا، الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٥٩.
ـ أحمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن، القاهرة ١٩٣٦.
ـ أمل فهمي، الملك فاروق والخلافة الإسلامية، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٠١٣.
ـ أمل محمد فهمي، أمراء الأسرة المالكة ودورهم في الحياة المصرية ١٨٨٢-١٩٢٨،القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٠٠٦.
ـ الأمير عثمان إبراهيم– كارولين وعلي كورخان، محمد علي الكبير– خصوصيات عائلة ملكية، ترجمة: هدى كشرود، القاهرة (المشروع القومي للترجمة)، ٢٠٠٥.
ـ الأمير عمر طوسون، صفحات من تاريخ مصر في عهد محمد علي – الجيش المصري البري والبحري، القاهرة، ١٩٩٠م.
ـ أمين سامي، تقويم النيل، المجلد الأول من الجزء الثالث، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٣٦
ـ أنتوني سوريال عبد السيد، الرابطة القومية الألبانية أو «رابطة بريزرن الألبانية» ١٨٧٨-١٨٨١، القاهرة (دار الثقافة) ١٩٨٦.
ـ أنطون خليل ضومط، الدولة المملوكية - التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، بيروت (دار الحداثة) ١٩٨٢.
ـ أوليا جلبي، سياحت نامة مصر، ترجمة محمد علي عوني ومراجعة أحمد فؤاد متولي، القاهرة (دار الكتب والوثائق القومية) ٢٠٠٩.
ـ التاريخ المسلسل في حوادث الزمان ووقائع الديوان ١٨٠٠-١٨٠١ لإسماعيل الخشاب، تحقيق محمد عفيفي وأندريه ريمون، القاهرة ٢٠٠٣
ـ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملـوك، تحقيـق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة (دار الكتب والوثائق القومية) ١٩٧٢.
ـ توفيق طنوس، تاريخ الحرب البلقانية ١٩١٢-١٩١٣ (طبعة خاصة بمناسبة الذكرى المئوية)، بيروت (جداول) ٢٠١٣.
ـ جاك كرابس جونيور، كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر– دراسة في التحول الوطني، ترجمة وتعليق د. عبد الوهاب بكر، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٣م.
ـ جمال الدين الشيال، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٨م.
ـ جميل عارف، صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام، الجزء الأول، القاهرة (المكتب المصري الحديث) ١٩٧٧، ص٦٦.
ـ جين هاثواي، سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية، ترجمة عبدالرحمن الشيخ، القاهرة (المشروع القومي للترجمة) ٢٠٠٣
ـ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ط ٢، القاهرة(الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٤.
ـ حسن عبد الوهاب، جامع السلطان حسن وما حوله، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد القومي)١٩٦٢.
حسن قاسم، المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية، ج ٦، القاهرة ١٩٤٢.
ـ حسين سلماني، من مذكرات ملك ألبانيا أحمد زوغو في مصر ١٩٤٦-١٩٥٥، ترجمة وتقديم محمد م. الأرنؤوط، بيروت (جداول) ٢٠١٥.
ـ حسين عبدالله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن ١١٦١-١٢٦٤هـ/ ١٧٤٨-١٨٤٨م، دمشق، ١٩٨٨م.
ـ الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني: مخطوط «ضيانامه» للدرارندلي، دراسة وترجمة جمال سعيد عبد الغني، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٩م.
ـ خلف الجبوري، إمارة دلغادر في السياسة المملوكية والعثمانية، عمّان (دار الحامد) ٢٠١٤.
ـ دراسات ووثائق حول الدفشرمة، ترجمة وتقديم محمد م.الأرنؤوط، أربد (قدسية للنشر) ١٩٩١.
ـ رالف خوري، عزام باشا مصري اعتنق القومية العربية- سنوات التكوين المبكرة ١٨٩٣-١٩٣٦، ترجمة

معين الإمام، دمشق (دار المدى) ٢٠٠٦.
ـ روبرت هنتر، مصر الخديوية- نشأة البيروقراطية الحديثة، ترجمة: بدر الرفاعي، القاهرة (المشروع القومي للترجمة)، ٢٠٠٥.
ـ رؤوف عباس (محرر)، مصر في عصر محمد علي : إصلاح، أم تحديث؟ القاهرة (المجلس الأعلى للثقافة) ٢٠٠٠.
ـ رؤوف عباس حامد، تاريخ جامعة القاهرة، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٤.
ـ زكي فهمي، صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال العصر، القاهرة ١٩٢٦.
ـ سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية العربية، الرياض (مكتبة الملك فهد الوطنية) ٢٠٠٠، ص١١٥.
ـ شوكت غاوجي، ذكرياتي عن ألبانيا ومصر وبلاد الشام في القرن العشرين، بيروت (جداول) ٢٠١١، ص٤٠-٤١.
ـ عباس حلمي الثاني، عهدي– مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير ١٨٩٢-١٩١٤، ترجمة جلال يحيى، القاهرة (دار الشروق) ١٩٩٣.
ـ عبد الحميد بك نافع، ذيل خطط المقريزي، تحقيق خالد عزب ومحمد السيد حمدي متولي، القاهرة (الدار العربية للكتاب) ٢٠٠٦.
ـ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ١-٤، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٩٩٧م.
ـ عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملطي، نزهة الأساطين فيمن وليَ مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين علي، القاهرة (مكتبة الثقافة الدينية) ١٩٨٧م.
ـ عبدالحميد البطريق، إبراهيم باشا في بلاد العرب، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، القاهرة، ١٩٤٨.
ـ عبدالحميد البطريق، من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠، القاهرة، ١٩٦٩.
ـ عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٥١، ص١٧٠.
ـ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى ١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م، القاهرة ١٩٧٩م.
ـ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/ ١٨١٩-١٨٤٠م، القاهرة، ١٩٨١.
ـ عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، مكة المكرمة، ١٩٣٠.
ـ علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة– مدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الطبعة الثانية (عن طبعة بولاق ١٣٠٥هـ)، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٦.
ـ فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، موسكو، ١٩٨٦، ص١٦٨.
ـ فريد دي يونج، تاريخ الطرق الصوفية في مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٥، ص٨٠.
ـ قانون نامة مصر الذي أصدره السلطان سليمان القانوني لحكم مصر، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه أحمد فؤاد متولي، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٨٦.
ـ قسطنطين بازيلي، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة طارق معصراني، موسكو ١٩٨٩.
ـ قطب الدين النهروالي الحنفي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ مكة المشرفة، مكة المكرمة ١٩٥٠.
ـ قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، البرق اليماني في الفتح العثماني، أشرف على طبعه حمد الجاسر، الرياض (دار اليمامة) ١٩٦٧.
ـ كريم ثابت، محمد علي، القاهرة، د.ت.، ص٧٢.
ـ لطيفة محمد سالم، فاروق من الميلاد إلى الرحيل، الطبعة الثالثة، القاهرة (دار الشروق) ٢٠١٠، ص٦٣٤-٦٧٩.
ـ لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب).
ـ لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: د.عفيفة البستاني، موسكو، د.ت، ص١٠٣،
ـ محمد أبو العمايم، آثار القاهرة الإسلامية في العصر الإسلامي، إستانبول (إرسيكا) ٢٠٠٢.
ـ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق (دار الفكر) ١٩٩٠، ص١٤.

- محمد السيد سليم (محرر)، علاقات مصر بدول رابطة الدول المستقلة وألبانيا والبوسنة والهرسكومقدونيا ومنغوليا، القاهرة (مركز الدراسات الآسيوية)٢٠٠٠.
- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور ١-٥، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٤.
- محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسين عبد الرحمن، بيروت (منشورات بيضون) ٢٠٠٣.
- محمد بن محمد بن أجا الحلبي، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق (دار الفكر) ١٩٨٦.
- محمد حسين شمس الدين، ابن تغري بردي ٨١٢-٨٧٤هـ مؤرخ مصر في العصر المملوكي، بيروت (دار الكتب العلمية) ١٩٩٢.
- محمد زاهد جول، الطريقة البكطاشية مسارات التشكل التاريخي في: التحولات الفكرية في العالم الإسلامي (أعلام وكتب وحركات وأفكار) من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري، تحرير عليان الجالودي، عمان (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) ٢٠١٤، ص٣٧٧-٣٨٨.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧، بيروت (دار النفائس) ١٩٩٩.
- محمد عفيفي، شبرا إسكندرية صغيرة في القاهرة، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٠١٦.
- محمد م. الأرنؤوط، دراسات في التاريخ الحضاري لبلاد الشام في القرن السادس عشر، دمشق (دار الأبجدية) ١٩٩٥.
- محمد م. الأرنؤوط، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر – وقفية سنان باشا، دمشق (دار الحصاد) ١٩٩٣.
- محمد موفاكو، «الألبانيون– عدة تسميات لأمة واحدة»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٦٣، ج٤، دمشق ١٩٨٨، ص ٦٧٧-٦٨٤.
- محمد موفاكو، الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، الكويت (سلسلة عالم المعرفة) ١٩٨٣.
- إسماعيل صدقي، مذكرات - صفحات من تاريخ مصر، تحقيق سامي أبو النور، القاهرة (مكتبة مدبولي) ١٩٩١.
- مجموعة مؤلفين، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، دمشق (مؤسسة الدراسات العسكرية) ١٩٩٣.
- المعلم نقولا الترك، ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، تحقيق د. ياسين سويد، بيروت ١٩٩٠.
- المعهد الشرقي بسراييفو، الوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبرونيك، تحقيق وترجمة بسيم قرقوت، الكتاب الأول- الجزء الثالث، سراييفو و ١٩٦٩، ص٣٨-٤٣.
- ميكل ونتر، المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم ومراجعة الدكتور عبدالرحمن الشيخ، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب- الألف كتاب الثاني)، ٢٠٠١م.
- هنري لورنس وآخرون، نابليون والحملة الفرنسية في مصر، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة (سينا للنشر)، ١٩٩٥م.
- يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل، تحفة الألباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٥٠.
- يوسف بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، بيروت (دار الكتب العلمية) ١٩٩٢.
- يونان لبيب رزق، فؤاد الأول المعلوم والمجهول، الطبعة الثالثة، القاهرة (دار الشروق) ٢٠٠٨.

.A.Xhuvani, Jeta e Mehmet Aliut pashës së Misirit, Tiranë 1921
.A.Z. (Chajup), Përrala , Heliopolis (Egypte)1921
.A.Z. Çajupi , Baba Tomorri, Kajro 1902
.Abdul Syla, Albanian's Struggle for Indepence, New York 1967
.AfafLufti al-Sayyid Maorst, Egypt in the Reign of Muhammad Ali, Combridge 1984
Al-Jabarti's Chronicle of the First Seven Months of the Frensh Occupation of Egypt, .edited and translated by S.Moreh, Leiden (E. J. Brill) 1975

B.Belicza- M.D. Germek, «Dubrovacka Republika», Enciklopedija Jugoslavije, Vol.3, .Zagreb 1984

B.J.Fischer, Mbreti Zog dhe përpjekja për stabilitet në Shqipëri, përktheu Krenar .Hajdari, Tiranë (Çabaj) 1996, p.322

.Baba Rexhepi, Misticizma islame dhe bektashizma, New York 1970

BedrushShehu, Shqiptarëtdheçeshtja lindore në 30 vjet tëshekulit XIX, kosova- Kosovo 3, .Prishtinë - Pristina 1974

BedrushShehu, Shqiptarëtdhe cështja lindore në vitet 30 të shekullit XIX, F. Filozokik, .Prishtinë 1985

Beqir Meta, "Emigracioni politik shqiptar pas Luftës II Botërore", Univers 2, Tiranë .2002

.,Blend Fevziu, Presidenti që u bë mbret: Ahmet Zogu, Tiranë (Uetpress) 2014

Butrus Abu-Manneh, Studies on Islam and Ottoman Empire in the 19thCentury 1826-.1876, Istanbull (The Issis Press) 2001

C.J. Heywood, «Kara Muhamed pasha», The Encyclopedia of Islam, vol. l.IV, Leiden .(E.J.Brill) 1990

.Crup autorësh, Historia e letersisë shqipe, Prishtinë, 1975

.Çajupi,Vepra,Tiranë 1940

D. Ayalon, «al-Djabarti", The Encyclopedia of Islam, vol. II, Leiden (E.J. Brill), 1991, p. .355

D.Ayalon,"Historian al-Jabarti and his background", BSOAS XXIII, London 1962, pp.217-249

Donald Malcolm Reid, Cairo University and the Making of Modern Egypt, Combridge .(Cambridge University Press) 2002

.Dhimitër Pilika, Pellazgjët: origjinajonë e mohuar, Tiranë (Botime Enciklopedike), 2005

Eqrem Zenelaj, Diplomacia e Ismail Kemal bej Vlorës, rivalitetiet ebrendshme në .Shqipëri dhe rruga e Pavarësisë 1912-1913, Prishtinë (Vatra) 2013

.EqrembejVlora, Kujtime, vol.2, Tiranë (Shtëpia e librit) 2001

F.Babinger-GDavid, «Khoja Sinan pasha», The Encyclopedia of Islam, new edition, .vol.IX, Leiden 1997, pp.631-632

F.De Jong, «The Iconography of Bektashiism – A Survey of themesand symbolism in clerical costoms, liturigical objects and pictural art", Manuscript of Middle East, vol.4, .Leiden 1989

F.De Jong, «The Takiya of Abd Allah al-Maghawri (qayghusus sultan) in Cairo", Turcica, .vol.XIII, Louvain-Paris-Strasbourg 1981

.F.Shiroka, Zani i zemrës,Tiranë 1959

.Faik Konica, Shqipëria kopsht shkembor i Evropës Jugolindore, Prishtinë 1990

.FaikKonitza, Albania The Rock Garden of Southeastern Europe, Boston 1957

.Faruk Borova, Dinastia shqiptare që sundoi Misirin 1805-1952,Tiranë (Gent Grafik) 2012

.Filip Shiroka, Zani i zemrës, Prishtinë 1969, p.17

Floresha Dado, A.Z.Çajupi-Jeta dhe vepra, Tiranë (Instituti i gjuhësisë dhe i .letërsisë)1983

Floresha Dado, Andon Zako Çajupi- Jeta politike dhe vepraletrare,Tiranë(Bota .shqiptare) 2012

Frances Trix, The Sufi Journey of Baba Rexheb, Philadelphia (University of

.Pennsylvania-Musuem of Archaelogy and Anthropology) 2009
G.F. Sadleir, Account of a Journey from Katif on the Persian Gulf toYamboo on the Red .Sea, Vol. 3, London, 1823
.GazmendShpuza, Kryengritjafshatare e Shqipërisë së mesme 1914-1915, Tiranë 1986
.Grup autorësh, Historia e letërsisë shqipe, Prishtinë 1975
Gwen Robyns,Gardiana e shqiptarëve- Biografi e autorizuar, Përktheu Zhilda Dervishi, .Tirana (Uet) 2012
Hary T.Noris, Islam in the Balkan: Religon and Society between Europe and Arab World, .London (Hurst) 1993
.Husein Selmani, Nga notimet e Zogut I Mbretit të shqiptarëve, Tiranë 2008
.Hysni Myzeri (redaktor), Historia e Shqipërisë dhe e shqiptarëve, Prizren 2001
.Instituti I historisë, Historia e Shqiperisë II, Tiranë 1984
Islami, «Gjurmeve të Mehmet Ali Pashës dheushtrisë sëtij», XIII-XIV-XX, Rilindja, .Prishtine 9, 10, 16, VIII., 1977, f.4
.Ismail Qemal Vlora, Kujtimet, përktheu Reshad Agai, Toronto 1968
Ismet Dermaku, «Çështjs e autoqefalisë kishtare shqiptare gjatë Rilindjes Kombëtare .shqiptare»,Vjtari XII-XIII,Prishtinë 1981
J.A.R.Marriot, The Eastern Question- An Historical Study in European Diplomacy, .Oxford (Oxford University Press) 1967
.Jason Tomes, King Zog Self-made Monarch ofAlbania, London (Sutton) 2007
.John Marlowe, Anglo-Egyptian Relations 1800-1956, London 1965, p.15
John Sabini, Armies in the Sand: The Struggle for Mecca and Medina, London .(Thames&Hudson), 1981
.Jorgo Bulo, Magjia dhe magjistarët e fjalës,Tiranë (Dituria),1998
L.Mile, «Mbi levizjen nacionalclrimitare gjatë sundimit turk», Studimehistorike 1, Tirane .1965

.M.Canard, «Dhul-Kadr», The Encyclopedia of Islam, vol.2, Leiden 1983, pp.239-241
.Mahmud Hysa,Andon Zako Çajupi- Jeta dhe vepra, Prishtinë 1983, pp.43-44
.Marenglen Verli,Shqipëria në Kujtime e Spiro Kosovës,Tiranë 2008
Mbledhës të hershëm të folklorit shqiptar 1635-1912, vol.3, Tiranë (Instituti i folklorit) .1962, sp.10
Memli Krasniqi,Shoqëria biblike britanike për të huaj dhe bektashizmi1814-1897, .Prishtinë (Instituti albanologjik) 2013
.Memoire de la Colonie Albanaise d'Egyte, Cairo 1919
.Mendimi politik e shoqëror i Rilindjes kombëtare shqiptare 1-2, Tiranë 1971
.Metin Izeti, Tarikati bektashian, Tetovë 2001
.Milan Shufflay, Serbët dhe shqiptarët, Prishtinë (Rilindja) 1968
Miranda Vickers, The Albanians -AModern History, London -New York (I.B.Tauris) .1995
Muhamed Mufaku, «Roli i shqiptarit Muhamed Ali pasha në paraqitjene arabizmit në .botën arabe", Përparimi 5, Prishtinë 1977

.Muhamed Mufaku, Shqiptarët në botën arabe, Prishtinë (Rilindja) 1990
.Muhamed Mufaku, «Egjipti qendër e shtypit shqiptar», Prishtinë (Rilindja) 29.08.1979
.Muhamed Mufaku,Lidhjet letrare shqiptare-arabe, Tiranë (ACFOS) 2009
Muhamed Mufaku, Nga historia e shqiptarëve të Egjiptit gjatë shekujve XV-XX, .Prishtinë (ASHAK) 2016

Muhamet Pirraku, «Kryengritjae Shkodrës e vitit 1835 nëdritën eshtypitserb e kroat», .Gjurmimealbanologjike 33-34, Prishtinë 2003-2004
.Muharrem Dezhgiu, Shqipëria nën pushtimin italian 1939-1943, Tiranë (Eneas) 2015
Narrative of the life and adventure of Giovanni Finati, edited by William John Bankes, .London, 1830
Nathalie Clayer, L’Albanie-Pays de derviches: Les orders mistiqyes muslumans en .Albanie, Berlin-Wisebaden (Otto Harrossowitz 1990
NehatIslami, «Gjurmevetë Mehmet Ali Pashësdheushtrisë sëti VI», Rilindja, Prishtinë 2. .VIII, 1977
.Neil Ress, Mërgimi mbretëror, përktheu Xhevat Lloshi, Tiranë 2012
.Nexhib Alban-NesipKaçi, Shqiptarët në Perandorinë osmane, Tiranë (Albin) 1997
Nicholas Bethell, The Albanian Operation of the CIA and Mi6, 1949-1953: Conversations with Participants in a VentureBetrayed, edited by R.Elsie&B.Destani, Jefferson (Mc .Farland) 2016
Nicholas Bethell, The Great Betrayel-The Untols Story of Kim Philby’s Biggest Coup, .London (Hodder and Stoughton) 1984
.P.Thengjilli, «Kryengritjet nëShqiperi nëvitin 1833», Studimehistorike 4, Tiranë 1978
Patrika Thengjilli, Kryengritjet popullore kunderosmane në Shqipëri1833-1839, Tiranë .(Instituti i historisë) 1981

Peter Bartl, Shqipëria nga mesjeta deri sot, përktheu Shkumbin Brestovci, Tiranë (Drita) .1999
.Poetë të Rilindjes kombëtare, Tiranë 1976, p.74
QemajlMorina, «Kretavendstrehim për kryengritesitshqiptarë», Rilindja (Prishtinë) .03.03.1979
.QemajlMorina, «Një fole e shquar e kulturës shqiptare», Rilindja (Prishtinë) 09.06.1979
R.Taschudi, «Bektashiya», The Encyclopedia of Islam, New edition, Leiden (E.J.Brill) .1986, pp.1161-1163
Ralph M.Coury, The Making of an Egyptian Nationalist- The Early Years of Azzam .Pasha 1893-1936, London (Ithaca) 1998
Rajwwantee Lakshman-Lepain, Shqiptarët dhe mesticizmi bektashian, Prishtinë-Tiranë .(Dukagjini) 1997
.Rexhep Qosja, Prej tiplogjisë deri te periodizmi, Prishtinë 1979
.Robert Elsie, History of Albanian Literature, New York (Boulder), 1995
.Roberto Morocco Della Rocco, Kombësia dhe feja në Shqipëri, Tiranë (Elena Gjika) 1994
.S.Mann, Albanian Literature, London 1955,p.48
.Spiro Dine, Valët e detit, Sofie 1908 p.10

Stanford J.Shaw, The Financial and Administrative Organization and Development of .Ottoman Egypt 1517-1798, Priceton 1962

Stavro Skendi, The Albanian National Awakening, 1878-1912, New Jersey (Princeton) .1967
.Shaban Deniraj-Kristaq Prifti, Kongresi i Manastirit, Tiranë 2004
.Shkëlzen Halimi-Emin Azemi, Shqiptarët e Egjiptit, Shkup (Logos A) 1993
.Shkrimtarët shqiptarë, Tiranë 1941
Shyqri Nimani, Mehmet Ali pashakapedani shqiptar që ia ktheudinjitetit Egjiptit, .Prishtinë (ArsAlbanica) 2012

.Thimi Mitko, Vepra, pergatiturnga Qemal Haxhihasani, Tirane 1981
.Thimi Mitko, Bleta shqiptare, Alexandria 1878
VehbiBajrami, «Post morum: Baba Rexhepi 1901-1995- Njeriu që nuk la të shuhej drita e .bektashizmit», Illyria 14-16.08.1995, p.14
.Xhevat Kallajxhi, Bektashizmi dhe teqka shqiptare n’Amerikë, New York 1964
.ZvaneCernja, Cultural History of Croatia, Zagreb 1962

كتب أخرى للمؤلف

(أ) كتب مؤلفة:

١ ـ الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، الكويت (عالم المعرفة) ١٩٨٣.
٢ ـ تاريخ بلغراد الإسلامية، الكويت (دار العروبة) ١٩٨٧.
٣ ـ الألبانيون في العالم العربي (بالألبانية)، بريشتينا ١٩٩٠.
.Shqiptarët në botën arabe, Prishtinë (Rilindja) 199
٤ ـ ملامح عربية إسلامية في الادب الألباني، دمشق (اتحاد الكتاب العرب) ١٩٩٠.
٥ ـ الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سراييفو، عمان (دار البشير) ١٩٩٣.
٦ ـ معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر، دمشق (دار الحصاد) ١٩٩٣.
٧ ـ دراسات في التاريخ الحضاري لبلاد الشام في القرن السادس عشر، دمشق (دار الأبجدية) ١٩٩٥.
٨ ـ دراسات في التاريخ الحضاري للإسلام في البلقان، تونس/ دبي (مؤسسة التميمي/ جمعة الماجد) ١٩٩٥.
٩ ـ كوسوفو/ كوسوفا بؤرة النزاع الألباني- الصربي في القرن العشرين، القاهرة (مركز الحضارة للدراسات السياسية) ١٩٩٨.
١٠ ـ مداخلات عربية- بلقانية في التاريخ الوسيط والحديث، دمشق (اتحاد الكتاب العرب) ٢٠٠٠.
١١ـ دور الوقف في المجتمعات الإسلامية، دمشق (دار الفكر) ٢٠٠٠.
١٢ ـ دراسات حول وقف النقود، تونس (مؤسسة التميمي) ٢٠٠٠.
١٣ ـ دراسات حول الحكومة/الدولة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠، اربد-عمان (الشروق/حمادة) ٢٠٠٠.
١٤ ـ كوسوفو/ كوسوفا ١٩٨٩- ١٩٩٩، اربد- عمان (دار الشروق – حمادة) ٢٠٠٠.
١٥ ـ التأليف في اللغة العربية في البوسنة، عمان – اربد (الشروق – حمادة) ٢٠٠١
١٦ ـ مراجعة الإستشراق: الذات والآخر- تجربة يوغسلافيا، بيروت (دار المدار الإسلامي) ٢٠٠٢.
١٧ ـ من دار الإسلام إلى الوطن ومن الوطنية إلى القومية، بيروت (الدار العربية للعلوم) ٢٠٠٤.
١٨ ـ البوسنة بين الشرق والغرب، دمشق (اتحاد الكتاب العرب) ٢٠٠٥.
١٩ ـ الإسلام في أوربا المتغيرة: تجربة ألبانيا في القرن العشرين، بيروت (الدار العربية للعلوم) ٢٠٠٧.
٢٠. كوسوفو مابين الماضي والحاضر، بيروت (الدار العربية للعلوم) ٢٠٠٨.
٢١ ـ الوثائق العربية في مركز المحفوظات بدوبروفنيك، القاهرة (المجلس الأعلى للثقافة) ٢٠٠٨.
٢٢ ـ الصلات الأدبية الألبانية العربية (بالألبانية)، تيرانا ٢٠٠٩.
.Lidhjet letrare shqiptare-arabe,Tiranë 200
٢٣ ـ سنان حسّاني الروائي الشاهد على حياة وموت يوغسلافيا، عمّان (أزمنة) ٢٠٠٩.
٢٤ ـ كوسوفا تجليات ثقافية بين الشرق والغرب، بيروت (الدار العربية للعلوم) ٢٠٠٩.
٢٥ ـ الوقف في العالم الإسلامي الماضي والحاضر، بيروت (جداول) ٢٠١١.
٢٦ ـ دراسات عن وقف النقود، طبعة ثانية مزيدة، بيروت (جداول) ٢٠١١.
٢٧ ـ من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي، بيروت (جداول) ٢٠١٢.
٢٨ ـ دراسات في الصلات العربية البلقانية في التاريخ الوسيط والحديث، بيروت (جداول) ٢٠١٢.
٢٩ ـ وقف المرأة في عالم الإسلام: مقاربة جديدة لمكانة المرأة في المجتمع، بيروت (دار جداول) ٢٠١٤.
٣٠ ـ الإسلام في البلقان (بالاشتراك)، دبي (المسبار) ٢٠١٤.
٣١ ـ البلقان من الشرق إلى الاستشراق، الدوحة (منتدى العلاقات العربية والدولية) ٢٠١٤ .

٣٢ ـ من تاريخ ألبان مصر خلال القرون ١٥-٢٠ (بالألبانية)، بريشتينا (أكاديمية العلوم) ٢٠١٦
Nga historia e shqiptarëve të Egjiptit gjatë shekujve XV-XX,Prishtinë (ASHAK) 2016 .3

(ب) كتب محققة

١ ـ محمد بن محمد الخانجي، الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنة،تحقيق وتقديم، الكويت (مؤسسة البابطين) ٢٠١٠.
٢ ـ محمد بن محمد الخانجي، أخبار مصر، تحقيق وتقديم بالاشتراك مع أمين يوسف عودة، دمشق (دار الحصاد) ٢٠١٠.
٣ ـ شوكت سليمان غاوجي، ذكرياتي عن ألبانيا ومصر وبلاد الشام في القرن العشرين، تحقيق وتقديم، بيروت (دار جداول) ٢٠١١.
٤ ـ توفيق طنوس، تاريخ الحرب البلقانية ١٩١٢-١٩١٣، تحقيق وتقديم، بيروت (جداول) ٢٠١٣.

(ج) كتب مترجمة:

١ ـ انتولوجيا الشعر العربي الحديث (بالألبانية)، بريشتينا (ريليندیا) ١٩٧٩.
٢ ـ فلسطين الألبانية، دمشق (اتحاد الكتاب العرب) ١٩٧٩.
٣ ـ مختارات من الشعر الألباني المعاصر، دمشق (اتحاد الكتاب العرب) ١٩٨١.
٤ ـ قصص سورية ١٩٣١-١٩٨١ (بالألبانية)، بريشتينا (ريليندیا) ١٩٨١.
٥ ـ بحر في الصحراء – مختارات من الشعر الكويتي الحديث (بالألبانية)، بريشتينا (ريليندیا) ١٩٨٢.
٦ ـ رجب تشوسيا، أبو الهول الحي، ترجمة وتقديم، الكويت (سلسلة من المسرح العالمي) ١٩٨٤.
٧ ـ أحمد أحمدي، أسباب اندحار الجيش العثماني، ترجمة وتقديم (بالألبانية)، بريشتينا ١٩٨٥.
٨ ـ سنان حساني، الريح والبلوط، ترجمة وتقديم، بيروت (المؤسسة العربية للأبحاث) ١٩٨٦.
٩ ـ قصص شعبية غجرية، ترجمة وتقديم، دمشق (وزارة الثقافة) ١٩٨٩.
١٠. حسن كلشي، الوجه الآخر للاتحاد والترقي، ترجمة وتقديم، اربد (مؤسسة قدسية) ١٩٩٠.
١١ ـ دراسات ووثائق حول الدفشرمة، ترجمة وتقديم، اربد (مؤسسة قدسية) ١٩٩١.
١٢ ـ ألكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب ١-٢، ترجمة وتقديم، طبعة أولى الكويت (عالم المعرفة) ١٩٩٣، وطبعة ثانية عمّان (وزارة الثقافة) ٢٠١٣.
١٣ ـ خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة وتقديم، بيروت (دار المدار الإسلامي) طبعة أولى ٢٠٠٢ وطبعة ثانية ٢٠١٤.
١٤ ـ مختارات من الشعر الكوسوفي المعاصر، ترجمة وتقديم، عمّان (أزمنة) ٢٠٠٩.
١٥ ـ قيصر فرح، السلطان عبد الحميد الثاني والعالم الإسلامي، ترجمة وتقديم، بيروت (جداول) ٢٠١٢.
١٦ ـ شمس الدين سامي الفراشري، المدنيّة الإسلامية، ترجمة وتقديم، الإسكندرية- بيروت (مكتبة الإسكندرية – دار الكتاب اللبناني) ٢٠١٢.
١٧ ـ مذكرات ملك ألبانيا أحمد زوغو في مصر ١٩٤٦-١٩٥٥، بيروت (دار جداول) ٢٠١٥

(د) مراجعة ترجمات

١ ـ فيليمير لوكيتش، الحياة المديدة للملك اوزوالد والمؤامرة، ترجمة جمال الدين سيد محمد، الكويت (سلسلة من المسرح العالمي) ١٩٨٨.
٢ ـ اوبومير فيلديك، جدة للاكل، ترجمة فتحي قعوار، الكويت (سلسلة من المسرح العالمي) ١٩٩٧.
٣ ـ على عزت بيجوفيتش، هروبي إلى الحرية، ترجمة إسماعيل أبو البندورة، دمشق (دار الفكر) ٢٠٠٢.
٤ ـ الأعمال المختارة لمحمد الخانجي ترجمة عبد الرحيم ياقدي، الإسكندرية (مكتبة الإسكندرية) ٢٠١٤.

(502)(*) في هذه الأغنية وغيرها يرد تعبير «نزاع» في الألبانية أيضًا nizaja، وهي من المفردات العربية التي دخلت اللغة الألبانية وبقيت تستخدم في التراث الشعبي.

(503)(**) في هذه الأغنية يرد «فولاق» Vullakë وهو تحريف واضح؛ لأنه في الأغاني الأخرى ترد «بولاق» Bullakë.

(504)(***) في الألبانية Turkoshakë تعني الألبان الموالين للأتراك أو الألبان المستتركين تمييزًا لهم عن الألبان الأقحاح.

(505)(****) يقسم الألبان بشكل عام إلى قسمين: الغيغ في الشمال والتوسك في الجنوب ويفصل بينهم نهر شكومبيني Shkumbini في الوسط؛ حيث يتميز كل قسم بملامح ولهجة وثقافة خاصة.

(506)(*****) في الهامش يذكر ميتكو عن رجب آغا تشولاكو Collaku أنه من شكودرا Shkodra بشمال ألبانيا، وأنه قام بهذا التمرد بعد أن شعر أن محمد علي بدأ يتخلى عنه بعد أن اتفق مع زعماء الألبان الآخرين، وأنه بعد هذا التمرد لجأ إلى بلاد الشام.

(507)(******) في هذه الأغنية يرد تعبير «حق» في الألبانية أيضًا hak، وهو من المفردات العربية التي دخلت اللغة الألبانية وبقيت تستخدم في التراث الشعبي.

(508)(*) كرجالي Kerxhalli لقب لعائلة معروفة عند الألبان، ولكن لا يوجد هنا ما يشير إلى اسم الشخص المعني.

(509)(**) يشير ميتكو في الهامش إلى أن المقصود هنا جامع السلطان حسن الذي يقع في ميدان صلاح الدين. للمزيد عنه انظر: حسن عبد الوهاب، جامع السلطان حسن وما حوله، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٩٦٢.

(510)(***) المقصود هنا عمر بك فريوني Verioni.

(511)(****) في هذه الأغنية يرد هنا تعبير «علوفة» وفي الألبانية أيضًا ylefe، التي دخلت اللغة الألبانية وبقيت تستخدم في التراث الشعبي.

(512)(*****) رجب آغا أو رجب تشولاكو كما ورد في الأغنية السابقة.

(513)(*) الألبان المستتركون أو الموالون للأتراك، أي لمحمد علي باعتباره واليًا معينًا من قبل السلطان العثماني.

(514)(**) في هذه الأغنية يرد تعبير «الجامع» وفي الألبانية أيضًا xhamia، وهو من المفردات العربية التي دخلت اللغة الألبانية ولا تزال تستخدم. والمقصود هنا مسجد السلطان حسن في ميدان القلعة.

(515)(***) البريزريني نسبة إلى مدينته برزرن Prizren المعروفة في كوسوفو، وهذا يدل على أن رجال محمد علي كانوا من مختلف أرجاء الولايات العثمانية ذات الغالبية الألبانية.

(516)(*) المقصود هنا الضابط الفرنسي الكولونيل سيف الذي اشتهر بعد انضمامه لمحمد علي واعتناقه الإسلام باسم سليمان باشا الفرنساوي، وأحمد باشا المنكلي نسبة إلى بلدة ملينيك Melenik الألبانية.

(517)(**) في الحقيقة أن الذي كان يقود الجيش العثماني وأسر بالفعل هو رشيد محمد باشا، بينما كان الصدر الأعظم آنذاك هو خسرو باشا.

(518)(*) وجد الملك فاروق هذه الرسالة بين أوراق أبيه فأعطاها إلى عبد الرحمن عزام حين كان عزام أمينا عامًا للجامعة العربية (١٩٤٥-١٩٥٢)، وقد قدّمتها عائلة عزام في ١٩٧١ إلى د. رالف خوري الذي نشرها في كتابه عن عزام: خوري، عزام باشا، ص ٩١-٩٢.

Table of Contents